رواية

مكتبة 1645

كولين هوفر

حقيقة

ترجمة: د. عابد إسماعيل

حقيقة





Author: **Colleen Hoover** | اسم المؤلف: كولين هوفر

Title: **Verity** | عنوان الكتاب: حقيقة

Translated by: **Dr. Abed Ismael** | ترجمة: د. عابد إسماعيل

P.C.: **Al–Mada** | الناشر: دار المدى

First Edition: **2022** | الطبعة الأولى: 2022





للإعلام والثقافة والفنون

Al-mada for media, culture and arts

بغداد: حي أبو نؤاس - محلة 102 - شارع 13 - بناية 141

Iraq/ Baghdad- Abu Nawas-neigh. 102 - 13 Street - Building 141

+ 964 (0) 770 2799 999   + 964 (0) 780 808 0800

+ 964 (0) 790 1919 290

بيروت: بشامون - شارع المدارس

Beirut: Bchamoun - Schools Street

+ 961 175 2617   + 961 706 15017

+ 961 175 2616

دمشق: شارع كرجية حداد- متفرع من شارع 29 أيار

Damascus: Karjieh Haddad Street - from 29 Ayar Street

+ 963 11 232 2276   + 963 11 232 2275

+ 963 11 232 2289   ص.ب: 8272

كولين هوفر



حقيقة

ترجمة : د. عابد إسماعيل



تنويه المترجم:
(Verity)

العنوان الأصلي للرواية يحيل إلى بطلتها الرئيسية، واسمها «فيريتي»، لكنّ الاسم أيضاً يعني قاموسياً «حقيقة»، وهذه ازدواجية دلالية متعمدة استخدمتها المؤلفة للربط بين الاسم ودلالاته في السياق العام للحبكة. يدرك القارئ أهمية هذا الربط في الفصل الأخير من هذه الرواية الشيقة حين تزداد الهوة اتساعاً بين حقيقة البطلة ودلالة اسمها.



إهداء المؤلفة

أهدي هذا الكتاب إلى الشخص الوحيد الذي يمكن أن يُهدى إليه الكتاب. شكراً لقبولكَ الظّلامَ في الآخرين، تماماً كقبولكَ الضياءَ فيهم.

-1-

أسمعُ صوتَ تهشّمِ جمجمتِهِ قبل أن يصلَني رذاذُ الدّم.

أشهقُ ثمّ أخطو خطوةً سريعةً إلى الوراء باتجاه رصيفِ المشاةِ. قدمي تغوصُ، وكعبُ حذائي لا يكملُ السيرَ معي ما يجعلني أمسكُ بوتدِ شارةِ ممنوع الوقوف خوفاً من فقدان التوازن.

كان الرّجلُ يقفُ أمامي منذ ثوانٍ فقط. وكنّا بين حشدٍ من النّاس ننتظرُ شارةَ العبورِ كي تومضَ، حين فجأةً اجتازَ الرّجلُ الشّارعَ قبل الأوانِ، ما تسبّبَ باصطدامِ شاحنةٍ مسرعةٍ بجسدِه. اندفعتُ إلى الأمام أحاولُ إيقافَه، لم أستطعْ الامساكَ بشيءٍ، ورأيتُه يهوي أرضاً. أغمضتُ عينيّ قبل أن يصبحَ رأسَه تحت العجلةِ، لكنّني سمعتُ شيئاً يطقطقُ كصوتِ فلّينةِ الشامبانيا.

اللّومُ، كلّ اللّومِ، يقعُ على هذا الرجل، إذْ كان ينظرُ لامبالياً إلى هاتفه الخليوي، ربّما لأنّه كان قد عَبرَ الشّارعَ ذاتَه مراتٍ عديدةً من قبل، من دون وقوعِ أيّ حادثٍ له. لعلّه الموتُ بفعلِ الرّوتين.

الناسُ يشهقون مثلي ولكن لا أحدَ يصرخُ أو يصيح. سائقُ الشاحنةِ المعتديةِ يقفزُ من خلف مقودهِ ويجثو، على الفور، أمام الرّجل المسجّى. أبتعدُ قليلاً عن المشهدِ فيما عددٌ من الأشخاص يتدافعون نحو الأمام يريدون المساعدة. لم أكن بحاجةٍ لأن أنظر إلى الرّجلِ الممدّد تحت العجلة لأعرفَ أنه لم ينجُ من الحادث. كان يكفي أن أنظرَ إلى قميصي النّاصع البياض –بقعُ الدّم تلطّخُه الآنَ– لأعرفَ أنّ نقّالةَ النعشِ تنفعُهُ الآن أكثر من سيارةِ الإسعافِ.

أدورُ حول نفسي محاولةً الابتعادَ عن الحادث –علّني أجدُ مكاناً أتنفّسُ

فيه الصعداءَ– لكنّ إشارةَ المرور، الآن، تقولُ «اعبرْ»، وجمهرةُ النّاس تنتبهُ إلى الضّوءِ الأخضرِ ما جعلَ السباحةَ عكسَ التيار والعودة إلى الخلف أمراً مستحيلاً في خضمّ هذا النهرِ المتدفقِ من سكّان مانهاتن. البعضُ منهم لا يرفعُ بصرَهُ عن جهازِهِ الخليوي، في أثناء العبورِ قرب موقعِ الحادث. أتوقّفُ عن السّير نحو الأمام، وأنتظرُ كي يخفَّ الحشدُ. أُلقي نظرةً إلى الخلف باتجاه الشاحنة، وأتجنّبُ مشاهدةَ الرّجل المسجّى هناك. سائقُ الشّاحنةِ يقفُ الآنَ خلف مؤخّرة سيارته، ويرمقُ هاتفاً خليوياً بين يديه. ثلاثة، وربّما أربعة أشخاص يتبرعون لتقديم المساعدة. البعضُ الآخرُ دفعهم فضولهم المرضيّ لكي يلتقطوا بكاميراتِ هواتفهم النقالة صوراً تذكارية للمشهدِ المريع.

لو كنتُ ما زلتُ أعيشُ في ولاية فيرجينيا، لكانت الأمورُ قد سارتْ بطريقةٍ مختلفةٍ تماماً. كلّ من هو قريبٌ من المكان كان سيتوقّفُ. بعدئذٍ، سوف يسودُ الذّعرُ، ويبدأُ النّاسُ بالصُّراخ، ويصلُ طاقمُ الأخبار إلى عينِ الحدث في غضون دقائق. ولكن، هنا، في مانهاتن، يبدو أنّ الأمر عاديٌّ. أن تصدمَ سيارةٌ أحدَ العابرين لا يعني الكثير، وهو يحدثُ دائماً، ولا يتعدّى كونه إزعاجاً آنياً. فالتأخّرُ عن الموعد بسبب ازدحام الشّوارع، وعجقة السير يعني بالنسبة إلى البعضِ مجرّد ضرر يلحقُ بالبعضِ الآخر. هذا، على الأرجح، يحدثُ غالباً، وقد لا يجدُ طريقَه إلى صفحاتِ الجرائد.

وبقدر ما تقلقني لامبالاةُ بعضِ النّاس، هنا، إلّا أنّ هذا هو السبب الذي جعلني أنتقلُ إلى هذه المدينة، قبل عشر سنوات. أناسٌ مثلي تناسبُهم حياة المدن ذات الاكتظاظ الشديد. حياتي لا قيمة لها في مكانٍ بهذا الحجم. ثمة العديدُ من النّاس، هنا، ممن يتخفّون خلف حكاياتٍ تثيرُ الشفقةَ، أكثر منّي بكثير.

أنا، هنا، لامرئيةٌ. ولا أهميةَ لي. ومانهاتن مدينةٌ مكتظّةٌ بالبشر، ولا وقتَ لديها كي تكترثَ، بتاتاً، بشخصٍ مثلي، وأنا أحبُّها بسبب ذلك.

– «هل أصابكِ مكروهٌ؟».

أنظرُ إلى رجلٍ يلمسُ ذراعي، ويتفحّصُ قميصي. قلقٌ عميقٌ يرسو خلف

ملامح وجههِ. إنّه يقيسني من الأعلى إلى الأسفل، وبالعكس، باحثاً عن أثرِ كدمةٍ أو جرحٍ. أستطيعُ أن أستنتجَ من ردّة فعلِهِ أنه ليس من أهل نيويورك، قساة القلب هؤلاء. ربّما يعيشُ، هنا، الآنَ، ولكن، ومهما يكن أصله وفصله، فالمكانُ لم يهزمْ، تماماً، حسّ التعاطفِ من كيانِهِ.

– «هل أصابكِ مكروهٌ؟» يكرّرُ الغريبُ، ناظراً إلى عينيّ، هذه المرّة.

– «لا. هذا ليس دمي. كنتُ أقفُ بالقرب منه حين....» ثمّ أتوقّفُ عن الكلام. لقد رأيتُ، للتوّ، رجلاً يموت. كنتُ قريبةً جدّاً منه، حتى إنّ دمَه ما يزالُ عالقاً على ملابسي.

انتقلتُ إلى هذه المدينة، كي أكون لامرئيةً، لكنّني، بالتأكيد، لستُ عصيةً على الاختراق. وهذا شيءٌ بدأتُ أشتغلُ عليه؛ في محاولة لأن أصبحَ قاسيةً، متحجّرةً، كمثلِ هذا الإسمنتِ تحت قدمي. لم أحرزْ تقدّماً كبيراً في هذا المجال، بعدُ. أستطيعُ أن أشعرَ بكلّ شيءٍ يحدثُ، وحدثَ، معي، اليومَ، بل وما زال راسباً في أحشائي.

أغطّي فمي بيدي، لكنّني سرعان ما أسحبُها، حين شعرتُ بشيءٍ لزجٍ، عالقٍ على شفتيّ. المزيدُ من الدّم. ألقي نظرةً على قميصي. الكثيرُ من الدّم. ولا نقطةَ منه تعودُ إليّ. أنزعُ قميصي وأخلعُه عن صدري، لكنّه يظلّ ملتصقاً بجسدي في تلك النقاط التي بدأتْ تجفُّ فيها قطراتُ الدّم.

أعتقد أنني بحاجةٍ إلى الماء. بدأتُ أشعرُ بدوارٍ خفيفٍ، وأريدُ أن أفركَ جبهتي، وأقرصَ أنفي، لكنّني خائفة من لمسِ جسدي. أنظرُ إلى الرّجل، الذي ما يزال يمسكُ ذراعي.

– «هل ترى دماً على وجهي؟» أسألهُ.

يزمُّ شفتيه، ثم يصوّبُ عينيه بعيداً، متفحّصاً الشارعَ حولنا. يشيرُ إلى مقهى يبعدُ بضعة أبوابٍ باتجاه الأسفلِ.

– «لا بدّ أنّ لديهم حمّاماً»، يقولُ مربّتاً بيدِه على ظهري، ثم نترافقُ معاً إلى تلك الجهة. أنظرُ إلى بناءِ دار النّشر، «بانتيم برس»، الذي كنتُ في طريقي إليه قبل وقوعِ الحادثِ. كنتُ قريبةً جدّاً منه. كنتُ أبعدُ خمسةَ عشر، وربّما عشرينَ قدماً فقط من مكانِ الاجتماعِ الذي كنتُ بأمسّ الحاجةِ إلى حضوره.

تساءلتُ كم كان يبعدُ الرّجلُ، الذي مات للتوّ، عن وجهتِهِ؟

يفتحُ الغريبُ البابَ من أجلي فور وصولنا المقهى. امرأةٌ، تحملُ فنجان قهوتها بكلتا يديها، تحاول أن تتجاوزني، عبر ردهة الباب، ثم تنظرُ، وترى قميصي. لكنّها، سرعان ما تبتعدُ إلى الخلف، هرباً منّي، وتسمحُ لنا، كلينا، بالدخول. أتوجّه، فوراً، إلى مرحاض النساء لكنّ البابَ كان مقفلاً. يدفعُ الرجلُ بابَ مرحاض الرّجال، ويشيرُ إليّ للحاق به.

لم يقفلِ البابَ، خلفنا، حين أكملَ طريقه نحو المغسلةِ، وفتحَ صنبورَ الماء. أنظرُ في المرآة، وأشعرُ ببعض الطمأنينة لأن منظري لم يكن بتلك البشاعة التي خشيتُها في البداية. توجدُ بضعُ قطراتٍ من رذاذِ الدّم على خدّي، لكنّها بدأتْ تميل إلى السوادِ، وتجفُّ بطيئاً. وثمة رشّةُ دم فوق حاجبيّ. لكن، ولحسن الحظّ، كان لقميصي النصيبُ الأعظمُ من الدم الطّائش.

يناولني الرّجلُ مناشفَ ورقيةً مبلّلة فأمسحُ وجهي، فيما راح يبلّلُ المزيدَ، والمزيدَ منها. أستطيعُ أن أشمَّ الدمَ، الآنَ. الرّائحةُ النّفاذةُ في الهواءِ ترسلُ عقلي دائرياً إلى الطفولة حين كنتُ فيه في سنّ العاشرة. رائحةُ الدّم كانت قويةً جدّاً، آنذاك، لدرجةِ أنّني ما زلتُ أتذكّرُها رغم مرورِ كلّ هذه السّنوات.

أحاولُ أن أحبسَ أنفاسي مع عودةِ المزيدِ من الغثيانِ. لا أريدُ أن أتقيأ. لكنّني أريدُ لهذا القميص أن يُنزعَ عنّي. الآنَ.

أفكُّ أزرارَه بأصابع مرتعشة ثم أخلعُهُ، وأضعُه تحت حنفيةِ الماء. أدعُ المياهَ تفعلُ فعلها، بينما أستمرُّ بأخذ المناشف الورقيةِ المبتلّة من الرّجلِ الغريبِ، وأبدأُ مسحَ الدّماء عن صدري.

يتوجّهُ، هو، نحو الباب، ولكن بدلَ أن يعطيني المزيدَ من الخصوصية حيثُ كنتُ أقفُ مرتديةً أقلّ حمّالات النهدين جاذبيةً، يقفلُ البابَ من داخلِ الحمّام كي لا يستطيعَ أحدٌ الدخول عليّ وأنا بلا قميصٍ. إنّها المغامرةُ التي أشعرتني بالارتباكِ والانزعاج. ثمّ أزدادُ توتراً وأنا أراقبُ صورتَه التي تعكسها المرآةُ أمامي.

أحدُهم يطرقُ البابَ.

- «لحظة، وأخرجُ حالاً»، يقولُ.

أشعرُ بالرّاحةِ قليلاً، إذْ طمأنني وجودُ شخصٍ خارج هذا الباب يمكنُهُ سماع صوتي إذا اضطررتُ للصّراخ لسببٍ من الأسباب.

ينصبّ جلّ اهتمامي على الدم المسفوح، وأحرصُ أن أزيلَ آثارَه عن عنقي وصدري. أتفحّصُ شعري في المرحلة التالية، وأقومُ باستدارةٍ، من اليمينِ إلى اليسارِ داخل المرآةِ. لا أرى سوى الجذورِ الفاحمة للشعرِ فوق لونٍ بنّيٍ باهتٍ.

– «خذي»، يقولُ الرجلُ وهو يفكُّ آخرَ أزرارِ قميصِه النّاصع البياض. «ضعيهِ عليكِ. البسيهِ».

كان قد خلعَ سترةَ بزّتِهِ الخارجية للتوّ وعلّقها فوق قبضة الباب. يتحرّر من قميصِهِ، وقبّتِهِ المرفوعة، كاشفاً عن قميصِه الدّاخلي النّاصع البياض. بدتْ عضلاتُه مفتولةً، وقامته فارعة، أكثر طولاً منّي. لا أستطيعُ أن أرتدي هذا أثناء اجتماعي المرتقب، ولكن لم يكن لديّ خيار آخر. أخذتُ القميصَ الذي ناولني إياه. أستعملُ المزيد من المناديل الورقية الجافّة التي أمرّرها فوق بشرتي قبل أن أرتدي القميص وأشبك أزراره. يبدو القميص مضحكاً عليّ، لكنّ عزائي الوحيدَ هو أنّ جمجمتي لم تكن هي التي انفجرتْ وعفّرتْ قميصَ شخصٍ آخر. ذلك هو الفارقُ، وذاكَ هو الخطُّ الفضّي الفاصلُ.

أرفعُ قميصي المبلّل عن المغسلة، بعد أن اقتنعتُ أن لا فائدةَ تُرجى من الاحتفاظ به. أرميه في سلّة المهملات، ثم أضع يدي فوق المغسلة، متفحّصةً صورتي في المرآة. أبدو مرهقة جدّاً، بعينين خاويتين تحدّقان بي. الرّعبُ الذي شاهدتاهُ جعل لونهما البندقيّ أكثر سواداً، وجعلَ الحدقةَ بنّيةً غائمةً. أفركُ خدّي براحةِ كفّي كي أسترجعَ بعض الاحمرارِ، ولكن، عبثاً أفعلُ ذلك. إنّي أبدو شاحبةً كالموت.

أسندُ ظهري إلى الحائطِ، وأشيحُ بوجهي عن المرآةِ. الرجلُ يفكُّ ربطةَ عنقه، ويدسُّها في جيبِ سترتِه، ويحدّق بي ملياً لبرهةٍ صغيرة. «لا أستطيعُ أن أخمّنَ ما إذا كنتِ هادئةً أم ما زلتِ في حالِ الصدمة».

أنا لستُ في حالِ الصدمة، لكنني لا أعلمُ إذا كنتُ هادئةً. «لستُ متأكّدةً»، أعترفُ له. «هل أنتَ على ما يرام؟».

- «أنا بخير»، يقولُ. «لقد رأيتُ ما هو أفظع، لسوءِ الحظّ».

أميلُ برأسي قليلاً نحوه، محاولةً أن أفكّ طلاسَمَ جوابِه الملغز. يشيحُ ببصره بعيداً عن عينيّ، ما جعلني أحملقُ به أكثر، متسائلةً ما الذي يمكن أن يكون قد رآه، ويفوقُ تهشّمَ رأسِ شخصٍ تحت عجلات شاحنةٍ مسرعة؟ ربّما هو من السكّان القاطنين في نيويورك. وربّما يعملُ في مشفى. لقد أظهرَ كفاءةً، تميّزُ، غالباً، أولئكَ الذين يكونون مسؤولين عن أناسٍ آخرين.

- «هل أنتَ طبيب؟».

يهزُّ رأسَه بالنّفي. «أعملُ في مجالِ العقارات. كان هذا في الماضي على أيّة حال».

يخطو خطوة إلى الأمام، ويمدّ يده نحو كتفي، نافضاً شيئاً ما عن قميصي. أقصدُ قميصَه. حين يخفض ذراعه، يتفحّصُ وجهي لبرهةٍ، ثم يخطو خطوةً إلى الخلف.

لعينيه لونُ ربطةِ العنقِ التي دسّها في جيبِه منذ وهلة. الأخضرُ الشّاحبُ. إنّه شابٌ لا تنقصه الوسامة، لكن ثمة هالة ما حوله تجعلني أفكّرُ بأنّه يتمنّى بأن لا يكون كذلك. كأنّ ملامحه تشكّلُ عبئاً على كاهلِهِ. ذاكَ الجزءُ منهُ لا يريدُ لأحدٍ أن يلاحظَه. إنّه يريدُ أن يكون لامرئياً في هذه المدينة. مثلي تماماً.

معظمُ النّاس يأتون إلى نيويورك من أجل أن يكتشفَهم أحدٌ ما. البقية الباقية، منّا تأتي من أجل أن تختفي.

- «ما اسمُكِ»، يسأل.

- «لوين».

يسودُ صمتٌ من جانبِهِ، بعد أن أُفصِحَ له عن اسمي لكنّه صمتٌ لا يستغرقُ سوى بضع ثوانٍ فقط.

- «جيرمي»، يقولُ.

يذهبُ إلى المغسلة، ويفتحُ حنفيةَ الماء من جديد، ويبدأُ بغسلِ يديه. أستمرُّ في التحديق به، غير قادرةٍ على إخماد فضولي. ماذا كان يقصدُ حين قال إنّه رأى ما هو أسوأ من ذاك الحادثِ الذي شهدناهُ للتوّ؟ قال إنه يعمل

في مجالِ العقارات، ولكن أسوأ يومٍ في عملٍ من هذا النّوع لا يمكنُ أن يملأ المرءَ بكلّ هذه الكآبة التي يخفيها هذا الرّجلُ.

- «ماذا حدَثَ لكَ؟».

ينظرُ إليّ من خلال المرآة. «ماذا تقصدين؟».

- «قلتَ إنّك رأيتَ ما هو أسوأ. ما الذي رأيتَهُ؟».

يغلقُ صنبورَ الماءِ، ويجفّفُ يديه، ثم يلتفتُ إليّ، ويرمقني وجهاً لوجه. «تريدين حقاً أن تعرفي؟».

أومئ برأسي.

يرمي المنديلَ الورقي في سلّة المهملات، ثم يدسُّ يديه في جيبي بنطاله. تبدو سحنته أكثر تشاؤماً الآن. يحدّقُ بي أكثر، لكن ثمة ذاك الفاصل، وذاك الانقطاع بينه وبين هذه اللّحظة. «سحبتُ جثّةَ ابنتي ذات الثمانية أعوام من البحيرةِ، قبل خمسة أشهرٍ من الآن».

أبتلعُ جرعةً من الهواء، وأضعُ يدي أسفلَ حنجرتي. **لم تكن كآبة تلك التي تسري في تقاطيع وجهه. كان اليأسُ فحسبُ.** «أنا آسفةٌ جدّاً»، أهمسُ. أنا آسفةٌ، حقّاً. آسفةٌ لما حدَثَ لابنته. وآسفة لكوني كنتُ فضوليةً.

- «وماذا عنكِ؟» يسألُ.

يتكئ على الحاجز المعدني كأنما يستعدُّ لمحادثةٍ قادمة. محادثةٌ لطالما انتظرها. وكأنّه بانتظار أحدٍ ما أن يأتي ويجعل مآسيه أقلّ مأساويةً. هذا ما تفعلُهُ حين تكابدُ ما هو أسوأ من الأسوأ. تمدّ يدكَ إلى أناسٍ يشبهونكَ... أناس أكثر شقاءً منكَ... وتستخدمهم كي تجعل نفسَكَ تشعرُ بحالةٍ أفضل حيالَ الأشياءِ المرعبةِ التي حدثتْ لكَ.

أبلعُ ريقي قبل أن أتكلّمَ لأنّ مآسيّ تكادُ لا تعني شيئاً بالمقارنة مع مآسيه. أفكّرُ بآخر هذه المآسي، وأشعرُ بالحرَج لمجرد أن أتكلّمَ عنها على الملأ، لأنّها تبدو تافهةً، بالمقارنة مع ما مرَّ به هذا الرّجل. «أمّي توفّيت الأسبوعَ الماضي».

لم يُظهرْ أيّة ردّة فعلٍ على مصيبتي مثلما أظهرتُ أنا ردّةَ فعلٍ على مصيبتِهِ.

بل لا يُظهرُ أيّ ردِّ فعلٍ البتّة، وأتساءلُ ما إذا كان السبب يكمنُ في أنه كان يتمنّى أن تكون مصيبتي أكثر سوءاً. لم تكنِ الأسوأ. ويخرجُ الغريبُ فاترًا.

– «كيف توفيتْ؟».

– «بالسرطان. كنتُ أقومُ على رعايتها في شقّتي، طوال العام المنصرم».
إنّه أوّل شخصٍ أبوحُ له بهذا. أستطيعُ أن أشعرَ بنبضي يخفقُ حول معصمي، فأضعُ يدي الأخرى فوقه. «هي المرّة الأولى التي أخرجُ فيها منذ أسابيع».
يحدّقُ كلانا بالآخر للحظة إضافية أخرى. أريدُ أن أقولَ شيئاً آخر، لكن لم يسبق لي أن تورّطتُ في محادثةٍ من العيارِ الثقيلِ مع غريبٍ عابرٍ. بل إنّني تمنّيتُ لحديثنا أن ينتهي، إذ من يدري إلى أين يمكن أن يأخذَنا في نهاية المطاف؟

المحادثة لا تؤدّي بنا إلى أيّ مكان. بل تتوقّفُ تلقائياً، فحسب.

يواجهُ المرآةَ من جديد، وينظرُ إلى صورتِه، ثم يرفعُ خصلةً سائبةً من الشَّعر الأسود عن جبهته. «لديّ اجتماعٌ ينبغي أن أحضرَه. هل أنتِ متأكّدة أنكِ ستكونين بخير؟» أراهُ ينظرُ إلى صورتي في المرآة، الآن.

– «نعم. أنا على ما يرام».

– «على ما يرام؟» ثم يستديرُ بجذعه، مكرّراً العبارة في صيغةِ السؤال، وكأنّما كوني على ما يرام لم يكن مطمْئِناً بما فيه الكفاية، وكأنّني قلتُ له سأكونُ بخيرٍ فحسب.

– «سأكونُ على ما يُرام»، أكرّرُ. «شكراً على المساعدة».

أريدهُ أن يبتسمَ، لكنّ هذا لا يناسبُ اللّحظةَ. ينتابني الفضول لأرى ابتسامتَه على وجهه. عوضاً عن ذلك يهزُّ كتفيه قليلاً ويقولُ: «حسناً، إذن». يتوجّهُ نحو البابِ ويدير القفلَ. يترك البابَ مفتوحاً خلفه من أجلي، لكنّني لا أخرجُ على الفور. عوضاً عن ذلك، أستمرّ في التحديق به، كأنني غير جاهزة بعدُ لمواجهةِ العالم الخارجي. أقدّرُ عالياً لطفَه، وأريدُ أن أقولَ المزيدَ كي أشكرَه، بشكلٍ أو بآخر، وربّما أدعوه إلى فنجان قهوة، أو أعيد قميصه إليه. وجدتُ نفسي منجذبةً إلى غَيْرِيَتِه؛ فهي شيءٌ نادرٌ في هذه الأيام. لكنّ اللّمعانَ القادمَ من خاتمِ الزّفاف حول إصبعِه حثّني على المضيّ قدماً،

إلى خارجِ الحمّام، ثم إلى متجرِ القهوة، ثم إلى الشوارع التي تمورُ، الآنَ، بالمزيد، المزيدِ، من عابري السبيل.

سيارةُ إسعافٍ تصلُ، وتقطعُ السّير في كلا الاتجاهين. أعودُ أدراجي إلى مسرح الحادثِ، وأبدأ أفكّرُ هل كان يجب أن أدلي بتصريحٍ ما. أنتظرُ بالقرب من أحد رجال الشرطة الذي كان يدوّنُ بعض شهادات شهود العيان. لم يكن ما قالوه مختلفاً عما كنتُ سأقولُهُ، لكنّني، مع ذلك، أُدلي بدلوي، وأعطيهم معلومات للتواصل. لم أكن متأكّدة أن شهادتي سوف تساعدُ في المسألة، بما أنّني لم أرَه، حقيقةً، يُصدَمُ بالسيارة. كنتُ قريبةً منه بما يكفي لأسمعَ الحادثَ عن قرب. قريبةً بما يكفي لكي أُرسَمَ في لوحة تشبه إحدى لوحات جاكسون بولوك.

أنظرُ خلفي وأشاهدُ جيرمي يخرجُ من متجرِ القهوة حاملاً قهوته الطّازجة في يده. أراهُ يعبرُ الشارعَ، مركّزاً على ما يفعلُه. لا بدّ أنّ عقلَهُ يسرحُ في مكانٍ آخر الآن، بعيداً كلّ البعدِ عنّي. ربّما يفكّر بزوجته وماذا سيقولُ لها حين يعودُ إلى البيت، بعدما فقدَ قميصاً كان يرتديه.

أسحبُ تلفوني من حقيبتي وأنظرُ إلى ساعة الهاتف. ما زال أمامي خمس عشرة دقيقة قبل أن يبدأ اجتماعي مع وكيلي «كوري»، ومع المحرّرة التي تمثلُ دارَ النشر «بانتيم برس». يداي ترتعشان، بشكل أقوى، الآن، بما أنّ الغريبَ غادرَ، ولم يعدْ أحدٌ يصرفُ انتباهي عن أفكاري. القهوة قد تساعدُ هنا. المورفين بكلّ تأكيد سوف يساعدُ أيضاً، لكنّ صاحب النزْل أزالَ كلّ أثرٍ له من شقّتي، بعدما تُوفيت والدتي. من المخجل أنني كنتُ أرتعشُ جدّاً، ولم أتذكّر إخفاءَه. كم أتمنّى لو أنّي أتعاطى قليلاً منه في هذه اللّحظة بالذّات.

-2-

حين أرسل لي كوري رسالةً نصّيةً، اللّيلةَ الفائتة، يخبرني فيها عن الاجتماع، اليوم، كانت تلك هي المرّة الأولى التي يتواصلُ فيها معي منذ عدّة أشهرٍ. كنتُ أجلسُ خلف طاولة الحاسوب، وأحدّق بنملةٍ صغيرةٍ تدبّ فوق إبهامِ قدمي.

بدت النملةُ وحيدةً، تتسكّعُ يمنةً ويسرةً، إلى الأعلى ثم إلى الأسفل، باحثةً عن طعامٍ أو، ربّما، عن أصدقاء. بدتْ حائرةً إزاء عزلتها. وربما تشعرُ بالغبطة إزاء الحرية المكتشفة حديثاً. لم أستطعْ سوى أن أفكّرَ لماذا تبدو هذه النملة وحيدة؟ النملُ، في العادة، يمشي ضمن جيوشٍ جرّارة.

وبما أنّني كنتُ منشغلةً بحالِ النملة، لم تكن هذه سوى إشارة واضحة على أنني كنتُ بحاجةٍ إلى الخروج من شقّتي. خشيتُ، بعد أن أمضيتُ وقتاً طويلاً، حبيسةَ الدّاخل، أعتني بوالدتي المريضة، أنّني، في اللّحظة التي أجتازُ فيها الرّدهة، سأكونُ حائرةً، تائهةً، كمثلِ تلك النملة. يساراً أو يميناً، في الدّاخلِ أو في الخارج، كان لسانُ حالي يقولُ: **أين هم أصدقائي، وأين هو الطعام؟**

كانت النملةُ تغادر إصبعَ قدمي، وتتابع طريقها فوق الأرضِ الخشبيةِ للغرفة متواريةً عن الأنظارِ في أسفل الحائط، حين بدأتْ تصلُ الرّسائلُ النصّية من كوري.

حين رسمتُ خطّاً في الرّمال قبل أشهرٍ، كنتُ آملُ أنّه سوف يفهمُ التالي: بما أنّنا لم نعدْ نمارسُ الجنسَ معاً، فإنّ أنسبَ طرقِ التواصل بين الوكيل الأدبي ومؤلّفته الروائية هي البريد الإلكتروني.

تقولُ رسالتُهُ: قابليني، غداً، صباحاً، في التاسعة، في بناء بانتيم برس، في الطّابق رقم 14. أعتقدُ أنّنا بصدد الحصول على عرضٍ جيّد.

لم يسألني، في الرّسالة، سؤالاً واحداً عن أمّي. وهذا لم يفاجئني. إنّ افتقارَه للاهتمام بأيّ شيءٍ آخر، ما عدا عمله ونفسه، هو من الأسباب التي جعلتنا نفترق، ولم نعدْ نلتقي معاً. افتقاره للاهتمام جعلني أشعرُ -ربّما بشكلٍ غير عادلٍ- بالانزعاج. إذ ليس لي عنده شيءٌ آخر. لكن، على الأقلّ، كان بإمكانه أن يتظاهرَ ببعض الاهتمام.

لم أرُد على رسالته النصّية، أبداً، في اللّيلة الماضية. بدلاً عن ذلك، وضعتُ هاتفي جانباً، ورحتُ أحدّقُ بصدعٍ خفيفٍ، أسفلَ حائط غرفتي، الصّدع الذي توارت فيه النملةُ. تساءلتُ ما إذا كانت ستجدُ نملاتٍ أخرى في الحائط، أم إنّها نملة وحيدة فحسب. ربّما، كانت، مثلي، تضمرُ مقتاً للنملات الأخريات.

من الصعب أن أقول لماذا أضمرُ مقتاً عميقاً وساحقاً للنّاسِ الآخرين، ولكن، إذا كنتُ سأغامرُ بتكهّنٍ ما، فإنني سأقولُ إنّ هذا نتيجة مباشرة للرعبِ الذي ينتابُ أمّي منّي.

مفردةُ «الرّعب» قد تكون كلمة قاسية. لكنّها، أي أمّي، لم تكن، بالتأكيد، تثقُ بي كطفلة. لقد حرصتْ على أن تبقيني معزولةً عن النّاسِ خارج المدرسة، لأنها كانت تخشى عليّ كثيراً، وتعرفُ ما أنا قادرة على فعله بنفسي، خلال المشي في نومي لمرات عديدة متكرّرة. حالة الانفصام تلك استمرّت معي في أثناء سنّ الرّشد، ثمّ، على إثرِ ذلكَ، تحوّلتُ، بطرقٍ كثيرةٍ، لأن أصبحَ شخصاً وحيداً. لديّ قلّة قليلة من الأصدقاء، وحياة اجتماعية ضحلة. وهذا هو السبب الذي جعلني أغادرُ هذا الصباح لأوّل مرّة، منذ أسابيع، بعد أن فارقتْ أمّي الحياة.

حسبتُ أنّ رحلتي الأولى خارج شقّتي ستكونُ إلى مكانٍ أفتقدهُ كثيراً، كمثلِ حديقة السنترال بارك، وسط نيويورك، أو متجر لبيع الكتب.

لم أفكّرْ، بالتأكيد، بأنّني سأجدُ نفسي هنا، أقفُ في الطابور، في بهو دار النشر تلك، أصلّي، يائسةً، أن يغطّي هذا العرض الجديد، وبغضّ النظر عن

قيمته، نفقاتِ الشقّة المستأجرة التي أسكنها، وبالتالي أتجنّبُ طردي إلى الشّارع. ولكن، ها أنا ذا، على بعدِ اجتماعٍ واحدٍ فقط، فإمّا أن أصبح من المشرّدات بلا مأوى، أو أتلقّى عرضَ عملٍ يوفّرُ لي الوسيلةَ للبحث عن شقّة جديدة.

أنظرُ نحو الأسفل، وأمسّدُ القميصَ الأبيضَ الذي أعارني إياهُ جيرمي في الحمّام، هناك في الجهة الأخرى من الشّارع. آملُ بأن لا يكون مظهري سخيفاً جدّاً. ربّما أمامي فرصة لأن أترك انطباعاً مبهراً، كأنّ ارتداء قميصٍ رجّاليٍ فضفاضٍ كهذا، قياسُه ضعفَ قياسي، هو، بحدّ ذاته، تعبيرٌ عن موضةٍ جديدةٍ وجميلة.

- «قميصٌ جميلٌ»، أحدُهم يقولُ من خلف ظهري.

أستديرُ لدى سماعي صوتَ جيرمي وأشعرُ بالصّدمة لرؤيته.

هل كان يتبعُني؟

أتى دوري في الطّابور. أناولُ حارسَ الأمنِ بطاقةَ السّياقة، ثم أنظرُ إلى جيرمي، وألاحظُ أنه يرتدي قميصاً جديداً. «هل تحتفظُ بقمصانٍ بديلة في جيبِكَ الخلفيّ؟» لم يكن قد مضى وقتٌ طويلٌ، منذ أن خلعَ قميصَه، وأعطاني إياه.

- «فندقي لا يبعدُ سوى أمتار قليلة من هنا. عدتُ، فقط لأرتدي قميصاً جديداً».

فندقُهُ. هذا أمرٌ مبشّر. إذا كان يقيمُ في فندقٍ، فهذا يعني أنه لا يعملُ هنا. وإذا كان لا يعملُ هنا، فهذا يعني أن لا علاقةَ له بصناعة النشر. أنا لستُ متأكّدة لماذا لا أريدهُ في صناعة النشر. لا فكرة لدي، على الإطلاق، مع من سيكون اجتماعي القادم، وآملُ بأن لا تكون له أية علاقة به، بعد هذا الصّباح الذي شهدناهُ معاً. «هل هذا يعني أنّك لا تعملُ في هذا المبنى؟»

يُخرج بطاقة هويته ويناولها إلى حارسِ الأمن. «كلّا، أنا لا أعملُ هنا. لديّ اجتماعٌ في الطّابق الرّابع عشر».

بالطّبع لديه اجتماع.

- «وأنا أيضاً»، أقولُ.

ابتسامةٌ خفيفةٌ تظهرُ على شفتيه لكنّها سرعان ما تتلاشى، وكأنّه تذكّر ما حدثَ، في الجهة المقابلة، من الشّارع، وما زال الوقتُ مبكّراً للنسيان.

- «ما هي احتمالاتُ أن نكونَ ذاهبَين إلى الاجتماعِ نفسِه؟» يسترجِعُ بطاقةَ الهوية من الحارس الذي يشيرُ إلينا بالتوجّه إلى المصاعد.

- «لا أستطيعُ أن أتكهّنَ»، أقولُ. «لم يخبرْني أحدٌ، بعد، بالضّبط، لماذا أنا هنا».

نتوجّهُ معاً نحو المصعد، ويضغطُ جيرمي زرَّ الطّابق الرّابع عشر. ينظرُ إليّ مباشرة فيما يُخرجُ ربطةَ عنقِه من جيبه، ويبدأ بارتدائها.

لا أستطيعُ التوقّفَ عن النّظرِ إلى خاتمِ زفافِه.

- «هل أنتِ كاتبة؟».

أومئُ برأسي. «وأنتَ أيضاً؟».

- «كلّا. زوجتي هي الكاتبة». يشدُّ ربطةَ عنقه، ويحرّكها حتى تستوي في مكانِها. «هل كتبتِ شيئاً يمكن أن أكونَ قد اطّلعتُ عليه؟».

- «أشكُّ في ذلك. لا أحدَ يقرأ كتبي».

يزمّ شفتيه إلى الأعلى. «لا يوجدُ الكثير من المؤلّفات في هذا العالم اسمهنّ لوين. أنا متأكّد أنني أستطيعُ أن أتذكّر بعضاً من الكتبِ التي قمتِ بتأليفها».

لماذا؟ هل حقاً يريدُ أن يقرأها؟ يلقي نظرةً إلى هاتفه الخليوي، ويبدأُ الطباعة.

- «لم أقلْ أبداً إنني أكتبُ باسمي الحقيقي».

لم يرفعْ رأسَه عن هاتفه، حتى انفتحَ بابُ المصعد. يمضي باتجاهه وينعطفُ إلى داخل ردهة الباب ناظراً إليّ، وهو يقف قبالتي وجهاً لوجه. يرفعُ تلفونَه ويبتسم. «أنت لا تكتبين تحت اسمٍ مستعار. إنكِ تكتبين باسم لوين آشلي، والطّريفُ في الأمر هو أنّ هذا هو اسمِ الكاتبة التي أنا بصددِ لقائها في التاسعة والنصف، هذا اليوم».

أخيراً، رأيتُ تلك الابتسامة، ورغم أنها بدت ساحرةً، لكنّني لم أعد أريدُ رؤيتَها.

كان قد بحث للتوّ عن اسمي عبر محرّك البحث غوغل. ورغم أنّ اجتماعي يبدأ في التاسعة، وليس في التاسعة والنصف، إلّا أنه يبدو أنه يعرف عنه أكثر مما أعرف أنا بكثير. إذا كنّا حقاً ذاهبَين إلى الاجتماع نفسه، فإنّ هذا يجعلُ لقاءَنا، مصادفةً، في عرض الشارع، شيئاً مشبوهاً، إلى حدٍّ ما. ولكن، أن نكون معاً في المكان نفسه، وفي الوقتِ نفسه، فهذا ليس بالأمرِ المحال، إذا أخذنا بعين الاعتبار أنّنا كنا نتوجّهُ إلى الجهة ذاتها، في البناءِ ذاتِهِ، وبالتالي، قُدّر لنا أن نشاهد الحادثَ ذاته.

جيرمي يأخذُ خطوةً جانبيةً كي أخرجَ أنا من المصعد. أفتحُ فمي متأهّبةً للكلام، لكنّه يخطو بضع خطوات إلى الخلف ويقول، «أراكِ بعد بضع دقائق».

لا أعرفه على الإطلاق، ولا أعلمُ كيف يمكن أن تكون له أيّة علاقة بالاجتماع الذي سأحضره بعد حين، ولكن حتّى لو لم يكن لديّ اطلاع على تفاصيل ما حدث هذا الصباح، إلّا أنني لا أستطيعُ سوى أن أحبّ هذا الشخص. الرّجل خلع قميصه عن جسده وأعطاني إياه، وبالتالي أشكُّ في أن تكونَ لديه طبيعة انتقامية ما.

أبتسمُ قبل أن أنعطفَ نحو ركن الزاوية. «حسناً. أراكَ بعد حين».

يبادلني الابتسامة. «لا بأس».

أراقبُه حتى ينعطفَ يساراً ويتوارى عن الأنظار. حين أصبحتُ بعيدةً عن مرمى نظره. أتنفّسُ الصعداء. هذا الصباح جلب لي الكثير. بين الحادثِ الذي شاهدتهُ، وبين وجودي هنا داخل مساحات ضيّقة مع هذا الرجلِ المحيّر، بدأتُ أشعرُ بغرابة شديدة. أضغطُ براحتي على الحائط وأسندُ ظهري إليه. يا للجحيم...

- «وصلتِ في الوقت المحدّدِ»، يقولُ كوري.

أتاني صوتُه على حين غرّة، وأجفلَ شرودي. أدورُ حول نفسي، فأراه قادماً من الجهة المعاكسة للرّدهة الطويلة. يميلُ نحوي ويطبعُ قبلةً على خدّي. أتيبّسُ بلا حراك.

- «لم يسبقْ أن وصلتِ في الوقتِ المحدّد».

- «كنتُ سأصلُ في وقتٍ أبكر، ولكن...»، أقرّرُ أن أصمتَ. لن أشرحَ له ما الذي منعني من الوصول باكراً. لكنه بدا غير مكترث، ومشى صوب الجهة نفسِها التي سلكها جيرمي.

- «الاجتماعُ الحقيقي لا يبدأُ حتى التّاسعة والنصف، لكنني ظننتُ أنّكِ ستصلين، متأخرة، فقلتُ لكِ في التاسعة».

أتوقفُ لأحدّقَ برأسِه من الخلف. **ماذا، بحقّ الجحيم، يا كوري؟** لو أنه قال لي إنّ الاجتماع يبدأ في التاسعة والنصف، وليس التاسعة، لما كنتُ شهدتُ بأمّ عيني ذاك الحادثَ المروّع في الجهة الأخرى من الشارع، ولما أصبحتُ عرضةً لدمِ شخصٍ غريب.

- «ألستِ آتية؟» يسألُ كوري بعد أن توقّف للحظة ينظرُ خلفه باتجاهي.

أدفنُ انزعاجي منه فقد اعتدتُ على أن أفعل ذلك حين يتعلّقُ الأمرُ به.

نصلُ قاعةَ اجتماعٍ خاوية. يوصدُ كوري الباب خلفنا، وأجلس على مقعدٍ، حول طاولة الاجتماع. يجلسُ هو، إلى جانبي، على رأس الطّاولة، ويهندسُ جلستَه قبالتي تماماً، محدقاً بي. أحاول أن لا أقطّب حاجبيّ حين يقعُ بصري عليه، بعد انقطاعٍ دام عدّة أشهر، لكنّه لم يتغيّر قيدَ أنملة. مازال أنيقاً، نظيفاً، يرتدي ربطةَ عنقٍ برّاقة، ونظّارتين فضّيتين، ويرسم على وجهه ابتسامةً خفيفة. ودائماً على النقيض الصّارخ منّي تماماً.

- «تبدو مرعباً». أقولُها لأنه لا يبدو مرعباً. ولم يسبقْ له أبداً أن بدا مرعباً، وهو يعرفُ ذلك.

- «تبدين منعشةً وخلّابة»، يقولُ لأنّه لم يسبقْ لي أبداً أن بدوتُ منعشةً وخلّابةً. دائماً أبدو متعبة، وربّما ضَجِرة أيضاً. كنتُ قد سمعتُ عمّا يسمّونه «وجهِ العاهرةِ المريح»، لكنّني أجدُ نفسي أكثر في «وجهِ العاهرةِ الضجرِ».

- «كيف حالُ أمّكِ؟».

- «توفيت الأسبوع الماضي».

لم يكن يتوقّعُ هذا. يرجعُ إلى الوراء على كرسيه، ويميلُ برأسِه. «لماذا لم تخبريني؟».

ولماذا لم تكلّف نفسَكَ عناءَ السؤال حتّى الآن؟ أهزُّ كتفيَ. «ما زلتُ أحاول أن أستوعبَ ما حدث».

كانت أمي تعيش معي خلال الأشهر التسعة الأخيرة، منذ أن شُخّصتْ بسرطان الكولون، من الدّرجة الرابعة. فارقت الحياة، الأربعاء الماضي، بعد ثلاثة أشهرٍ، أمضتْها في حالةٍ حرجة. كان من الصعب أن أغادر المنزل، خلال تلك الأشهر المنصرمة، لأنها كانت تعتمدُ عليّ في كلّ شيء: من شرب الماء، وتناول الطّعام، إلى تحريكها من جنبٍ إلى جنب، في فراشها. وحين ساءتْ حالتُها، لم يكن بمقدوري تركّها، وحيدةً، بتاتاً، ولهذا لم أخطُ خطوةً واحدةً خارج عتبة الباب على مدى أسابيع متتالية. ولحسن الحظّ، فإنّ خدمة الإنترنت المفتوح، وبطاقة الائتمان، جعلا الحياة أسهل بكثير، خلف تلك الأبواب المغلقة في مدينة كمانهاتن. إنّ أيّ شيء، بل كلّ شيء يمكن للمرء أن يحتاجَه، يصلُ إليه، دونما عناء.

من الطريف أنّ أكثر المدن اكتظاظاً في العالم يمكن أن تصبحَ جنّةً للمصابين برهاب الزحام.

– «هل أنتِ بخير؟»، يسألُ كوري.

أُخفي قلقي بابتسامة سريعة حتّى وإن كان اهتمامه مجرد سلوك شكلي. «أنا بخير. موتها كان أقل وطأةً لأنه كان متوقّعاً». كنتُ أقولُ ما كنتُ أظنّ أنه يريدُ سماعَه. لم أكنْ متأكّدةً كيف يمكن أن تكون ردّة فعله إزاء تلك الحقيقة؛ أقصد كيف أنني تنفّستُ الصعداء بعد موتها. أمي هي الوحيدة، أبداً، التي كانت تجلبُ إلى حياتي الإحساس بالذّنب. لا أكثر، ولا أقلّ. إحساسٌ بالذّنب لا يبرحني.

يتوجّهُ كوري إلى المنصّة المستطيلة المزدانة بقطعِ الحلوى الصغيرة، وزجاجات الماء، ودورق القهوة. «هل أنتِ جائعة؟ عطشى؟».

– «الماء يكفي».

يتناولُ زجاجتي ماء، ويعطيني واحدةً، ثم يعودُ إلى مقعدِه. «هل تريدينَ مساعدةً تتعلّقُ بالوصّية؟ أنا متأكّدٌ أنّ إدوارد قادرٌ على المساعدة».

إدوارد هو المحامي المعتمد لدى وكالة كوري الأدبية. إنّها وكالة

صغيرة ولهذا فإنّ العديد من الكتّاب يستعملون خبرة المحامي إدوراد في مجالات مختلفة أخرى. للأسف إنني لن أكون بحاجة إليها. حاول كوري أن يخبرني، حين وقّعتُ عقدَ الإيجار، على غرفة نومي المزدوجة، أنني لن أستطيعَ تحمّل النفقات. لكنّ أمّي أصرّتْ على أن تموتَ بكرامة في غرفتِها، وليس في مأوى للعجزة، وليس في مستشفًى، وليس على سريرِ مشفى، بل في منتصفِ شقّتي المتواضعة. أرادتْ أن يكون لديها غرفةَ نومِها الخاصّة مع كلّ أشيائها.

كانت قد وعدتْني أنّ المتبقّي في حسابها المصرفي، سوف يساعدني بعد وفاتها على تعويض كلّ الوقت الذي هدرْتهُ، ككاتبةٍ أثناء فترة العناية بها. خلال السّنة الفائتة، كنتُ أعيشُ على النقود القليلة المدفوعة، سلفاً، التي وفّرتُها من عقدي السّابق مع النّاشر. لكنّ المالَ تبخّرَ كلّه، الآنَ، ومعه على ما يبدو تبخّرت نقودُ أمّي أيضاً. كان ذلك من آخر الأشياء التي باحتْ لي بها، قبل أن تستسلمَ، أخيراً، للسرطان. كنتُ سأقومُ بما قمتُ به، وأعتني بها، بغضّ النّظرِ عن الحالة الماديّة. إنّها أمّي أولاً وأخيراً. لكن بما أنّها شعرت بالحاجة للكذب من أجل أن أوافقَ على استقبالها، فهذا يثبتُ كم كنّا، أنا وهي، بعيدتين، منفصلتين، الواحدة عن الأخرى.

آخذُ رشفةً من الماء وأهزُّ رأسي: «لا أحتاجُ في الحقيقة إلى محامٍ. كلّ ما تركَتْه لي أمّي هي الديون، مع ذلك شكراً لكَ على هذه المبادرة».

يزمّ كوري شفتيه. إنه يعرفُ جيّداً حالتي الماديّة لأنه هو الذي يرسلُ لي شيكّات مصرفية عن الحقوق المترتبة على كتبي بوصفه وكيلي الأدبي. وهذا هو السبب الذي يجعله ينظرُ إليّ بشفقةٍ، الآنَ. «سوف يتوفرّ لديكِ شيكاً مصرفياً عن حقوق أجنبية، سيأتي قريباً»، يقولُ، وكأنّني لستُ على دراية بكلّ فلسٍ آتٍ باتجاهي خلال الأشهر الستّ القادمة. وكأنّني لم أنفقها كلّها للتوّ.

– «أعرف. سأكونُ على ما يرام». لا أريدُ أن أتكلّم عن قضاياي الماديّة مع كوري. أو مع أيّ أحدٍ آخر.

الريبةُ تظهر، قليلاً، على وجه كوري، وبدا أنّه غير مقتنعٍ بما قلت. ينظرُ

نحو الأسفل، ويعدّل ربطة عنقه: «آملُ أن يكون العرضُ القادمُ مفيداً لكلّ منّا»، يقولُ.

شعرتُ بالرّاحة حين بدأ الموضوعُ يتغيّرُ. «لماذا يجب أن نجتمعَ بالناشر بشكلٍ شخصيّ؟ أنت تعرف أنني أفضّلُ إنجازَ الأمور عن طريق البريد الإلكتروني».

– «طلبوا عقد الاجتماع يومَ البارحة. قالوا إنّ لديهم عملاً يريدون أن يناقشوهُ معكِ، ورفضوا إعطائي أيّةَ تفاصيل على الهاتف».

– «ظننتُ أنّكَ تعملُ على توقيع عقدٍ آخر مع ناشري الأخير».

«كتبكِ تُباعُ بشكلٍ جيّد ولكن ليس بالقدر الكافي الذي يسمحُ بتوقيعِ عقدٍ آخر من دون التضحيةِ ببعضٍ من وقتكِ. يجب أن توافقي على الانخراط مع وسائل الاتصال الاجتماعي، وتنظّمي الجولات، وتبني لنفسكِ قاعدةً من المعجبين. مبيعاتُكِ، لوحدها، لا تُحدثُ اختراقاً في السوق الرّاهنة».

كنتُ خائفةً من هذا. تجديدُ العقد مع ناشري الحالي هو الأملُ الوحيدُ، ماديّاً، المتبقّي لديّ. شيكاتي المصرفية عن حقوق كتبي السابقة تراجعت، مع تراجع مبيعات الكتب. قمتُ بالقليل من الكتابة خلال السنة الفائتة بسبب التزامي بوالدتي، وبالتالي لا شيء لدي أبيعُه للنّاشر.

– «ليستْ لديّ فكرة عن العرض الذي سوف تقدّمَه دار النشر بانتيم، أو أنّ ما ستقدّمهُ سيكون في صلب اهتمامك»، يقول كوري. «ينبغي أن نوقّعَ اتفاقية عدم تسريب الأسرار، قبل أن يعطونا المزيدَ من التفاصيل. هذه السرّية أثارت فضولي أكثر. أنا أحاولُ بأن لا أرفعَ من سقف تفاؤلي، لكن ثمة الكثير من الاحتمالات، وينتابني شعورٌ جيّد. نحن نحتاج إلى هذا».

يقولُ نحن لأنه مهما تكن طبيعة العرض، فإنه سوف يحصل على خمسة عشر بالمائة، إذا أنا وافقتُ عليه. إنّه المعيارُ النّاظمُ لعلاقة الوكيل بالموكّل. أما ماذا يمكن أن يكون عليه معيارُ العلاقة بين الوكيل والموكّل خلال الأشهر الستّة التي أمضيناها في علاقة عاطفية حميمة، ثم خلال السنتين اللّتين أعقبتا انفصالنا؟ لا معيار لعلاقتنا الجنسية خلال تلك الفترة، بالتأكيد.

السّببُ الذي جعلَ علاقتَنا الجنسيةَ لا تدومُ أكثرَ هو أنه لم يكن جادّاً

حيال أيّ أحد، وكذلك كنتُ أنا. ظلّت العلاقة قائمةً حتى انتفى سببُ استمرارها. لكنّ السببَ بأنّ عمر علاقتِنا الحقيقية كان قصيراً هو أنه كان يحبّ امرأةً أخرى.

لا يفاجئنّكَ أنّ تلك المرأة الأخرى في علاقتنا هي أيضاً أنا.

يجب أن يكون محيّراً ذاك الوقوع في غرام كلمات الكاتبة قبل أن تقابل الكاتبة الحقيقية. بعض الناس يجد صعوبةً في الفصل بين الشّخصيات الروائية وبين المؤلّف الذي قام بابتكارها. والمفاجأة هي أنّ كوري كان واحداً من هؤلاء الناس، بالرغم من كونه وكيلاً أدبياً. لقد قابلَ ووقعَ في غرام بطلة روايتي الأولى، (نهاية مفتوحة) قبل أن يكلّمني، أو نتبادل معاً حرفاً واحداً. لقد افترضَ أنّ بطلتي هي انعكاسٌ حقيقيٌّ لشخصيتي رغم كوني أبعد ما أكون عنها، بل إنني على النقيض منها تماماً.

كان كوري هو الوحيد الذي ردّ على استفساراتي، وحتى ردّه ذاك، استغرق شهوراً، قبل أن يأتي. رسالتُه الإلكترونيةُ لم تتجاوزْ بضعَ جملٍ، لكنّها كانت كافية لبثّ الرّوح في آمالي المحتضرة.

قرأتُ مخطوطتك (نهاية مفتوحة) في بضع ساعات. أعجبني الكتاب. إذا كنتِ ما زلتِ تبحثين عن وكيلٍ، اتّصلي بي.

وصلتْ رسالتُه صباح الخميس. وبعد ساعتين فقط، وجدنا أنفسنا ننخرط في مكالمةٍ هاتفية طويلة، ونتحدث في العمق عن مخطوطتي. في ظهيرة يوم الجمعة، التقينا لنشربَ القهوةَ، ونوقّعَ العقد.

وفي ليلة السّبت نمنا سويةً في فراشٍ واحد، ومارسنا الجنسَ مرّات ثلاث.

أنا متأكّدة أنّ علاقتنا تجاوزت عرفاً مهنياً ما، في مكانٍ ما، لكنني لستُ متأكّدة أنّ هذا ساهم بأن يجعلَ عمرها قصيراً. وحالما اكتشفَ كوري أنّني لستُ الشّخص نفسه الذي بنيتُ عليه شخصيةَ بطلتي، أدركَ أنّنا لسنا متناغمين معاً. لم أكنْ أتحلّى بمزايا البطولة. ولم أكنْ بسيطةً. كنتُ صعبة المراس. وكنتُ على الصعيد العاطفي أحجيةً عويصةً يصعبُ عليه حلّها.

لم يكُنِ الأمرُ سيئاً بالنسبة لي. ولم يكن يستهويني قطّ البحث عن حلّ.
وبقدر ما كان أمرُ استمرار العلاقة معه صعباً، كان سهلاً بشكلٍ مفاجئ أن أبقى موكّلته. هذا هو السبب الذي منعني من تبديل الوكالة الأدبية بعد انفصالنا، لأنه أثبت بأنه مخلص، وغير منحاز، حين يتعلّق الأمر بمسيرتي ككاتبة.

- «تبدين منهكة، قليلاً»، يقولُ كوري، كاسراً تدفّق شرودي. «هل أنتِ متوتّرة؟».

أومئُ برأسي آملةً بأن يقبل سلوكي هذا لأنّ مصدرهُ أعصابي المنهكة، ولا أريدُ أن أشرح لماذا أنا منهكة. مضتْ ساعتان، منذ أن غادرتُ شقتي، هذا الصباح، لكنني أشعرُ أنّ الكثير كان قد حدث خلال هاتين الساعتين. وربّما قد يفوق ما سيحدثُ خلال البقية الباقية من هذه السّنة. أنظرُ إلى يديّ... وذراعيّ... باحثةً عن آثار دمٍ. لم أرَ شيئاً، لكنني ما زلتُ أشعرُ بوجوده. وأشمّه.

لم تتوقّف يداي لحظةً عن الارتعاش، ما جعلني أستمرُّ بإخفائهما تحت الطّاولة. ولأنني، الآنَ، هنا، أدركُ أنه يجب، ربّما، بأن لا أكون قد أتيت. لكنني، من جهة أخرى، لا أستطيع أن أفوّتَ فرصةَ توقيع عقدٍ ما. الفرصُ لا تُغدق غدقاً، وإذا لم أضمنْ شيئاً ما، قريباً، سوف أبحث عن عملٍ نهاريّ. وإذا حصلتُ على عملٍ نهاري، فهذا بالكاد يترك لي وقتاً للكتابة. لكنني سأتمكّن على الأقلّ من تسديد فواتيري.

يسحب كوري منديلاً من جيبه، ويمسحُ عرقاً عن جبينه. هو، فقط، يتعرّق حين يكون متوتراً. وحقيقة كونه، الآن، متوتراً، تجعلني أشعرُ بتوترٍ أكبر. «هل نحتاج لإشارة سرية إذا كنتِ غير مهتمّة بأي عرضٍ سوف يقدّمونه؟» يسأل.

- «دعنا نصغي لما سيقولونه أوّلاً، ومن ثمّ يمكن أن نستأذنهم، ونفصح عن رغبتنا في الحديث على انفراد».

يضغطُ كوري على قلمِهِ، ويعدّلُ جلستَه فوق كرسيّه وكأنه يلقّمُ بندقيةً استعداداً لمعركة ما. «دعي لي الكلام».

هذا ما كنتُ أخطّطُ له في الأصل. إنّهُ شخصٌ فاتنٌ، ويتمتّعُ بحضورٍ

أخّاذ. سأجدُ صعوبةً كبيرةً في العثور على شخصٍ يصبغُ عليّ أيّاً من هاتين الصفتين. لذا، من الأفضل أن أسندَ ظهري إلى الوراء، وألعبَ دورَ المستمعة.

– «ما هذا الذي ترتدينه؟» كوري يحملقُ بقميصي بعد أن وقع بصره عليه للتوّ، بالرّغم من أنه أمضى الخمس عشرة دقيقة الماضية برفقتي.

أنظرُ نحو الأسفل، إلى قميصي، بقياسه الكبير. للحظةٍ، كدتُ أنسى كم يبدو شكلي مضحكاً. «دلقتُ القهوة على قميصي الآخر، هذا الصّباح، فكان يجب أن أستبدلَه».

– «قميص من هذا؟».

أهزُ كتفيّ. «ربّما لكَ. وجدتهُ في خزانتي».

– «هل غادرتِ بيتكِ وأنتِ ترتدين هذا؟ أما كان بإمكانكِ ارتداء شيءٍ آخر؟».

– «ألا يبدو موضة دارجة؟». كنتُ أحاول أن أتهكّم، لكنّه لم يلتقط تهكّمي.

وبدا عليه الانزعاج. «كلّا. أكان من المفترض أن يكون كذلك؟».

النذل. لكنّه، جيّد في السرير، كمثلِ جميعِ الأنذال.

شعرتُ بالارتياح، في حقيقة الأمر، حين فُتحَ بابُ غرفةِ الاجتماع، ورأيتُ امرأةً تدخلُ، يتبعُها، بطريقةٍ هزليةٍ، تقريباً، رجلٌ عجوزٌ، يكادُ يلتصقُ بظهرِها، حتى إنّه ارتطم بها، حين توقّفتْ.

– «اللّعنة، يا بارون»، سمعتُها تغمغمُ.

كدتُ أبتسمُ حين خطرتْ لي فكرة أن يكون اسمه، في الواقع، «اللّعنة يا بارون».

جيرمي كان آخر من يدخلُ. يرمي التحية بإيماءةٍ صغيرةٍ لم يلاحظْها أحدٌ سواي.

المرأة ترتدي هنداماً أنيقاً، لا أحلمُ به، في أفضل أيامي. شعرها فاحمٌ قصيرٌ، وتضع أحمر شفاهٍ فاتح، لكنّه يبدو فاقعَ اللّون، قليلاً، في التّاسعة والنصف صباحاً. وتبدو أنّها صاحبة الكلمة العليا حين مدّت يدها،

وصافحت كوري، ثم صافحتني، بينما الرجل العجوز، أو «اللعنة يا بارون»، اكتفى بالنظر إلينا من بعيد. «أماندا ثوماس»، تقولُ. «أعملُ محرّرةً في دار (باتيم برس) للنشر. يسرني أيضاً أن أقدّمَ، بارون ستفنس، المحامي الخاص بنا، وجيرمي كروفورد، الموكّل».

أنا وجيرمي نتصافحُ بالأيدي، وحسناً فعل حين تظاهرَ بأننا لم نتقاسم معاً صباحاً فائق الغرابة. بهدوءٍ يختارُ المقعدَ، قبالتي، ويجلسُ. أحاولُ بأن لا أنظرَ إليه، لكن يبدو أنّ عينيّ لا تسافران إلّا إلى ذاك المكان. ليست لديّ أدنى فكرة لماذا أثار فضولي، هو، أكثر من هذا اللّقاء نفسه.

تسحبُ أماندا مصنّفات من حقيبتها، وتفردُها أمامنا، أنا وكوري.

– «شكراً لاجتماعكما معنا»، تقولُ. «لا نريدُ أن نضيّعَ وقتكما، ولهذا سأذهبُ فوراً إلى الموضوع. إحدى كاتباتنا غير قادرة على الالتزام بالعقد، بسبب ظروفٍ صحّيّةٍ، ونحن نبحث عن مؤلّفة، صاحبة خبرة، في النمط الأدبي ذاته، قد تكون مهتمّةً بإكمال الكتب الباقية في سلسلتها».

أنظرُ إلى جيرمي، لكنّ تعابيره المستسلمة لا توحي بدورٍ له في هذا الاجتماع.

– «من هي هذه المؤلّفة؟» يسألُ كوري.

– «يسعدنا جداً الوقوف على التفاصيل والشروط، معكما، لكننا نطلب أن توقّعا اتفاقية عدم إفشاء الأسرار، أوّلاً. نودّ أن نُبقي الحالة الراهنة لمؤلفتنا بعيدة عن وسائل الإعلام».

– «بالطبع»، يقول كوري.

وأبدي، أنا، الموافقة، لكنّني لا أقولُ شيئاً حين بدأ، كلانا، يستعرض البنودَ، ويوقّع الأوراق. ثم يعيدُ كوري الأوراقَ إلى أماندا.

– «اسمها فيريتي كروفورد»، تقولُ. «أنا متأكّدة أنّكما على اطلاعٍ على أعمالها».

كوري يتوتّر حالما يذكرون اسم فيريتي. **بالطّبع**، نحن على اطلاعٍ على أعمالها. الجميع مطّلع عليها. أغامرُ بتوجيه نظرةٍ باتجاه جيرمي. **هل فيريتي**

زوجته؟ هما يشتركان بالاسم الأخير. كان قد ذكر، أسفل الدرج، أن زوجته مؤلّفة. ولكن لماذا يجب أن يحضر اجتماعاً يدورُ حولها؟ اجتماعاً عنها لا تحضرُهُ شخصياً؟

- «نحن على اطلاعٍ جيد، ونعرف اسمَها»، قال كوري، مبقياً أوراقه خبيئةً.

- «بدأتْ فيريتي سلسلةً ناجحةً نكرهُ أن تبقى ناقصة»، تتابعُ أماندا. «هدفُنا هو أن نأتي بكاتب أو كاتبة، لديه أو لديها، الرّغبة باستكمال التجربة، وإنهاء السلسلة، يكملُ أو تكملُ جولات تسويق الكتاب، والبيانات الصحفية، وكلّ شيء آخر يترتّب على عاتق فيريتي. نخطّطُ لإصدار بيان صحفي، نقدّمُ فيه الكاتبَ - الشريكَ، أو المؤلف الجديدَ، في الوقت الذي نحافظ فيه، أيضاً، على خصوصية فيريتي، قدر المستطاع».

جولات تسويق الكتاب؟ بيانات صحفية؟

كوري ينظر إليّ، الآن. هو يعلم أنني لا أرتاحُ إلى هذا الجانب. الكثير من المؤلّفين ينجحون نجاحاً باهراً في التفاعل مع القرّاء، لكنني أفتقر إلى الكياسة اللازمة، وأخشى، حين يقابلني قرائي، وجهاً لوجه، أن يقسموا أغلظ الأيمان بأن يحجموا عن قراءة كتبي أبداً. قمتُ بحفلة توقيع واحدة، ولم أنمْ خلال الأسبوعِ الذي سبقَ هذه الفعالية. كنتُ خائفةً طوال فترة التوقيع، ووجدتُ صعوبةً في الكلام. في اليوم التالي، تلقّيتُ رسالة إلكترونية من إحدى القارئات تقول فيها إنني مجرّد عاهرة، مخادعة، وإنّها لن تقرأ كتبي ثانيةً.

وهذا هو السبب الذي يجعلني أمكثُ في المنزل، وأكتبُ. أعتقدُ أنّ الفكرةَ عنّي أفضل من حقيقة الواقع عنّي.

كوري لا يقولُ شيئاً حين بدأ يفتحُ المصنّفَ الذي ناولتهُ إياه أماندا. «كم يبلغُ تعويض السيّدة كروفورد لقاء روايات ثلاث؟».

المحامي، أو «اللّعنة بارون» يجيب عن السؤال. «سوف تبقى شروط عقد فيريتي نفسها مع الناشر وبالتالي لن يتمّ الإفصاح عنها لأسبابٍ مفهومة. جميع الحقوق سوف تعودُ للسيدة فيريتي. لكنّ موكّلي، السيّد كروفورد، مستعدٌّ لتقديمِ دفعة صافية، قدرها خمسة وسبعين ألف دولار، مقابل الكتاب الواحد».

معدتي تقفزُ من مكانها لدى سماعي هذا المبلغ. ولكن، وبالسرعة نفسها، التي ارتفعت فيها معنوياتي، انخفضتْ، ثانيةً، لمجرّد التفكير بقبولي هذا العبء الذي سوف يترتّب على كاهلي. أن أتحوّلَ من مؤلّفة مجهولة إلى مؤلّفة – شريكة في عمل أدبي مثير، ليست سوى قفزة حقيقية، وتمثّلُ جرعةً زائدةً بالنسبة لي. أكاد أشعرُ بالقلق يتغلغلُ في نفسي، لمجرّد التفكير بذلك.

يميلُ كوري بجذعه نحو الأمام، فارداً ذراعيه فوق الطّاولة، أمامه. «أفترضُ أنّ المبلغَ قابلٌ للتفاوض».

أحاول أن ألفتَ انتباهَ كوري إليّ. أريدُ أن أجعلَه يعرف بأنّ المساومة ليست ضرورية. لا يمكن أن أقبل بعرضٍ لإنهاء سلسلة من الكتب أشعرُ بالتوتر جدّاً في كتابتها.

يعدّل المحامي، أو «اللّعنة بارون»، جلسته على كرسيّه. «مع فائق الاحترام، أنفقتْ فيريتي عقداً من الزّمن، تحاولُ أن تؤسّسَ بصمةً لنفسها. بصمة لا يمكن لها أن تكون، لولا ذلك. العرض يشمل ثلاثة كتب. خمسة وسبعون ألفاً للكتاب، وهذا يجعل المبلغ الإجمالي مائتين وخمس وعشرين ألف دولار».

يُسقط كوري قلماً على الطّاولة، مستنداً، إلى الخلف، على كرسيّه، متظاهراً بأنّ الرّقم لم يترك انطباعاً قوياً عنده. «ماذا عن الإطار الزّمني لتسليم الكتب؟».

– «نحن تأخّرنا للتوّ، لذلك نأمل بأن نستلمَ الكتابَ الأوّل في غضون ستّة أشهرٍ من تاريخ توقيعِ العقد»، تقولُ أماندا.

لم أستطعْ منع نفسي من التحديق بأحمرِ شفاهها، الذي يبقّعُ أسنانَها، بينما كانت تتكلّمُ.

– «تاريخُ تسليم الكتابين الآخرين قابلٌ للنقاش. مثالياً، نتمنّى أن نرى العقدَ مكتملاً في غضون الأربعة والعشرين شهراً القادمة».

أشعرُ أنّ كوري يُجري العمليات الحسابية في رأسِه. هذا يجعلني أتساءلُ ما إذا كان يحسبُ كم ستكون حصّته، أم كم ستكون حصّتي. كوري سوف يحصلُ على خمسة عشر بالمائة. هذا يعني ما يقارب الأربعة والثلاثين ألف

دولار، ببساطة لمجرد تمثيلي في هذا الاجتماع، بصفته وكيلاً لي. النصف الآخر سوف يذهبُ إلى الضرائب. هذا يعني أقل من مائة ألف دولار تذهب إلى حسابي المصرفي. أي، خمسون ألفاً في السّنة.

هذا يقارب ضعف المبلغ المقدّم لقاء رواياتي السّابقة، لكنّه ليس كافياً لكي يقنعني بأن ألزم نفسي بتلك السلسلة الناجحة. وامتدّ الحديثُ، بين أخذٍ وردّ، دون جدوى، بما أنّني كنتُ أعرفُ، للتوّ، أنّني سأرفض العرض. حين تُخرج أماندا العقد الرسمي، أشحذُ حنجرتي، وأبدأ بالكلام.

– «أعبرّ عن تقديري الكبير لهذا العرض»، أقولُ، وأنظرُ مباشرةً إلى جيرمي، كي يعرف أنّني صادقة فيما أقول. «حقّاً، لكم كلّ التقدير. ولكن إذا كانت خطّتكم أن تختاروا أحداً ما كي يصبحَ الوجه الجديد للسلسلة، فأنا متأكدة أنّ ثمة مؤلّفين آخرين أفضل منّي بكثير».

جيرمي لا يقولُ شيئاً، لكنه ينظرُ إليّ بفضولٍ أكبر، لم يُظهره قبل أن أتكلّمَ. أنهضُ، مستعدّةً للمغادرة. أشعرُ بخيبة أمل للنتيجة التي آل إليها الاجتماع، لكنّ خيبتي أكبر لأنّ يومي الأوّل، خارج منزلي، كان كارثةً حقيقيةً، بطرقٍ عدّة. أنا جاهزة للعودة إلى البيت، والاستحمام على الفور.

– «أودُّ التحدّثَ إلى موكّلتي على انفراد»، يقولُ كوري، ناهضاً بسرعةٍ عن كرسيّه.

تومئ أماندا برأسها، وتغلقُ حقيبةَ مصنّفاتها، وينهضان معاً. «سوف نخرجُ، الآن»، تقولُ. «شروط العقد مفصّلة، في أوراقكم. في ذهننا كاتبان آخران، إذا اتّضح لنا أنّ العرض لا يناسبكما، نرجو إخبارنا بقراركما غداً، بعد الظّهر، كموعدٍ أقصى».

كان جيرمي هو الوحيد الذي ظلّ جالساً في مكانه. لم ينطقْ بكلمة واحدة، خلال هذا الوقت كلّه. تنحني أماندا إلى الأمام لتصافح يدي. «إذا كانت لديكِ أية أسئلة، من فضلكِ اتصلي بي. يسعدني أن أقدّم المساعدة».

– «شكراً»، أقولُ. أماندا والمحامي يغادران، لكنّ جيرمي يستمرُّ في التحديق بي. كوري ينقّلُ بصرَه بيننا، تارةً إليّ، وتارةً إليه، منتظراً كي يغادرَ جيرمي. لكنّ جيرمي يتمطّى بجذعه نحو الأمام، مركّزاً بصرَه عليّ.

- «هل يمكننا أن نتبادلَ كلمةً على انفراد؟» يسألني جيرمي. ينظر إلى كوري، لا من أجل أن يطلبَ الإذنَ، بل كي يطلبَ منه الخروج.

يصوّبُ كوري نظره نحو جيرمي مأخوذاً بتلك المفاجأة بعد هذا الطلب الجريء. أستطيعُ أن أخمّن من الطريقة التي حرّك كوري فيها رأسه، وأغمضَ عينيه، أنه يريدني أن أرفضَ الطلب. كان لسان حاله يقول: «أتسمعين ما يقولُه هذا الرجل؟».

ما كان قد غابَ عن ذهنه هو أنّني أتشوّقُ لكي أُترَكَ وحيدةً مع جيرمي. أريدُهم، جميعاً، أن يخرجوا من هذه الغرفة، وبخاصّة كوري، لأن لديّ، فجأةً، العديد من الأسئلة أودّ طرحها على جيرمي. عن زوجته، ولماذا طرقوا بابي أنا بالذات، ولماذا لم تعدِ المؤلّفة قادرةً على إنهاء السلسلة.

- «لا بأس»، أقولُ لكوري.

نفرَ عِرقٌ تحت جبهته حين حاولَ لجمَ انزعاجه. فكّاهُ تخشّبا، لكنه استسلمَ أخيراً، وقرّر الخروجَ من قاعة الاجتماع.

الآن، جيرمي وأنا وحيدان.

مرةً أخرى.

إذا حسبنا لقاءَ المصعد، فإنّها المرّة الثالثة، التي أجدُ نفسي فيها وحيدةً، معه، منذ أن التقينا، بمحض الصّدفة، هذا الصباح. لكن هذه هي المرّة الأولى التي أشعرُ فيها بطاقة التوتّر. أنا متأكدة أنّ هذا يخصّني وحدي. بدا جيرمي هادئاً، مثلما رأيتُهُ، حين بادرَ لمساعدتي في تنظيفِ بقعِ الدّم المتناثرة، من أحد المارّة، قبل ساعة، من الآن.

جيرمي يُرجع ظهرَه إلى الخلف، جالساً على كرسيّه، ماسحاً وجهَه بكلتا يديه. «يا يسوع!» يغمغمُ. «هل اللّقاء مع الناشرين يتّسم دائماً بكلّ هذا التشنّج؟».

أضحكُ بهدوءٍ. «كيف لي أن أعرفَ. في العادة، أُنجز هذه الأشياءَ، عبر البريد الإلكتروني».

- «أرى الآن السبب». ينهضُ واقفاً، ويتناول زجاجةَ ماء. ربّما لأنني

جالسة، في حين أنه فارع القامة جدّاً، شعرتُ بصغر قامتي، لكنني لم أشعر أنني بهذا الصغر في حضوره حين قابلتهُ منذ بعض الوقت. معرفتي بأنّه متزوج من فيريتي كروفورد يجعلني أشعرُ بالرّهبة تجاهه أكثر من شعوري سابقاً، حين وقفتُ أمامه بتنورتي القصيرة، وحمّالة نهدَي.

ظلّ واقفاً، متكئاً إلى حافة الطّاولة، متصالب السّاقين والقدمين. «هل أنت بخير؟ لم تحصلي على وقتٍ كافٍ، حقاً، كي تلتقطي أنفاسَك بعد هذا الذي حصل في الشارع المقابل، قبل الدخول إلى هذا الاجتماع».

– «ولا أنتَ، أيضاً».

– «أنا بخير». **تلك الكلمة، مرّة أخرى.** «أنا متأكّد أن لديكِ الكثير من الأسئلة».

– «أطنانٌ من الأسئلة»، أعترفُ له.

– «ما الذي تريدين أن تعرفيه؟».

– «لماذا لا تستطيعُ زوجتُكَ أن تُنهي السلسلةَ؟».

– «بسبب حادث سيارة»، يقولُ. ردّهُ ميكانيكيٌّ آليّ كمن يجبرُ نفسَه على تحييدِ عواطفه، في هذه اللّحظة.

– «أنا آسفة. لم أكنْ أدري». أتحرّكُ في مقعدي غير عارفةٍ ماذا أقولُ.

– «لم أكنْ، في البداية، أحبّذُ فكرةَ أن يأتي شخصٌ آخر، ويستكملُ العقد. كان يحدوني الأملُ بأنّها سوف تتعافى تماماً. ولكن..» يتوقّفُ. «ها نحنُ هنا».

بدأ سلوكه يكتسبُ معنًى، بالنسبة لي. بدا هادئاً ومتحفّظاً، بعضَ الشّيء، لكنّني أدركُ، الآنَ، أنّ كلَّ جزءٍ هادئٍ فيه سببُهُ الحزنُ. حزنٌ محسوسٌ. أنا لستُ متأكّدة أنّ هذا يعودُ إلى ما حدَثَ لزوجتِهِ، أو ما قاله لي في الحمّام بأنّ ابنته فارقت الحياة، قبل بضعة أشهرٍ. لكن هذا الرّجل، هنا، ليس منسجماً مع نفسه، وتواجهُهُ قرارات أثقل بكثير مما يمكن أن يواجهَ معظمَ النّاس. «أنا آسفة جدّاً».

يهزُّ رأسَه، لكنّه لا يقولُ المزيد. يعودُ إلى مقعده، ما جعلني أتساءلُ

ما إذا كان يظنُّ أنّني ما زلتُ أفكّر بالعرض. لا أريدُ أن أهدرَ وقته، أكثر ما فعلتُ، للتوّ.

- «أقدّرُ العرضَ، يا جيرمي، لكنّني، بكلِّ صدق، لا أشعرُ بالارتياح إزاءَه. لا أجيدُ التعاملَ مع الشّهرة. بل لستُ متأكّدة لماذا قام ناشرُ زوجتكَ بالتّواصل معي، كخيارٍ له، في المقام الأوّل».

- «روايتكِ (النهاية المفتوحة)»، يقولُ جيرمي.

أشعرُ بالانقباض حين يذكرُ واحدةً من رواياتي.

- «إنّها واحدة من الروايات المفضّلة لدى فيريتي».

- «زوجتكَ قرأتْ إحدى كتبي؟».

- «قالت إنكِ سوف تصبحين ذاكَ الشّيءَ الكبيرَ القادم. أنا الذي أعطيتُ محرّرتها اسمَكِ لأنّ فيريتي تعتقد أنّ أسلوبكما في الكتابة متشابهٌ. إذا كان لأحدٍ ما أن يكملَ سلسلة فيريتي، فأنا أريدهُ شخصاً تحترم، هي، أعمالَه».

أهزّ رأسي. «أوه. أخجلْتَ تواضعي، ولكن... لا أستطيع».

يراقبني جيرمي صامتاً، متسائلاً، ربّما، لماذا لا أتفاعلُ على الفور مثلما يفعلُ معظمُ الكتّاب أمام هذه الفرصة. لا يستطيعُ أن يتبيّنَ دخيلتي. في العادة، يشعرني هذا بالفخر. لا أحبّ أن يقرأ الآخرون سريرتي، بسهولة، لكن يوجدُ خللٌ في هذه الحالة. أشعرُ أنه ينبغي أن أكونَ أكثر شفافيةً، لأنه، ببساطة، أظهر أمامي شهامةً، هذا الصباح. لكنّني، مع ذلك، لا أعرفُ كيف ومن أين أبدأ.

يمدّ جيرمي جذعَه نحو الأمام. عيناه تغرورقان بالفضول. يحدّقُ بي للحظة، ثم يضربُ بقبضته على الطّاولة، ويهمّ بالوقوف. أفترضُ أنّ اللقاءَ انتهى، فأهمُّ بالوقوف، لكنّ جيرمي لم يمش باتجاه الباب. مشى باتجاه حائطٍ مرصّع بالجوائز، فأعودُ، أنا، وأغطسُ في كرسيّ. يحدّق بالجوائز مديراً لي ظهره. ولم أنتبهْ لما يحدث حتى مرّر أصابعَه على إحداها، فأدركتُ أنّها تعودُ لزوجتِهِ. يتنهّدُ، ويتّجهُ نحوي، من جديد.

- «هل سمعتِ بأناسٍ يُشار إليهم بكلمة مزمنون؟» يسألُ.

أهزُّ رأسي.

– «أعتقد أنّ فيريتي هي التي نحتتْ هذا المصطلح. بعد أن توفيت بناتنا، قالت إنّنا مزمنون. معرّضون للتراجيديات المزمنة. كارثة تتبعُ أخرى».

أحدّقُ به، مشدوهةً، للحظة، تاركةً كلماته تتغلغلُ إلى أعماقي. كان قد قال، سابقاً، إنّه فقد ابنةً واحدةً، لكنّه يستخدم الاسمَ الآن بصيغةِ الجمع. «بناتنا؟».

يأخذُ نفساً عميقاً. ثم يتنهّدُ بانهزاميةٍ واضحة. «أجل. إنهنّ توأم بنات. فقدنا تشاستين قبل ستة أشهرٍ من فقداننا هاربر. كان الأمرُ...» لم يعدْ قادراً الآن على فصل نفسِه عن عواطفه، مثلما أجادَ في فعل ذلك من قبل. يمسحُ وجهه بيده، ويعودُ إلى كرسيِّه. «بعض العائلات محظوظة جدّاً لأنّها لا تجرّبُ ولو مأساةً واحدةً في حياتها. ولكن ثمة عائلات أخرى تنتظرها المآسي، على ما يبدو، خلف درفة الباب. إذا وقعتِ الواقعةُ يحدثُ السّيئُ. ولكن سرعان ما يقعُ ما هو أسوأ من السّيئ».

لا أعلمُ لماذا يخبرني بكلّ هذا، لكنني لا أشكُّ بما يقولُ. أحبُّ أن أسمعَه يتكلّمُ، حتّى وإن كانت الكلماتُ التي تخرجُ من فمِهِ تبدو مرعبةً بالنسبة لي.

راحَ يدوّرُ زجاجةَ الماء، داخل دائرة صغيرة، على الطّاولة، ويحدّق بها، مستغرقاً في التفكير. هنا بدأ يتشكّل لدي شعورٌ بأنه لم يطلبْ رؤيتي على انفراد من أجل أن يجعلني أغيّر رأيي. ربّما لم يستطعْ أن يتحمّلَ دقيقةً أخرى من ذاك النقاش الذي يتناول زوجته الغائبة، بتلك الطّريقة، وأراد أن يغادر الجميع. أجدُ ذلك مدعاةً للارتياح؛ أن أكون وحيدةً معه في غرفة واحدة، فهذا يشعرُني بأنني الوحيدة بالنسبة له.

أو، ربّما، هو يشعرُ بأنّه، دائماً، وحيدٌ في وحدته. كمثلِ جارِنا العجوز في الشقّة المقابلة، الذي يبدو، من هيئته، أنه واحدٌ من أولئك البشر المزمنين.

– «ترعرعتُ في ريتشموند»، أقولُ. «جارنا في الشقة المقابلة فقد جميع أفراد عائلته، وعددهم ثلاثة، في أقلّ من سنتين. ابنهُ قُتل في الحرب. وزوجته ماتت، بعد ستّة أشهر، بالسرطان. لاحقاً، ابنته ماتت جرّاء حادث سيارة».

يتوقّفُ جيرمي عن تدوير زجاجة الماء، ويضعُها مائلةً بضع سنتيمترات بعيداً عنه. «أين هو الرّجل، الآن؟».

أتصلّبُ. لم أكن أتوقّعُ هذا السؤال.

الحقيقة هي أنّ الرّجل لم يستطعْ تحمّل فقدان كلّ هؤلاء الأعزّاء على قلبه. إذْ أقدم على قتلِ نفسه بعد بضعة أشهرٍ من وفاة ابنتِه، ولكن أن أخبر ذلك بصوتٍ جهوري على مسامع جيرمي، الذي ما يزال في حالة حداد على وفاة ابنتيه، قد يبدو أمراً لا يخلو من القسوة.

- «ما يزال يعيش في البلدة ذاتها. تزوّج مرّةً أخرى، بعد سنواتٍ عديدة. ورُزق بأبناءٍ وأحفادٍ».

ثمة شيءٌ في ملامح جيرمي يجعلني أفكّرُ بأنّه يعرف أنّني أكذبُ، لكنه بدا ممتنّاً لفعلي ذلك.

- «قد تحتاجين المكوث في مكتب فيريتي لبعض الوقت كي تّطلعي على بعض أشيائها. لديها سنوات من الملاحظات والملخّصات؛ أشياء لا أعرف كيف أجدُ معنًى لها».

أهزّ رأسي. أتراهُ لم يسمعْ أيَّ شيءٍ قلتُهُ؟ «جيرمي، قلتُ لكَ، لا أستطيع أن....».

- «المحامي يلعبُ بكِ الكرةَ. قولي لوكيلكِ أن يطلب نصفَ مليون. قولي لهم، سوف تنجزين المهمة، بلا صحافة، تحت اسم أدبي مستعارٍ، ضمن شروط تكتّمٍ شديدة. بتلك الطريقة، كلّ ما تحاولين إخفاءَه سوف يبقى طيّ الكتمان».

أريدُ أن أقولَ له، أنا لا أحاولُ إخفاءَ أيّ شيء، سوى نشازي، ولكن قبل أن أقول أيّ شيء، رأيتُه يتوجّهُ إلى الباب.

- «نعيشُ في فيرمونت»، يتابعُ. «سوف أعطيكِ العنوانَ بعد أن توقّعي العقدَ. أنتِ مرحّبٌ بكِ للمكوث أطول وقتٍ ممكنٍ ترينه ضرورياً، من أجل الاطلاع على موجودات مكتبها».

يتوقّفُ، ويده ما زالت على قبضة الباب. أفتحُ فمي لأعترضَ من جديد، لكنّ الكلمة الوحيدة، التي خرجت منّي، على مضض، هي «حسناً».

يحدّقُ بي لبرهة، وكأنّ لديه المزيد ليقولَه. ثم يقول، «حسناً».

يفتحُ البابَ، ويخرجُ إلى الرّدهةِ، حيث كان كوري ينتظر. ينسلّ كوري عائداً إلى قاعة الاجتماع، ويغلقُ البابَ خلفه.

أنظرُ إلى الطّاولة، مشوّشة الذهن، لما حدثَ للتوِّ. مشوشة لأنه يُعرض عليّ هذا المبلغ الضخم من المال لقاء عمل لستُ متأكّدة أنني قادرة على إنجازه. نصف مليون دولار؟ وأستطيع إنجاز العمل تحت اسمٍ أدبي مستعار، من دون جولة توقيع، أو التزامات بتسويق الكتب؟ ما الذي قلتُهُ له، بحقّ السماء، أدّى بي إلى هذه النتيجة؟

- «لا أحبّه»، يقول كوري، غاطساً في مقعده. «ما الذي قاله لكِ؟».

- «قال إنهم يلعبون بي الكرة، ويجب أن أطلب نصف مليون دولار، من دون التزامات تسويق الكتب».

أستديرُ، في الوقتِ المناسب، لأرى كوري يختنق، طلباً للمزيد من الهواءِ. يمسكُ زجاجة الماء، التي هي لي، ويأخذُ رشفةً سريعةً. «اللّعنة».

-3-

كان لديّ عشيقٌ في بداية العشرينيات من عمري اسمه آموس، وكان يحبّ أن يأتي أحدٌ ما ويخنقهُ.

هذا هو السّبب الذي جعلنا ننفصل، لأنّني رفضتُ أن أخنقَهُ. لكنّني، أحياناً، أتساءلُ، أين يمكن أن أكونَ لو أنّني لبيّتُ له هذا الدّافع. هل كنّا متزوّجين الآنَ؟ ولدينا أطفال؟ هل كان يمكنُ أن ينتقلَ إلى انحرافات جنسية، أكثر خطراً؟

أعتقدُ أنّ هذا ما أقلقني وأنا معه، أكثر من أيّ شيءٍ آخر. في بدايات العشرينيات من عمر المرء ينبغي أن تلبّي العلاقة الجنسية التقليدية رغبات الشّخص، من دون الحاجة إلى إدخال أشياء الهوس بشكلٍ مبكّر في صلب تلك العلاقة.

أحبُّ أن أفكّرَ بعشيقي، آموس، حين أجدُ نفسي أعاني فاقدةً الأمل في حياتي الراهنة. وحين أحدّقُ بإشعار الإخلاء الورديّ اللّون الذي يحمله كوري في يده، أذكّرُ نفسي أنّ وضعي كان يمكن أن يكون أسوأ بكثير - كان يمكن أن أكون مع آموس.

أفتحُ بابَ شقّتي على مصراعيه، وأسمحُ لكوري بالدخول. لم أكن على علمٍ بأنّه سوف يزورني، وإلّا لكنتُ أزلتُ إشعارَات الإخلاء الملصقة على بابي. إنه اليوم الثالث، على التوالي، الذي أتلقّى فيه إشعار إخلاء. آخذُ منه الورقة، وأرميها في الدرج.

يتأبط كوري زجاجةَ شامبانيا. «حسبتُ أنّنا يمكن أن نحتفلَ بالعقد الجديد»، يقولُ، ثم يناولني الزجاجةَ. أقدّرُ له أنه لم يذكرْ شيئاً عن إشعار

الإخلاء. لم يعدْ بالشّيء الفادح، على كلِّ حال، طالما أنّني أنتظرُ شيكّاً مصرفياً في الأفق. ما الذي سأفعلهُ، حتى ذاك الحين... لستُ متأكّدةً. قد يكون بحوزتي نقوداً تكفي لبضعة أيامٍ في الفندق.

يمكنني، دائماً، أن أرهنَ بعضَ الأشياء التي تركتها أمّي، وراءها.

كوري كان قد خلعَ معطفَه، للتوّ، وبدأ يحلُّ ربطةَ عنقِهِ. إنّه الرّوتين الذي اعتدنا عليه، قبل أن تنتقلَ أمّي وتسكنَ معي. كان يأتي، ويبدأُ بخلع ثيابه قطعةً، قطعةً، حتّى نجدَ أنفسنا، أخيراً، تحت الشّراشف، في سريري.

هذا انتهى، نهائياً، حين اكتشفتُ من خلال وسائل الاتصال الاجتماعي أنّهُ كان على علاقة مع فتاة اسمها ربيكا، وأنّهما خرجا معاً، في أكثر من مرّة، في مواعيد غرامية. لم نضعْ حدّاً لعلاقتنا الجنسية بسبب الغيرة؛ أوقفتُها احتراماً للفتاة التي لم تكن على دراية بها.

- «كيف حال ربيكا؟» أسألُ بينما كنتُ أفتح الخزانةَ الصغيرة لجلب كأسين. يدُ كوري تتوقّفُ فوق ربطة عنقِهِ كأنّما أُصيبَ بصدمة لدى سماعه ما قلتُ، ولدرايتي بما يجري في حياته العاطفية. «أكتبُ روايات الجرائم الغامضة، يا كوري. لا تندهش لأنني أعرفُ كلّ شيءٍ حول صديقتكَ».

لا أنظرُ إلى ردّة فعله. أفتحُ زجاجةَ الشامبانيا، وأملأ كأسين. حين أذهبُ لأناولَ كأساً لكوري، أراه قد جلس للتوّ وراء الطّاولة. أجلسُ قبالته، على الطّرف الأبعد، ونرفعُ كأسينا عالياً. لكنني أنزلُ كأسي قبل أن يبادلني النخبَ المعتاد. أحدّقُ بصفاء الشامبانيا وأجدُ أنه من المستحيل أن أشربَ نخبَ أيّ شيءٍ آخر سوى النقود.

- «إنها ليست سلسلتي»، أقولُ. «إنها ليست شخصياتي. والمؤلّفة المسؤولة عن نجاح هذه الكتب مصابة بارتجاج. ليس من اللائق أن نشربَ نخب هذا».

ما تزالُ كأسُ كوري عالقةً في الهواء. يهزُّ كتفيه ثمّ يرتشف كأسَه كاملةً، في مرة واحدة، ويعيدها إليّ، فارغةً. «ليكن تركيزكِ على خطِّ النّهاية، وليس على السّبب الذي يجعلكِ تلعبين اللّعبةَ».

أقلبُ عينيّ وأنا أضعُ كأسَه الفارغةَ في المغسلة.

- «هل سبقَ وقرأتِ كتاباً واحداً من كتبها؟» يسألُ.

أهزّ رأسي وأفتحُ حنفيةَ الماء. أظنُّ أنه يجب أن أغسلَ الصحون أولاً. أمامي ثمان وأربعون ساعة قبل أن أتركَ هذه الشقّة، وأريدُ أن آخذ صحوني معي حين أغادرُ. «كلّا. وأنتَ؟» أسكبُ رغوةَ التّنظيف في الماء، وأتناولُ إسفنجةً.

يضحكُ كوري. «كلّا. أسلوبُها لا يناسبُ ذائقتي».

أنظرُ إلى الأعلى، باتجاهه، تماماً في اللّحظة التي يدركُ فيها أنّ كلماته تزدوجُ، وتمثّلُ إهانةً لكتابتي بسبب التشابه المزعوم في أسلوب كلّ منّا، بحسب زوج فيريتي.

- «كلّا. ليس هذا ما قصدتُهُ»، يقولُ. ينهضُ ويدورُ حول الطّاولة، واقفاً قربي، خلف المغسلة. ينتظرني حتى أُنهي تنظيفَ أحدِ الصّحون، ثم يأخذُهُ مني، ويبدأُ غسلَه بالماء. «لا يبدو أنّكِ حزمتِ شيئاً من حاجياتكِ. هل وجدتِ شقّةً جديدةً، أم ليس بعد؟».

- «لديّ مكان لوضع الأثاث وخطّة لإفراغِه حتّى يوم الغد. ملأتُ استمارةً عن بناية في بروكلين، لكن لن يتوفّر لديهم شقة فارغة قبل أسبوعين من الآن».

- «إشعارُ الإخلاء يقولُ ما زال أمامك يومان فقط حتّى تغادري».

- «أنا مدركةٌ لذلك».

- «إذاً، إلى أين ستذهبين؟ إلى فندق؟».

- «بالطّبع. سوف أغادرُ يوم الأحد، إلى منزل فيريتي كروفورد. زوجُها يقولُ لا بدّ أن أتحرّى مكتبَها، ليومٍ أو يومين قبل أن أبدأ السلسلة».

بعد توقيع العقد مباشرةً، هذا الصباح، تلقّيتُ رسالةً، عبر البريد الإلكتروني من جيرمي، تتضمّن إرشادات الوصول إلى منزلهم. طلبتُ أن آتي يوم الأحد، ولحسن الحظّ، فقد أعلن موافقته.

يأخذُ كوري صحناً آخر من يدي. أستطيعُ أن أشعرَ به وهو يحدّقُ بي ملياً. «سوف تمكثين في منزلهم؟».

- «كيف لي، لولا هذا، أن أحصل على ملاحظاتِها، وخطوطِها العريضة، للبدءِ بالسلسلة؟».

- «اطلبي منه أن يرسلَها لك عبر البريد الإلكتروني».

- «لديها ملاحظات وملخّصات تمتدّ على عقدٍ من الزمن. جيرمي يقول إنه لا يعرفُ حتى كيف يبدأ، وسيكون أفضل بكثير إذا قمتُ، أنا، بفرزها».

كوري لا يقولُ شيئاً، لكنني أحدسُ بأنه بدأ يقرضُ لسانَه. أمرّرُ الإسفنجةَ فوق نصل السكّين التي في يدي، وأناولُه إياها.

- «ما الذي لا تقولُه؟»، أسألُ.

يغسلُ السكّين بصمتٍ، ويضعُها في المصفاة، ثم يمسكُ بحافّةَ المغسلة، ويستديرُ برأسه نحوي: «الرّجلُ فقدَ ابنتين اثنتين. وزوجته أصيبتْ بارتجاج في تحطّمِ سيّارتها. لستُ متأكّداً أنني أشعرُ بالطمأنينة لمكوثك، هناك، في منزله».

فجأةً أشعرُ بالماء، بارداً، جدّاً، على يديّ. الخدرُ يسري في الذراعين. أغلقُ حنفيةَ الماء، وأنشّفُ يدي، وأسندُ ظهري على حافّة المغسلة. «هل تريدُ أن توحي بأنّه قد يكون على صلة بما حدث لزوجته؟».

يهزّ كوري كتفيه. «ليست لدي معرفة كافية بما حدث لكي أوحي بأيّ شيء. ولكن ألم يخطرْ ببالك هذا الخاطر أبداً؟ وأنه، ربّما، قد يكون منزلاً غير آمنٍ بتاتاً؟ بل أنتِ لا تعرفين شيئاً عنهم».

أنا لستُ جاهلةً. فقد أمضيتُ وقتاً لا بأس به، أبحثُ عن معلوماتٍ عنهم، على شبكة الإنترنت. طفلتهما الأولى كانت تنام خارج المنزل على بعد خمسة عشر ميلاً حين تعرّضت لهجمة مفاجئة من الحساسية المزمنة. لم يكن أحدٌ من والديها -جيرمي أو فيريتي- حاضراً حين حدث ذلك. وابنتهما الثانية غرقت في بحيرة صغيرة خلف المنزل، ولم يصل جيرمي إلى المنزل، عندئذٍ، إلّا عندما كان البحثُ جارياً عن جثتها. كلا الواقعتين اعتُبرتا عرضيتين، أو قضاءً وقدراً. مع ذلك، أرى لماذا يشعر كوري بالقلق، لأنني، بصراحة، كنتُ، أنا، قلقة أيضاً. لكن كلّما تعمّقتُ أكثر في البحث، وجدتُ سبباً أقلّ للشعور بالقلق. حادثتان مأساويتان لا علاقة للواحدة بالأخرى.

– «وماذا عن تحطّم سيارة فيريتي؟».

– «كان حادثاً لا غير»، أقولُ. «اصطدمَتِ المرأةُ بشجرة».

توحي تعابير وجه كوري بأنّه لم يقتنعْ. «قرأتُ بأنّه لا توجدُ آثار مكابح على الإسفلت. وهذا يعني أنها إمّا كانت نائمة، أو أنها فعلتها عن عمد».

– «هل تستطيع أن تلومَها؟» شعرتُ بالضيق لأنه يطلق مزاعم لا تستند إلى أيّ أساس متين. أستديرُ لأكمل غسيلَ الصحون. «المرأة فقدَتِ ابنتيها الوحيدتين، وكلّ من يمرّ بظروفٍ مشابهة يريد أن يبحثَ عن مخرج».

يجفّفُ كوري يديه بمنشفةِ الصّحون، ثم يتناول سترته عن مسند الكرسي. «حادث أم لا، من الواضح أن حظّ هذه العائلة سيئٌ للغاية، وتعاني الكثير، الكثير، من الأذى العاطفي، وبالتالي ينبغي عليكِ أن تكوني في غاية الحذر. ادخلي، وخذي ما تشائين، وغادري».

– «ما رأيكَ لو تشغل بالك بتفاصيل العقد يا كوري؟ وأنا سوف أشغلُ بالي بالجانب المتعلّق بالبحث والكتابة».

يرتدي سترته سريعاً. «أنا أعبّر عن حرصي لا أكثر».

تعبّرُ عن حرصكَ؟ كان يعرف أنّ أمي تحتضر، ولم يسأل ليطمئن عنّي قطّ، خلال شهرين بحالهما. إنه لا يعبّر عن أيّ حرصٍ تجاهي. إنه مجرّد عشيق سابق ظنّ أنني سوف أستقبلُه، الليلةَ بالأحضان، لكنّه، بدلاً من ذلك، رُفض بهدوءٍ، قبل وقت قصيرٍ من اكتشافه أنني سوف أمكثُ في بيت رجلٍ آخر. إنّه يتستّر على غيرتِه تحت قناع الحرص.

أودّعه على الباب، سعيدةً بأنه سوف يغادرُ بهذه السرعة. لا ألومُه لأنه يريد أن يهرب. هذه الشقّة أصابها نحسٌ خفي منذ أن انتقلتْ أمّي لتعيش معي. ولهذا لم أعذّبْ نفسي حتى بتجديد عقد الإيجار، ولم أخبر المالك بأنني سوف أستلمُ نقوداً خلال أسبوعين قادمين. أريدُ أن أخرج من هذا المكان أكثر مما يريدُ كوري أن يفعلَ هذا في هذه اللّحظة.

– «إنك تستحقّين هذا العقد»، يقولُ، «أقدّم لك التهنئة. وسواء كانت هذه السلسلة من ابتكاركِ أم لا، فكتابتُكِ هي التي جاءتْ بكِ إليها. ينبغي أن تكوني فخورة بذلك».

أكرهُ أن أسمعَ كلمات الإطراء منه حين أكونُ في ذروة انزعاجي. «شكراً لكَ».

- «أرسلي لي رسالةً نصّية حالما تصلين إلى هناك، يوم الأحد».
- «سوف أفعل».
- «وأخبريني إن كنتِ تحتاجين مساعدة حين تنتقلين».
- «لن أحتاج إلى أية مساعدة».

يضحكُ قليلاً. «حسناً، إذن».

لا يعانقني أثناء الوداع. يرمي التحية وهو يديرُ ظهره لي مغادراً. لم يسبق لنا أن توادعنا بتلك الطريقة العشوائية من قبل. أشعرُ أنّ علاقتنا عادت أخيراً إلى مسارها الطبيعي: وكيلٌ ومؤلّفةٌ. لا شيءَ آخر.

-4-

كان يمكن أن أختار أيّ شيءٍ آخر أفعله خلال رحلة الستّ ساعاتٍ بالسيارة التي قمتُ بها. كان يمكنُ أن أستمعَ لأغنية «افتتانٌ بوهيمي» لأكثرَ من ستّين مرة. كان يمكن أن أتّصل بصديقتي القديمة، ناتالي، ونلعب معاً لعبةً مسلّيةً، وبخاصّة أنّني لم أتحدّث إليها منذ ستّة أشهر. كنّا نرسل الرسائل النصية بين الحين والآخر، ولكن لا بأس بأن أسمع صوتها. أو، ربّما، كان يمكن أن أستهلك كلّ ذاك الوقت لكي أحضّر نفسي ذهنياً لجميع الأسباب التي سأكون فيها بعيدة عن جيرمي كروفورد خلال الفترة التي سوف أمكثُها في بيته.

ولكن عوضاً عن أن أفعل أياً من هذه الأمور، اخترتُ أن أصغي إلى كتابٍ سمعي للرّواية الأولى في سلسلة فيريتي كروفورد.

لقد انتهتِ الرواية للتوّ. مفاصلُ أصابعي بيضاء اللّون من فرط الإمساك بمقود السّيارة بشكل محكمٍ. فمي جافّ من نسياني شرب قطرة ماء واحدة خلال القيادة. احترامي لنفسي نسيتُهُ في مكانٍ ما في ولاية «ألْباني».

فيريتي كاتبة جيّدة. حقّاً جيّدة.

الآنَ، أندمُ لأنني وقّعتُ العقدَ. لستُ متأكّدةً أنّني أستطيعُ أن أرتقي إلى ذاك المستوى الرفيع. ناهيك بأنّها كتبتْ ستّ روايات حتى الآن، وجميعها تجري على لسان البطل السلبي. **كيف يمكن لدماغٍ واحدٍ أن يختزن كلّ ذاك الإبداع؟**

ربّما الرّوايات الخمس الأخرى فاشلة. بتلك الطّريقة، لن يكون الترقّبُ على أشدّه، انتظاراً للكتب الثلاثة الأخيرة في السلسلة.

على من أضحك؟ في كلّ مرّة تصدرُ إحدى روايات فيريتي، سرعان ما تحقّقُ المرتبة الأولى على قائمة (التايمز) للكتب الأكثر مبيعاً.

جعلتُ نفسي أكثر توتراً بمرتين اثنتين مما كنتُ عليه في مانهاتن.

أمضي بقية الرّحلة جاهزةً تماماً للعودة إلى نيويورك، أجرُّ أذيال الخيبة، لكنّني أُقلعُ عن الفكرة لأن التفكير بأنني لستُ كفوءة بما يكفي ما هو سوى جزء لا يتجزأ من عملية الكتابة. إنها جزءٌ من عملية الكتابة لديّ، في كلّ الأحوال. بالنسبة لي، ثمة خطوات ثلاث لإكمالِ كلّ كتابٍ من كتبي.

أولاً، أبدأُ الكتابَ وأكرهُ كلَّ شيءٍ أكتبُهُ.

ثانياً، الاستمرارُ بكتابةِ الكتاب رغم كراهيتي لكلِّ شيءٍ أكتبهُ.

ثالثاً، أُنهي الكتابَ وأتظاهرُ بأنّي سعيدة.

لا توجد نقطة في عملية الكتابة لديّ أشعرُ إزاءها بأنّني أنجزتُ ما كنتُ عقدتُ العزمَ على إنجازه، أو أصدّق بأنّني كتبتُ شيئاً يحتاج كلّ امرئٍ إلى قراءته. في معظم الأوقات، أبكي وأنا أستحمّ، وأحدّقُ بشاشة الحاسوب مثل كائن الزومبي، أو الميّت الماشي، متسائلةً كيف يمكن لمؤلّفين آخرين أن يسوّقوا كتبَهم بكلّ تلك الثقة. «**هذا أعظم شيء منذ الكتاب الأخير الذي كتبتهُ! يجب أن تقوموا بقراءته!**».

أنا كاتبة وعرة، أعرضُ صورةً لكتابي وأقولُ، «هذا كتابٌ لا بأسَ به. ثمة كلمات في داخله. اقرؤوه، إذا أردتم».

أخشى أن تكون تجربة الكتابة هذه، بالذّات، أكثر سوءاً، حتى مما تخيّلت. إذ بالكاد يقرأ أحدٌ كتبي، ولذلك لا أعاني، كثيراً، من مراجعات سلبية كثيرة. ولكن، في اللحظة التي يصبح فيه عملي في متناول الناس، حاملاً اسم فيريتي، سوف يقرؤه مئاتُ الآلاف من القرّاء، مع الكثير من الآمال المعقودة على هذه السلسلة. وإذا فشلتُ، سوف يعرف وكيلي الأدبي كوري أنّني فشلت. الناشرون سيعرفون أنّني فشلت. جيرمي سيعرف أنني فشلت. وأيضاً... وبحسب حالتها الذهنية، فيريتي سوف تعرفُ أنني فشلت.

لم يوضّح جيرمي، أثناء لقائنا في الاجتماع، إلى أي حدّ كانت إصابة فيريتي بالغة، وبالتالي لم تكن لديّ أدنى فكرة إن كانت إصابتها تمنعُها

من أيّ شكل من أشكال التواصل. ثمة القليل من المعلومات على الشبكة العنكبوتية عن طبيعة ارتطام سيارتها، ما عدا بعض المقالات المبهمة. أصدر الناشر بياناً، بعد وقتٍ قصيرٍ من الحادث، يقول فيه إنّ فيريتي تعرضت لإصابات لا تهدّدُ حياتَها. منذ أسبوعين فقط، أصدروا بياناً آخر يقولون فيه إنّها تتعافى، بسلام، في منزلها. لكن، محرّرتها، أماندا، قالت إنهم يريدون أن يبقوا طبيعة إصابتها بعيداً عن وسائل الإعلام. وبالتالي ثمة احتمال بأن يكونوا قد خفّفوا من خطورة الإصابة.

أو، ربّما، بعد كلّ الفقدان الذي عانته خلال السنتين الماضيتين، قرّرتْ، ببساطة، أنها لا تريد أن تكتب ثانيةً.

أعتقد أنه من المفهوم لماذا يحتاجون في دار النشر إلى ضمان إكمال السلسلة. الناشرون لا يريدون لمصدر دخلهم أن يتهاوى، ويذهبَ هباءً منثوراً. وإذا كنتُ قد تشرّفتُ بطلبهم منّي بأن أكمل السلسلة، فإنني، بالضّرورة، لا أريدُ أن أجدَ نفسي مقذوفةً في دائرة الضّوء. حين بدأتُ الكتابة، لم يكن هدفي أن أصبح مشهورة. حلمتُ بحياة يشتري فيها عدد كاف من الناس كتبي، وأستطيعُ بعدها أن أسدّدَ فواتيري، ولا أجدُ نفسي مدفوعةً باتجاه حياة الغنى والشهرة. مؤلّفون قلائل جداً يصلون إلى هذا المستوى من النّجاح، وبالتالي لم يكن هذا بالشغل الشّاغل لدي، وبأنّ أمراً كهذا سوف يحدث لي.

أنا أدركُ أنّ ربطَ اسمي بهذه السلسلة سوف يعزّزُ من مبيعات كتبي السابقة، ويضمنُ لي فرصاً أكثر في المستقبل، لكنّ فيريتي ناجحة جدّاً، كمثل هذه السلسلة التي آخذها الآن على عاتقي. إنّ ربطَ اسمي الحقيقي بسلسلتها يعني أنّني أُخضعُ نفسي لذاك النّوع من الانتباه الذي أمضيتُ جلّ حياتي أخشى منه.

لا أتطلّعُ إلى خمس عشرة دقيقة من الشّهرة. أنا أتطلعُ إلى قبضِ الشيكَ المصرفي.

سوف يكونُ الانتظارُ طويلاً قبل أن أحصلَ على تلك السلفة المالية. أنفقتُ بقية النقود التي بحوزتي لاستئجار هذه السّيارة، ولوضع حاجياتي

في مخزن عامّ. دفعتُ وديعةً للشقّة، ولن تكون جاهزة حتى الأسبوع القادم، وربما الأسبوع الذي يليه، وهذا يعني أنّ القليل الذي تبقّى سوف أقوم بصرفه على الفندق، حالما أغادرُ منزل كروفورد.

هذه هي حياتي. لا أختلف كثيراً عن المشرّدين، وأعيشُ على حقيبة واحدة، بعد أسبوع ونصف فقط من رحيل أقرب أفرادِ أسرتي. هل يمكن أن تكون الأمور أكثر سوءاً؟

كان يمكن أن أكون متزوّجة من آموس، وبالتالي، الحياة يمكن أن تكون، دائماً، أكثر سوءاً.

– «ربّاه، يا لوين». أحرّكُ عينيّ بسبب عجزي عن إدراك عدد الكتّاب الذين كان يمكن أن يقتلوا أنفسهم للحصول على هذه الفرصة، وهنا أتساءلُ ما إذا كانت حياتي قد وصلتْ إلى حائط مسدود.

الامتنان مفقود يا حزبَ الشّخص الواحد.

ينبغي أن أتوقّفَ عن النّظر إلى حياتي من خلال عدسات والدتي. حين أستلمُ السلفةَ الماليةَ لقاء تلك الرّوايات، سوف يتغيّر كلّ شيءٍ نحو الأفضل. على الأقل، لن أكونَ مشرّدة بين شقّة وأخرى.

دخلتُ الطّريق الفرعية، المؤدّية إلى منزل كروفورد، قبل بضعة أميال. خريطةُ تحديدِ الجهات، الدّولية، تقودني عبر دربٍ طويلةٍ، متعرّجةٍ، تحيطُ بها أشجارُ القرانيا المزهرةُ، والمنازلُ التي ما لبثتْ تتّسعُ، وتترامى.

حين وصلتُ، أخيراً إلى المنعطفِ، أوقفتُ مكابحَ سيارتي المستأجرة، ووقفتُ أتأمّلُ المدخلَ بإعجابٍ شديد. عمودان طويلان من الآجرّ، ينهضان على جانبي الطريق الفرعية، مدخلٌ طويلٌ، كأنّما لا نهايةَ له. مددتُ عنقي لأرى أين ينتهي، لكنّ الإسفلت الأسودَ كان يتلاشى كالأفعى بين الشجيرات. بعيداً، هناك، كان يقعُ المنزلُ، وبعيداً، هناك، داخلَ ذلك المنزلِ، كانت ترقدُ فيريتي كروفورد. لا أعرفُ ما إذا كانت تعلمُ بأنّني قادمة. راحتاي بدأتا تتعرّقان، مما جعلني أرفعهما عن مقودِ القيادة، وأعرّضُهما لهواء المكيّف كي أجفّفهما.

تنفتحُ بوابةُ الأمان أمامي، فأعبرُ على مهلٍ، بمحاذاة الفولاذ، القوي،

المصهور. أقولُ لنفسي، لا تجزعَي، حتى حين ألحظُ النسقَ المتكرّرَ فوق بوابة الحديد يأخذُ شكلَ شبكاتِ العنكبوت. أرتعشُ حين أتبعُ المنحنى، وأرى الأشجار تزدادُ كثافةً، وتزدادُ طولاً، قبل أن يطلّ المنزلُ أمام ناظري. ألمحُ السّطحَ أوّلاً، حين بدأتُ أصعدُ التلّةَ: لونه رمادي كمثل غيمة تذروها عاصفةٌ غاضبةٌ. بعد بضع ثوانٍ، بانَ البيتُ بأكمله، وتجمّدَ النّفَسُ في حنجرتي. حجرٌ داكنٌ ينشرُ لونه أمام عتبةِ المنزلِ، يتخلّلهُ بابٌ أحمر اللون كالدّم، وهو اللّونُ الوحيدُ المريحُ في بحرٍ من الألوان الرّماديّة. العاجُ يغطّي الجانب الأيسر من المنزل، ولكن بدَلَ أن يُدخلَ السّحرَ في النفس، بدا كأنه يشي بالخطر؛ كمثل سرطانٍ بطيءِ النموّ.

أفكّرُ بالشقّة التي تركتُها خلفي: الحيطانُ الوسخةُ، والمطبخُ الصغيرُ جدّاً، والثلّاجةُ الخضراءُ الزيتيّةُ التي يعودُ تاريخها إلى 1970. شقّتي بأسرها لا تصلحُ لأن تكون، على الأرجح، سوى قاعة لمدخل هذا البيت الضّخم، كالمارد. كانت أمّي تقولُ إنّ للبيوتِ روحاً، وإذا كان هذا صحيحاً، فإنّ روحَ منزلِ فيريتي كروفورد كانت سوداء قاتمة حين جاؤوا وسكنوا فيه.

صورُ الأقمار الصناعية على شبكةِ التواصل لم تكن عادلةً مع هذه الأملاك. فأنا تجوّلتُ خلسةً في أرجاء المنزل حتى قبل أن أصلَ إليه. وبحسب موقعٍ مختصّ بالعقارات، فإنّ الزوجان اشتريا المنزل قبل خمسة أعوام، لقاء مليونين ونصف المليون. الآن، يبلغُ ثمنه أكثر من ثلاثة ملايين دولار.

إنّهُ منزلٌ هائلٌ، خارقٌ، وناءٍ، لكنّه يفتقرُ للإحساس النّموذجي الرّسمي المرتبط ببيوتٍ من هذا الحجم. إذ لا يوجدُ ما يوحي بالتفوّق على جدرانه.

أوقفُ السيارة إلى جانب الطّريقِ الإسفلتي، غير عارفة، تماماً، أين ينبغي أن أركنها. المرجُ العشبي مقصوصٌ ومقلّمٌ، بعمق ثلاثة هكتاراتٍ على الأقلّ. البحيرةُ خلف المنزلِ، تنبسطُ من حافّة المزرعة إلى حافّتها الأخرى. الجبالُ الخضراءُ ترسمُ خلفيةً فاتنةً، فائقة الجمال، لدرجة أنّ المرءَ يكادُ لا يصدّقُ المأساةَ الرّهيبة التي حلّتْ بقاطنيه. أتنفّسُ الصعداء حين أرى مساحةً إسمنتيةً قرب أرض المرآب. أضغطُ على المكابح، وأطفئُ المحرّك.

سيارتي لا تليقُ بهذا المنزل على الإطلاق. بحثتُ عن أرخص أنواع

السيارات التي يمكن استئجارها. ثلاثون دولاراً في اليوم. أتساءلُ إن كانت فيريتي قد جلستْ، ولو لمرّة واحدة، داخل سيارة (كيا سول). في المقالة التي قرأتُها عن حادثة التحطّم، علمتُ أنها كانت تقودُ سيارة (رانج روفر).

أمدُّ يدي نحو المقعد الخلفيّ لألتقطَ هاتفي الخليوي من أجل أن أرسلَ رسالةً نصّيةً إلى كوري أخبره فيها أنّني وصلتُ بسلام. حين أضعُ يدي على قبضة الباب الجانبي لباب السائق، أتخشّبُ، وأسندُ عمودي الفقري على المقعد الخلفي. أستديرُ، وأنظرُ من شبّاكي.

- «اللّعنة!».

ماذا يحدثُ، بحقّ الجحيم؟

أضربُ يدي على صدري، لأتأكّدَ أنّ قلبي ما يزالُ يخفقُ، ثم، فجأةً، أحدّقُ بوجهٍ يحدّقُ بشبّاكِ سيّارتي. حين أرى أنّ الشّخصَ الذي يقفُ خلف الباب ليس سوى طفلٍ صغير، أغطّي فمي بيدي، على أملِ أن يكون قد سمعَ حصّته التي يستحقُّ من كلمات السباب. لكنّه لا يضحكُ. واكتفى بالتحديق، وبدا هذا أكثرَ هلعاً، مما لو كان تقصّدَ إخافتي.

إنّه نسخةٌ مصغرةٌ عن جيرمي. الفمُ نفسه، والعينان الخضراوان نفسهما. وقد قرأتُ في إحدى المقالات أنّ فيريتي وجيرمي أنجبا ثلاثة أطفال. لا بدّ أنّ هذا هو ابنهما الصغير.

أفتحُ الباب، فيأخذُ خطوةً إلى الوراء، أثناء خروجي من السيارة.

- «مرحباً». الطفلُ لا يجيب. «هل تعيشُ هنا؟».

- «نعم».

أنظرُ إلى المنزل، خلفه، متعجّبةً ماذا يعني أن يترعرعَ طفلٌ في بيتٍ كهذا، «لابدّ أن تكون حياته هانئةً»، أتمتمُ في سرّي.

- «سبق وكانت هانئةً». يستديرُ الطفلُ ويبدأ السّيرَ على الطّريق الإسفلتي باتجاه الباب الأمامي. على الفور، أشعرُ بالشفقةِ تجاهه. لستُ متأكّدة أنني كرّستُ وقتاً كافياً للتفكيرِ بحالة هذه العائلة. الولدُ الصغيرُ الذي لم يتجاوزِ الخامسة من عمره فقَد شقيقتين. ومن يعلم أي حزنٍ قد تسبّب ذلك لوالدته؟ أعلمُ أنّ فداحة المصاب بائنة على جيرمي.

أتركُ حقيبتي، حتى وقتٍ آخر، وأغلقُ بابي، وأتبعُ الصبيّ الصغير. لا أبعدُ سوى أقدام قليلة عنه حين يفتحُ الباب الأمامي، ويدلفُ إلى داخل المنزل، ثم يوصدُ الباب في وجهي.

أنتظرُ للحظة، وأتساءلُ ما إذا كان قد قام بذلك كنوعٍ من المزاح. لكنّني أستطيع أن أرى، من خلال الزجاج المعرّق لنافذة الباب الأمامي أنه راح يكملُ طريقَه داخل أروقة البيت، ولا يعودُ أدراجَه ليأذن لي بالدخول.

لا أريدُ أن أصفَه بالحقير. إنّه طفلٌ صغير وقد مرّ بظروف صعبة. لكنّني أعتقدُ بأنه يمكن أن يكون حقيراً.

أرنّ جرسَ البابِ وأنتظر.

ثم أنتظر.

ثم أنتظر.

أرنّ جرسَ الباب من جديد، لكنّني لا ألقى جواباً. جيرمي كان قد أورد معلومات عن الاتصال به في الرّسالة الإلكترونية التي أرسلها لي، لذا أستخرجُ رقمَه، وأرسلُ له رسالةً نصّيةً. «أنا لوين. أقفُ قبالة بابك الأمامي».

أرسلُ الرّسالةَ وأنتظر.

بعد مرور بضع ثوانٍ أسمعُ وقعَ خطواتٍ تهبطُ الدرج. أستطيع أن أرى ظلّ جيرمي عبر نافذة الباب، يكبرُ أكثر فأكثر، ويقتربُ من الباب الأمامي. قبل أن يفتحَه، أراهُ يقفُ للحظة، كمن يأخذ نفساً عميقاً. لا أعلمُ لماذا، ولكن تلك الوقفة تطمئنني بأنّني لستُ الوحيدة، الخائفة من هذه الحالة في العموم.

عجيبٌ وغريب، كيف يمنحني خوفُه الدّفينُ شعوراً بالرّاحة. لا أعتقد أنّ هذا ما يجب أن يكون.

يفتحُ البابَ، ورغم أنه الشّخص نفسه، الذي قابلتهُ، قبل بضعة أيام، لكنّه بدا... مختلفاً. إنه لا يرتدي بزّة أو ربطةَ عنق، ولا تحيطُ به هالةٌ من الغموض. يرتدي بنطلوناً قصيراً، وقميصاً أزرق اللّون. جرابات ولا حذاء. «مرحباً».

يتفرّسُ بي للحظة، ثم يقفُ جانباً، ويفتحُ البابَ بزاويةٍ أوسع، ويؤشّر لي بالدخول. – «آسف. كنتُ في الطّابق العلوي. طلبتُ من ابني كرو أن يفتحَ الباب. لكنّني أظنُّ أنه لم يسمعْني».

أخطو إلى داخل البهو.

- «هل لديكِ حقيبة؟» يسأل جيرمي.

أدورُ باتجاهِهِ، وأنظرُ إليه، وجهاً لوجه. «نعم، إنّها في المقعدِ الخلفي، ولكن أستطيعُ أن أجلبها لاحقاً».

- «هل السيّارة مفتوحة؟».

أومِئ برأسي.

- «سوف أعودُ على الفور». يرتدي حذاءً كان يضعه خلف الباب، ويمضي خارجاً. أدورُ في حلقة بطيئة، أتفحّصُ ما يحيطُ بي. لم يكن ثمة فروقات عن الصّور التي رأيتُها على الشبكة العنكبوتية. ينتابني شعورٌ غريبٌ لأنّني رأيتُ جميع الغرف في المنزلِ، والفضل يعودُ إلى صفحة إلكترونية تختصّ بالعقارات. أشعرُ أنني أعرف طريقي في أرجائه، وأنا بعد لم أقطعْ خمس أقدام داخل البيت.

ثمة مطبخ على اليمين، وغرفة جلوس على اليسار، يفصلُ بينهما ردهةٌ، لها درجٌ يؤدّي إلى الطّابق الثاني. المطبخُ في الصور مرصّعٌ بخشبِ الكرزِ الدّاكن، لكن تمّ تحديثَه مؤخراً، وجميعُ الخزانات القديمة تم نزعها، واستُبدل معظمها بالرّفوف، والمستودعات الصغيرة ذات الخشب الأكثر صفرةً، فوق حاجز المغسلة.

يوجدُ فرنان اثنان، وثلاجةٌ لها بابٌ زجاجي. كنتُ أحدّقُ بها من مسافة بضعة أقدام، حين ظهر الولدُ راكضاً على الدّرج. يمرُّ بمحاذاتي ثم يفتحُ الثلاجة، ساحباً زجاجة صودا. أراقبُه وهو يحاولُ بصعوبة أن يفتحَ الغطاءَ.

- «تريدني أن أفتحَها لكَ؟» أسألهُ.

- «نعم، من فضلكِ»، يقولُ، ناظراً إليّ نحو الأعلى، بتلك العينين الخضراوين، الواسعتين.

لا أصدّق أنني حسبتُ بأنّه الولد الشقي. صوتُه عذبٌ جدّاً، ويداهُ صغيرتان جدّاً، لا تستطيعان حتى أن تفتحا علبةَ صودا. آخذها منه وأفتحُها بكلّ سهولة. البابُ الأمامي ينفتحُ بينما كنتُ أناولُ كرو علبة الصودا.

جيرمي يوجّهُ بصرَه باتجاه كرو: «قلتُ لكَ منذ قليل، ممنوع شرب

الصودا». يسندُ حقيبتي على الحائط، ويقترب من كرو ساحباً علبة الصودا من بين يديه. «هيا، اذهب، وحضّر نفسَكَ للاستحمام. سألحقُ بك بعد دقيقة».

يخفضُ كرو رأسَه، وينصرفُ راكضاً، باتجاه الدّرج.

جيرمي يقطّب حاجبيه. «لا تثقي، أبداً، بذاك الولد. إنّه أشطرُ منّا كلانا، مجتمعين». يأخذُ رشفةً من الصّودا، قبل أن يعيدَها إلى الثلّاجة. «هل ترغبين بشربِ أيِّ شيء؟»

– «كلّا، أنا على ما يرام».

يمسكُ جيرمي حقيبتي، ويحملها، ماشياً، عبر الرّدهة. «آملُ بأن لا يبدو الأمرُ غريباً، لكنني أعطيتكِ غرفة النوم الرئيسية. جميعنا ننام، الآن، في الطّابق العلوي، وحسبتُ أنّ الأمور ستكون، بذلك، أكثر سهولةً، لأنّها الغرفة الأقرب إلى مكتبها».

– «لستُ متأكّدة أنّني سأمضي اللّيلةَ هنا»، أقولُ وأنا أمشي خلفه. المكان يبعث فيّ إحساساً محبطاً، وسيكون أمراً جيّداً أن أنهي عملي، وآخذ ما أحتاجُ إليه، وأبحثُ عن فندق.

– «أنوي أن أتحرّى مكتبها، وأقيّمَ الحالة».

يضحكُ، ويدفعُ بابَ غرفةِ النّوم. «ثقي بي. سوف تحتاجين، على الأقلّ، ليومين متتالين. وربّما أكثر». يضعُ الحقيبةَ فوق منضدةٍ صغيرة، عند أقدام السّرير، ثم يفتح باب الخزانة الرئيسية، ويشير لي إلى مساحة خالية. «فردتُ بعض المساحة، في حالِ أردتِ أن تعلّقي بعض الأشياء». ثم يشيرُ إلى الحمّام. «الحمّامُ لكِ وحدك. لستُ متأكداً أن أغراض الحمّام متوفّرة جميعها. أرجو أن تخبريني إن كنتِ تحتاجين شيئاً. أنا متأكّد أن لدينا كلّ شيء هنا».

– «شكراً لكَ». أقلّبُ ناظريّ في أرجاء الغرفة، وأشعرُ أنّ كلّ شيءٍ يتّشحُ بالغرابة. وبخاصّة أنني سأنامُ في سريرهما. عيناي ذهبتا إلى مسندِ السّرير الخشبي عند الرأس، ووقعتا بخاصّة على آثارِ عضٍّ بالأسنان فوق حافّة المسند وسط السرير. أزيحُ بصري، على عجلٍ، قبل أن يلحظَ جيرمي نظراتي. ربما كان سيرى ملامح وجهي، وأنا أتساءلُ من منهما كان يعض

بأسنانه على الحافّة، كي يبقى الهدوءُ مسيطراً أثناء ممارسة الجنس. **هل سبق لي أن مارستُ الجنسَ بذاكَ التركيز؟**

– «هل أتركُكِ دقيقةً لوحدكِ، هنا، أم تحبّذين المضي قدماً، لرؤية بقية أرجاء المنزل؟» يسألُ جيرمي.

– «أنا على ما يرام»، أقولُ وأتبعُ خطواته. إنّه يمشي باتجاه الرّدهة، لكنني أتوقّفُ، وأرمقُ بابَ غرفة النّوم. «هل لهذا الباب قفل؟»

يرجعُ خطوة إلى الخلف، داخلِ الغرفة، ناظراً إلى قبضة الباب. «لا أعلمُ إن كنّا جرّبنا أن نقفلَه أبداً». يحرّكُ القبضةَ. «أنا متأكّد أنّني أستطيعُ العثورَ على قفلٍ، إذا كان هذا مهمّاً بالنسبة لك».

لم أنمْ في غرفةٍ بلا قفلٍ منذ كنتُ في سنّ العاشرة. أريدُ أن أتوسّلَ إليه لإيجاد قفلٍ، مع ذلك لا أريدُ أن أبدو أكثر تطفّلاً، مما أنا عليه، للتوّ.

– «كلّا، لا ضيرَ في ذلك».

يرفعُ يدَه عن الباب، ولكن، وقبل أن يتابعَ سيره باتجاه الرّدهة، مرّةً أخرى، قال: «قبل أن آخذكِ إلى الطابق العلوي، هل اخترت اسماً أدبياً سوف تعتمدينه من أجل كتابة هذه السلسلة؟».

لم أفكّر بالأمر منذ أن عرفتُ أنّ دار بانتيم وافقتْ على المطالب التي أخبرني جيرمي بأنّ عليَّ عرضها.

أهزّ كتفي. «لم أفكّر حقاً بالأمر».

– «أحبّ أن أعرّفكِ على ممرّضة زوجتي فيريتي، وأستخدمُ اسمكِ الأدبي في حال كنتِ لا تريدين لأحدٍ أن يربطَ بينك وبين السلسلة».

إصابتها خطيرة للغاية لدرجة أنها تحتاجُ إلى ممرضة؟

– «حسناً. أظنّ...» لا توجد لدي أدنى فكرة عن الاسم الذي سوف أستخدمه.

– «ما اسم الشّارع الذي نشأتِ فيه؟» يسأل جيرمي.

– «لورا لين».

– «ما اسمُ أوّل حيوانٍ أليفٍ قمتِ باقتنائه؟».

- «تشيس. كلب يوركي».
- «لورا تشيس»، يقولُ. «يعجبني الاسم».
أميلُ برأسي بعدما أدركتُ ذاك النمط من الاستجواب على الفيس بوك. «أليست تلك هي الطريقة التي يحزرُ فيها النّاسُ اسمَ نجمِ البورنو المفضّل لديهم؟».

يضحكُ. «اسم أدبي. اسم نجم البورنو. يبدو أنّ الآلية واحدة». يشيرُ لي بأن أتبعَهُ. «تعالي وقابِلي فيريتي، أوّلاً، بعدئذ سوف أرافقكِ إلى مكتبها».

يصعدُ جيرمي الدَّرجَ، خطوتين، فخطوتين. يوجد مصعد يبدو أنه رُكّب حديثاً، بمحاذاة المطبخ، تماماً. لا بدّ أن فيريتي تنتظرُ الآن، جالسةً في كرسيها المتحرك. ربّاه، يا للمرأة المسكينة!

ينتظرني جيرمي حتى أصلَ أعلى الدرج. تتفرّع الردهةُ حيث ثلاثة أبواب في جهة واحدة، يقابلها بابان اثنان في الجهة الأخرى. ينعطفُ نحو اليسار.

- «هذه غرفة كرو»، يقول، مشيراً إلى الغرفة الأولى. «أنامُ في تلك الغرفة». يشير إلى الباب المحاذي لغرفة كرو.

قبالة هاتين الغرفتين ثمة غرفة أخرى. الباب مغلق، وبالتالي يطرق عليه بنعومة، ثم يقومُ بفتحه.

لم أكن متأكّدة ماذا سأرى، لكنني، بالتأكيد، لم أكن أتوقّع ما رأيته.

كانت تستلقي على ظهرها في السّرير، محدقةً نحو السّقف، شعرها الأشقر منسدلٌ فوق وسادتها. ممرضة ترتدي صدرية زرقاء تقف عند سريرها، وتضع الجوارب فوق قدميها. الصبي، كرو، يجلسُ بالقرب من فيريتي، على السّرير، حاملاً لوحَ حاسوبه الصغير. عينا فيريتي خاويتان، لا تعبّران عن أي اهتمامٍ بمحيطِها. ثم إنها تبدو غير واعية للممرّضة بقربها. وغير واعية لوجودي. أو لابنها كرو. أو لجيرمي وهو ينحني ليزيلَ شعرةً عن جبهتها. ترمشُ، بين الحين والآخر، ولكن لا شيء آخر، هناك. لا تعيرُ انتباهاً للرّجل الذي أنجبتْ منه ثلاثة أطفال، والذي يحاول أن يحنو عليها، الآن.
أحاولُ أن أخفي القشعريرةَ التي سرتْ في ذراعيّ.

الممرضة تخاطب جيرمي: «بدتْ متعبةً، فقلتُ في نفسي أضعُها في السّرير، باكراً، هذه الليلة». وتبسطُ شرشفاً فوق فيريتي.

يتوجّه جيرمي نحو النّافذة، ويسدلُ السّتائر. «هل تناولتْ دواءَ ما بعد العشاء؟».

ترفعُ الممرضةُ قدمي فيريتي، وتدسُّ أطراف الشرشف تحتهما. «أجل، ستكون على ما يرام، حتّى منتصف الليل».

الممرضة أكبر سناً من جيرمي. وربّما هي في منتصف الخمسينات من عمرها. شعرها أحمر قصير. تنظر إليّ، ثم تنظر إلى جيرمي، منتظرةً التعارف.

يهزُّ جيرمي رأسَه كأنه نسي أنني موجودة بينهم. يشير بيده نحوي ناظراً إلى الممرضة. «لورا تشيس، المؤلّفة التي أخبرتكِ عنها. لورا، هذه إبريل، ممرّضة فيريتي».

أصافحُ إبريل يداً بيد، وأشعرُ بحكمها عليّ وهي تقيسني بنظراتها من الأعلى إلى الأسفل. «ظننتُ أنكِ ستكونين أكبر سناً». تقول.

ما الذي ينبغي أن أقوله مقابل تلك الكلمات؟ إذا جمعتُ النظرات التي وجهّتها نحوي، فإنّ لتعليقها ذاك نكهةَ الفخّ، أو الاتهام. أتجاهلُ التعليقَ وأبتسم. «يسرّني اللقاءُ بكِ، يا إبريل».

– «وأنا أيضاً». تأخذُ حقيبة يدها عن طاولة تزيين الشعر مصوبةً انتباهَها نحو جيرمي. «أراكَ في الصباح. ينبغي أن يكون ليلاً سلساً». تمدّ يدها وتقرصُ فخذَ كرو. يقهقهُ الولدُ، ويمشي مبتعداً عنها. أقفُ جانباً، بينما تغادرُ إبريل غرفةَ النّوم.

أرمي نظرةً باتجاه السّرير. ما تزال عينا فيريتي مفتوحتين لا تنظران إلى شيء بعينه. لستُ متأكدةً أنها أدركت بأنّ ممرضتها قد غادرت. هل هي واعية لأيّ شيءٍ حولها؟ ينتابني إحساسٌ مرعبٌ تجاه كرو. وتجاه جيرمي. وتجاه فيريتي.

لا أعرفُ إن كنتُ أريدُ أن أعيش في ظرفٍ كهذا. معرفتي بأنّ جيرمي متمسّكٌ بهذه الحياة... جعل الأمرَ، بمجمله، سبباً للاكتئاب. هذا البيت، والمآسي التي في ماضي هذه العائلة، والصراعات في حاضرهم.

- «كرو، لا تجبرْني على فعلِ ما لا أحبّ. هيّا، اذهبْ واستحمّ».

ينظر كرو نحو الأعلى، باتجاه جيرمي، ويبتسم، لكنّه يبقى جالساً على السّرير.

- «سوف أعدّ إلى الثلاثة».

يضعُ جيرمي شاشة الحاسوب جانباً، لكنه يستمرّ في تحدّي جيرمي.

- «ثلاثة،... اثنان»، بعدئذٍ، وعند العدد واحد، ينقضّ على كرو، ويمسكُ بكاحليه، رافعاً جسدَه في الهواء. «سوف تُمضي الليلَ رأساً على عقب!».

كرو يضحكُ ويحاول التملّص. «ليس مرّة أخرى!».

يرمي جيرمي نظرةً باتجاهي. «لورا، كم من الثواني يمكن لطفلٍ أن يتدلّى رأساً على عقب، قبل أن يتخربطَ دماغه ويبدأ يتكلّم بالمقلوب؟».

أضحكُ من هذه المواجهة بينهما. «قيل لي عشرين ثانية. ولكن يمكن أن تكون خمس عشرة».

كرو يقول، «لا، بابا، سوف أذهبُ وأستحمّ! لا أريدُ لدماغي أن يكون رأساً على عقب!».

- «وسوف تنظّف أذنيك؟ لأنهما، بوضوح، لم يكونا يعملان جيّداً، حين طلبتُ منك، منذ قليل، أن تذهبَ وتستحمّ».

- «أعدكَ بذلك!».

يرفعه جيرمي إلى مستوى كتفه، ثم يعيدهُ للوقوف على قدميه. يمسّدُ على رأسِه، ويقولُ له، «اذهبْ».

أراقبُ كيف ينطلقُ كرو، خارجَ الباب باتجاه غرفة نومه، عبر الرّدهة. إنّ رؤية جيرمي في حالة جدل مع كرو يجعلُ المنزلَ أكثر دفئاً. «يا لهُ من طفلٍ وسيم. كم عمره؟».

- «خمسة أعوام». يقولُ جيرمي. يمدّ يده باتجاه خاصرة سرير فيريتي ويرفعه قليلاً. يتناولُ جهاز التحكم عن الطاولة، بالقرب منها، ويديرُ جهاز التلفزيون.

كلانا يغادرُ الغرفةَ، وجيرمي يغلقُ البابَ خلفه بلطفٍ. أقفُ الآنَ في

وسط الرّدهة، وها هو ينظرُ إليّ، وجهاً لوجه. يدسُّ يديه في جيوبِ بنطاله الرّمادي اللّون. بدا وكأنّه يريدُ أن يقولَ المزيد ويشرحَ المزيد. لكنّه لا يفعل. يتنهّدُ، ويرمي نظرةً باتجاه غرفة نومِ فيريتي.

– «يخاف كرو أن ينامَ، هنا، لوحده. لطالما تحلّى بالجرأة، لكنّ اللّيالي باتتْ صعبةً بالنسبة له. يريدُ أن يكون قريباً منها، لكنّه لا يحبّ النوم في الطابق السفلي. انتقلنا، معاً إلى هنا، كي أجعل الأمور أكثر سهولةً». يمشي جيرمي عبر الرّدهة من جديد. «هذا يعني الصعودَ والهبوط على الدرج في أثناء الليل». ينيرُ مصابيحَ الرّدهة. «هل تريدين رؤية مكتبها؟».

– «بالطبع».

أتبعه نحو الطابق السفلي، باتجاه الباب المزدوج، عند قاعدة الدَّرَج. يدفعُ أحدَ الأبواب كاشفاً عن أكثر الجوانب حميميةً في حياة زوجته.

مكتبها.

حين أخطو إلى الدّاخل، أشعرُ أنني على وشك أن أتحرّى درجَ ملابسِها الدّاخلية. يوجدُ رفوفٌ من الكتب، تمتدّ من الأرضِ إلى السّقف، وكتبٌ كثيرة مدسوسة في كلّ فراغٍ متوفّر. صناديق صغيرة من الأوراق تغطّي مساحة الجدران. المكتب... يا إلهي! مكتبها. إنه يغطّي مساحةً واسعة من أوّل الغرفة إلى آخرها، ممتداً على طول حائطٍ ذي نوافذ طولانية ضخمة، تطلّ على كامل الباحة الخلفية. لا يوجدُ سنتيمتر واحد من المكتب لا تغطّيه أكداسُ الجرائد والمصنّفات.

– «ليست الشّخصَ الأكثر ترتيباً في العالم»، يقولُ جيرمي.

أبتسمُ بعدما أدركتُ شبهاً ما مع فيريتي. «معظم الكتّاب يفتقرون للترتيب».

– «سوف يستغرق الأمرُ وقتاً لا بأس به. سوف أحاول ترتيبه بنفسي، لكنّه أعجميّ بالنسبة لي».

أمشي باتجاه أحدِ الرّفوف الأكثر قرباً منّي، وأمرّر يدي فوق بعض الكتب. إنها طبعات أجنبية من كتبها. أختارُ نسخةً ألمانيةً عن الرفّ وأتفحّصُها.

– «لديها حاسوب الطّاولة وحاسوبها المحمول». يقولُ جيرمي. «كتبتُ

لكِ كلمات السرّ فوق قصاصات لاصقة». يتناولُ دفتر الملاحظات الموضوع بالقرب من حاسوبها. «كانت تكتبُ ملاحظاتها باستمرار. تدوّنُ أفكارَها. تكتبُ خواطر فوق المحارم الورقية. تسجّل حوارات متخيّلة في الحمّام، فوق لوح الملاحظات الإلكتروني المضادّ للماء». يعيدُ جيرمي الدفتر إلى مكانه، فوق طاولة المكتب. «مرة استخدمتْ قلمَ تخطيط مائي لتكتب أسماء الشخصيات فوق حفّاضات ابننا كرو. كنّا في حديقة الحيوانات، ولم تكن تحمل دفتر ملاحظاتها الإلكتروني ذاك».

يدورُ دورةً بطيئةً كاملةً بينما كان ينظر في أرجاء المكتب، كأنّما كان قد مضى وقتٌ طويلٌ منذ أن خطا خطوةً واحدةً إلى هنا. «كان العالمُ مخطوطتها. لم يكنْ يوجدُ سطحٌ بمنأى عن قلمها».

يغمر الدفءُ كياني للطريقة التي يعبّر فيها عن احترامه لعمليتها الإبداعية. أدورُ حول نفسي داخل حلقة صغيرة، وأمتصّ اللّحظةَ حتى آخرها. «ليست لديّ أدنى فكرة عمّا أنا مقبلةٌ عليه».

– «لم أكن أريدُ أن أضحكَ حين قلتِ إنكِ قد لا تحتاجين للمكوث هنا أكثر من ليلة واحدة. ولكن، بكلّ صدق، قد يستغرقك الأمرُ أكثر من يومين. إذا سارت الأمور على هذا المنوال، أهلاً بكِ للبقاء أطول فترة تحتاجين إليها. أتمنى، من جهتي، أن تأخذي وقتكِ، وتتأكّدي أنك حصلتِ على كلّ ما تريدينه، وهذا أفضل من العودة إلى نيويورك، تعصف بك الحيرةُ حيال ما ينبغي فعله».

أنظرُ إلى الرفوف التي تضمّ السلسلة التي أنا بصدد إكمالها. ينبغي أن تكون هناك تسعة كتب تؤلف قوامها الكلّي، وقد نُشر منها ستةٌ للتوّ، وبقي ثلاثة ينبغي إكمالها، وتسليمها. عنوان السلسلة هو (الفضائل النبيلة)، حيث يتطرق كلّ كتاب منها إلى فضيلة مختلفة. الفضائل الثلاث المتبقية لي هي الشجاعة، والحقيقة، والشّرف.

الكتب الستّة موضوعة على رفّ واحدٍ، وقد أسعدني وجود نسخ إضافية منها. أختارُ نسخةً من الرواية الثانية، وأنزلُها عن الرفّ، وأبدأ بتصفّحها.

– «هل أُتيح لكِ قراءة السلسلة أم ليس بعد؟»، يسأل جيرمي.

أهزّ رأسي بالنفي غير راغبة بالإفصاح عن استماعي للنسخة المسجّلة.

قد يطرح عليّ أسئلة عنها. «لم أقرأها بعد. لم يُتِحْ لي الوقت بين توقيع العقد والمجيء إلى هنا». أعيدُ الكتابَ ثانيةً إلى الرفّ. «ما هو كتابكَ المفضّل؟».

– «لم أقرأ أياً منها. منذ كتابها الأول».

أدورُ حول نفسي وأنظرُ إليه. «حقّاً؟».

– «لا أحبُّ أن أكونَ داخل رأسِها».

أزجرُ ابتسامتي، لكنه يذكّرني الآن، ولو قليلاً بوكيلي كوري. جيرمي ليس قادراً على الفصل بين العالم الذي تبتكرهُ زوجتُه والعالم الذي تعيشُ فيه حقاً. مع ذلك، يبدو جيرمي أكثر تيقظاً من كوري بمسافات كبيرة.

أنظرُ حولي في أرجاء الغرفة، ويصيبني الارتباك قليلاً، لكنني لستُ متأكّدة أنّ السبب يعودُ إلى وجود جيرمي بقربي، هنا، أم السبب هو كلّ هذه الفوضى التي ينبغي أن أتحرّى جميع تفاصيلها. «بل إنّني لا أعلمُ كيف أبدأ».

– «نعم. سوف أدلّكِ على هذا». يشيرُ جيرمي بيده إلى باب المكتب. «ربّما ينبغي أن أذهبَ وأتفقّد كرو. خذي كاملَ راحتكِ. طعام...شراب... البيتُ بيتكِ».

– «شكراً».

يغلقُ جيرمي البابَ، وأجلسُ أنا خلف مكتب فيريتي. كرسيٌّ مكتبها وحده يكلّف، ربّما، أكثر من أجرة شهرٍ أدفعُها عن شقّتي. أتساءلُ كم ستكون الكتابة أسهل لمن يملكُ المالَ، ويبذّره على أشياء لطالما حلمتُ بامتلاكها في أثناء الكتابة. أثاث مريح، ومال كافٍ أنفقه على مدلّكة محترفة عند الطلب، وأملك أكثر من حاسوب شخصي. أتخيّل أنّ هذا سوف يجعل عملية الكتابة أقلّ عرضةً للضغوط. أملكُ حاسوباً واحداً. لوحة مفاتيحه فقدتْ زرّاً للتوّ، وخدمة «واي فاي» متوفّرة فقط حين ينسى الجارُ كلمة السرِّ مفتوحة. في منزلي، أجلسُ على كرسيّ طاولة طعام قديمة، خلفَ مكتبٍ متنقّلٍ، هو، في الواقع، طاولة بلاستيكية، قابلة للطيّ، كنتُ طلبتُ شحنَها عن طريق خدمة أمازون مقابل خمسة وعشرين دولاراً.

في معظم الأحيان، أجدُ أنّني لا أملكُ النقود الكافية لشراء حبرٍ جديد للطابعة، أو ورقاً للحاسوب.

أظنُّ أنّ وجودي هنا، في مكتبها، لبضعة أيام، سيكونُ بمثابة فرصة لامتحان نظريتي. كلّما كنتَ أكثر غنًى كنتَ أكثر إبداعاً.

أختارُ من الرفّ الكتابَ الثّاني من السلسلة. أفتحهُ، وفي نيتي إلقاء نظرة فقط. أريدُ أن أرى كيف استأنفتِ السّرد من حيث انتهتْ في الكتابِ الأوّل.

وجدتُ نفسي أستغرقُ في القراءة لمدة ثلاث ساعات متواصلة.

لم أتحرّك من مكاني، ولو لمرّة واحدة. فصلٌ، يتلوهُ فصلٌ، ثم فصلٌ آخر، من الدهاء، والشخصيات الملعونة. حقّاً، هي شخصياتٌ ملعونةٌ. أحتاجُ وقتاً، لا بأسَ به، كي أرتقي بنفسي إلى مستوى حالتها الذهنية في أثناء الكتابة. لا عجبَ أن جيرمي لا يقرأ عملَها. جميعُ كتبها مسرودة من منظورِ الرّاوي الوغد، أو الشخصية السلبية، وهذا شيءٌ جديدٌ بالنسبة لي. كان ينبغي حقّاً أن أقرأ جميعَ هذه الكتب قبل وصولي إلى هنا.

أنهضُ واقفةً، وأتمطّى كي أريحَ عمودي الفقري. لكنني لا أشعرُ بأيّ ألمٍ قطّ. كرسي المكتب التي كنتُ أجلسُ عليه هو الأكثرُ راحةً من أية قطعة أثاث وضعتُ مؤخّرتي فوقها في حياتي.

أنظرُ حولي، حائرة ما إذا كان يجب أن أبدأ بملفّات الحاسوب أم بالملفّات المطبوعة.

أقرّرُ أن أتفحّصَ حاسوب المكتب. أتملّى بعض الملفّات على محرّك ميكروسوفت، الخاص بالكتابة، ويبدو أنّه البرنامج المفضّل لها. كلّ الملفّات التي عثرتُ عليها تعودُ للكتب التي كتبَتْها. لا ينتابني قلق حيال هذه الآن. أريدُ أن أعثر على أية خطط متعلقة بالكتب التي لم تكتبها بعد. جميع الملفّات على حاسوبها المحمول هي نفسها الموجودة على حاسوبها الثابت في مكتبها.

ربما كانت فيريتي من ذاك النمط من الكتّاب الذين يكتبون الأفكار الرئيسة بخطّ يدهم. ينصرف انتباهي إلى أكداس الصناديق عند الحائط الخلفي قرب خزانة خشبية. طبقة رقيقة من الغبار تغطّي قمّتها العليا. أتحرى بعض الصناديق وأسحبُ العديد من المخطوطات، في مراحل مختلفة من الكتابة، لكنها جميعها نسخٌ مختلفة من كتبها في السلسلة التي انتهت من كتابتها. لا شيء يوحي بما كانت تخطّطُ له في كتابها القادم.

وصلتُ للصندوق السادس، ورحتُ أنبشُ محتوياته، وعثرتُ على شيء يحملُ عنواناً غير معهود. هذا العنوان هو «**ليكنْ هذا إذاً**».

أقلّبُ صفحاته القليلة، الأولى، يحدوني الأمل بأن يحالفني الحظّ وأعثر على الخطوط الرئيسة لكتابها السابع في السلسلة. أدرك، تقريباً على الفور، أن هذا ليس ما أبحثُ عنه. يبدو هذا... شيئاً شخصياً جدّاً. أعودُ إلى الصفحة الأولى من الفصل الأول، وأقرأ السطر الأول.

أحياناً أفكّرُ بتلك الليلة التي التقيتُ فيها بجيرمي، وأتساءلُ لو لم تكن عيني قد وقعت عليه، ونظر كلٌّ منّا إلى الآخر، هل كانت حياتي ستصلُ إلى النهاية نفسها؟

حالما أجد اسمَ جيرمي مكتوباً بين السطور، أتفحّصُ المزيد من فقرات الصفحة. **إنها سيرتها الذاتية.**

ليس هذا ما أنا بصدد البحث عنه. الناشرون لم يدفعوا لي كي أقوم بتحويل السيرة الذاتية، ولذا لا بدّ من الاستمرار في البحث. أرمي نظرةً من فوق كتفي لأتأكّد أنّ البابَ ما زال مغلقاً لأن فضولي بدأ يزدادُ. ناهيك بأنّ قراءة شيء من هذا القبيل يمثّل بحثاً بحدّ ذاته. أريدُ أن أرى كيف يعملُ عقل فيريتي من أجل أن أفهمَها ككاتبة. تلك كانت حجّتي، على أية حال.

أحملُ المخطوطة معي إلى الكنبة، وأعدّل جلستي، وأبدأ القراءة.

ليكن هذا إذاً

للكاتبة فيريتي كروفورد

ملاحظة المؤلفة:

الشيء الذي أمقتُه في السير الذاتية هي الأفكار الزائفة التي ترفرف فوق كلّ جملة. لا ينبغي على أيّ كاتب أن يملك الجرأة للكتابة عن نفسه إلّا إذا كان راغباً بفصلٍ كلّ طبقة حماية بين روح المؤلّف وكتابه. الكلمات يجب أن تتدفّق من أتون الإحساس، وتمزّقُ اللّحمَ والعظمَ أثناء انطلاقها حرّةً مباغتةً، بشعة وصادقة، ودموية، وقليلاً مخيفة، لكنّها عارية بالمطلق. السيرة الذاتية التي تشجّع القارئ على محبّة المؤلف ليست سيرة ذاتية حقيقية. لا أحدَ يمكن أن يكون محبوباً إذا انكشف داخله على الملأ. ينبغي أن ننتهي من قراءة السيرة الذاتية ونحن في أحسن الأحوال أسرى شعور بالتقزز غير المريح من مؤلّفها.

وأنا سوف أفي بما قلتُ.

ما ستقرؤهُ سيكونُ له طعماً رديئاً في بعض الأحيان، وسترغبُ ببصقِهِ، لكنّك سوف تزدردُ الكلمات التي سوف تصبحُ جزءاً منك، ومن إحساسك، وسوف تتوجّعُ بسببها.

مع ذلك،... بالرّغم من تحذيراتي السّخية،... سوف تستمرُّ بالتهامِ كلماتي، فها أنت ذا هنا.

إنسانيّ.

فضوليّ.

هيا انطلق.

الفصل الأول

«ابحثْ عن الشّيء الذي تحبُّه،
ودعْه يقتلكَ».

• تشارلز بوكوفسكي

أحياناً أفكّرُ بتلك الليلة التي التقيتُ فيها جيرمي وأتساءلُ، لو لم تكن عيني وقعت على عينه، ونظرَ كلٌّ منّا إلى الآخر، هل كانت حياتي ستشهدُ النهايةَ نفسها؟ هل كان قدري، منذ البداية هو المعاناة من تلك النهاية التراجيدية؟ أم إنّ نهايتي المأساوية هي نتيجة خيارات متواضعة أكثر منها قدراً مرسوماً؟

بالطبع لم أصلْ إلى نهاية تراجيدية بعد، أو ربّما لا أستطيع أن أسردَ ما الذي يمكن أن يؤدّي إليها. رغم ذلك، إنّها آتية، لا محالة. أقصد نهايتي. أستطيع أن أشتمّها مثلما شممتُ موتَ تشاستين من قبل. ومثلما عانقتْ قدرَها، سوف أعانقُ قدري.

لا أقول إنّني كنتُ ضائعةً قبل تلك الليلة التي قابلتُ فيها جيرمي، لكنّني، بالتأكيد، لم أجدْ نفسي إلّا في تلك اللّحظة عندما وقع بصره عليّ، عبر تلك الحجرة المترامية.

كنت على علاقة غرامية مع شبابٍ قبله. بل ربطتني علاقات متعددة كانت تدومُ ليومٍ واحدٍ وتنتهي. لكنني لم أكن أتخيّلُ ولو لبرهةٍ واحدة العيشَ دائماً مع شخصٍ آخر، حتى تلك اللحظة. حين رأيتهُ، رسمتُ صورةً على الفور لليلتنا الأولى، ولزفافنا، ولشهر عسلنا، ولأطفالنا.

حتى تلك اللحظة كان الحبُّ، بالنسبة لي، شيئاً مفبركاً. مجرّد خدعة فحسب. خطّة تسويقية تقومُ بها شركاتُ بطاقاتِ المعايدة. لم يكن لدي أدنى اهتمامٍ بالحبّ. كانت غايتي، في تلك الليلة، الشّرب بالمجّان حتى الثمالة، واللقاء بمستثمرٍ غنيٍّ أُمضي بقية اللّيل معه. كنتُ على وشك ذلك بعد أن كرعتُ ثلاث كؤوسٍ من النبيذ. ومن خلال مظهر جيرمي كروفورد وحده، ظننتُ أنني سأغادرُ تلك الحفلة بصيدٍ ثمين. لقد بدا ثرياً، خاصة أنّ غاية الحفلة تلك كانت جمع التبرعات. الفقراء لا يحبذون الظهور في حفلات من هذا النوع إلّا إذا كانوا يقومون على خدمة الأثرياء.

الشركة الحالية ليست مشمولة.

كان يتبادلُ الحديثَ مع رجالٍ آخرين، لكنّه ما يفتأ يصوّبُ، بين الفينة والأخرى، نظراته باتجاهي، حتى إنني شعرتُ بأننا وحدنا في تلك الغرفة. وبين الفينة والأخرى، كان يبتسمُ لي. بالطبع كان يبتسم. كنتُ أرتدي فستاني الأحمر في تلك الليلة، ذاك الثوب الذي سرقته من أحد محلات «ميسي».
لا تطلق حكمك عليّ. كنتُ مجرّد كاتبة تتضوّرُ جوعاً، والفستانُ باهظ الثّمن بشكلٍ لا يُصدق. كنتُ أنوي أن أكفّرَ عن سرقتي حين تتحسّنُ أحوالي المادية. سوف أتبرع لصالح إحدى الهيئات التي تُعنى بالفقراء أو أنقذ طفلاً، أو ما شابه. الشّيء الذي أحبّه في الآثام هو أنه لا يترتّب عليكَ أن تكفّر فوراً، وذاك الفستان الأحمرُ لائقٌ عليّ بشكلٍ كبير، ولا ينبغي أن أعكّرَ صفوَه.

إنه فستانٌ يصلحُ للمضاجعة، قولاً واحداً. إنّه من ذاك الطراز الذي يسهلُ على الرّجل الغوص تحته والوصول إلى ما بين الساقين. الخطيئة التي ترتكبها النساء حين يخترْن ملابسهنّ لمناسبة كتلك التي أحضرُها الآن هي أنهنّ لا يفكّرْن بها من وجهةِ نظرِ الرّجل. المرأة تريدُ لثدييها أن يبدوان شهوانيين، ولقامتها أن تكون جاذبةً للعناق. حتى وإن كان ذلك يعني التضحية بالرّاحة، وارتداء أشياء من المستحيل خلعها. ولكن حين ينظرُ الرّجالُ إلى الملابس، لا يعنيهم كثيراً كيف تُظهرُ الأردافَ، أو ربطة الحزام عند الخصر، أو الربطة الباذخة فوق أعلى الظّهر. إنّهم يحسبون حساباً واحداً ما إذا كان من السّهل نزعها. هل سيكون بمقدور الرّجلِ أن يمرّرَ يده فوق فخذ المرأة حين يكونان جالسين جنباً إلى جنب خلف الطاولة؟ هل سيكون بمقدوره مضاجعتها

في السيارة، بعيداً من تعقيدات السحّاب أو الزمّام. هل سيكون بإمكانه مضاجعتها داخل الحمام، من دون أن ينزعَ ملابسها بالكامل؟

الأجوبة عن فستاني الأحمر المسروق هي نعم، نعم، اللّعنة، نعم.

وأنا أرتدي هذا الفستان، أدركتُ أنه سيكون من الصعب عليه تماماً أن يغادر الحفلة قبل أن يلتمسَ منّي القربَ. اخترتُ أن أتوقّفَ عن توجيه انتباهي نحوه، فقد جعلني ذلك أبدو مندفعةً. لم أكن أنا الفأر بل قطعة الجبن. سوف أبقى واقفةً هناك حتى يأتي إليّ بنفسه.

وقد جاء، بالطبع. كنتُ أقفُ خلف طاولة البار، مديرةً له ظهري، حين اقترب ووضع يده على كتفي، وانحنى إلى الأمام، مشيراً بيده إلى نادل البار. جيرمي لم يكن قد نظر إليّ في تلك اللحظة. اكتفى بأن أبقى يده على كتفي، وكأنه يعلنني جزءاً من ممتلكاته. حين اقترب نادلُ البار، رحتُ أنظرُ باندهاش. قرّبَ جيرمي منّي رأسَه أكثر وقال: «إياكَ أن تقدّمَ لها أيّ شيءٍ آخر سوى الماء حتى آخر المساء».

لم يكن ذلك يقع في حسباني. استدرتُ واضعةً إحدى يدي على طاولة البار، ونظرتُ إليه وجهاً لوجه. أنزلَ يدَه عن كتفي، ولكن ليس قبل أن لمست أصابعه ذراعي حتى أسفل الكوع. ومضةُ كهرباء سرت في مفاصلي، ممزوجةً بمنسوبٍ لا بأس به من الغضب.

– «أنا قادرة تماماً على أن أقرّر متّى أتوقّفُ عن الشرب».

ابتسم جيرمي ابتسامة متكلّفة في وجهي، ورغم أنني كرهتُ تلك الابتسامة، لكنّه بدا لي وسيماً. «أنا متأكّد أنكِ قادرة».

– «لم أشرب سوى ثلاث كؤوس طيلة هذا المساء».

– «جيّد».

وقفتُ منتصبةَ القامة وناديتُ النادل أن يأتي. «أريدُ كأساً أخرى من فضلك».

رمقني النادلُ بنظرة سريعة، ثم نظر إلى جيرمي. وعادَ ونظر إليّ. «أنا آسف، يا آنسة. لقد طُلب منّي أن أقدّمَ لكِ الماء فقط».

جحظت عيناي دهشةً. «سمعتهُ يطلبُ منك أن تقدّم لي الماء، وكنتُ أقف هنا تماماً. لكنني لا أعرفُ هذا الرجل، ولا هو يعرفني. أريدُ كأساً أخرى».

– «لن تتناول سوى الماء»، قال جيرمي.

أنا بالتأكيد انجذبتُ إليه، لكنّ وسامته بدأت تضمحلُّ شيئاً فشيئاً نظراً لما أبداهُ من موقف شوفيني. رفع نادل البار كلتا يديه وقال: «لا أريدُ أن أتدخّل فيما يجري بينكما. إذا كنتِ تريدين المزيد من النبيذ، اذهبي واطلبيه من البار، هناك». وأشار إلى بارٍ عبر الغرفة. حملتُ جزداني، ورفعتُ ذقني عالياً في الهواء، وانصرفتُ. حين وصلتُ إلى البار الآخر، وجدتُ كرسياً، فجلستُ أنتظرُ النادل المنهمك مع زبونٍ آخر. في غضون ذلك، ظهر جيرمي من جديد، مستنداً، هذه المرة، بكوعه على طاولة البار.

– «لم تعطني الفرصة لأشرح لماذا أرغبُ بأن لا تحتسي سوى الماء».

فتلتُ رأسي باتجاهه. «عفواً. لم أكن أعلمُ أنني أعرْتكَ وقتي».

ضحك، وظل يقترب حتى أدار ظهره للبار، وراح يحدق بي مائلاً برأسه نحوي، راسماً ابتسامة على محياه. «كنتِ تحت مرمى بصري منذ اللحظة التي دلفتِ فيها من ذاك الباب. احتسيتِ ثلاث كؤوس في أقلّ من خمس وأربعين دقيقة، وإذا بقيتِ على هذا الإيقاع، سوف لن أشعر بالراحة وأنا أطلبُ منكِ أن تخرجي معي. أفضّل أن تقرّري وأنتِ لستِ ثملة».

بدا لي صوته كأنّ حنجرته مغسولة بالعسل. بادلته النظرات وتساءلتُ ما إذا كان هذا ليس تمثيليةً فحسب. هل يمكن لرجل بتلك الوسامة وذاك الغنى المفترض أن يكون أيضاً بتلك الكياسة؟ بدا كلُّ شيءٍ زائفاً، لكنّني سمحتُ لنفسي بأن أنجذبَ إلى هدهدته.

اقترب النادلُ منّي بتوقيتٍ لا خللَ فيه. «ماذا بوسعي أن أُحضرَ لكِ؟».

شددتُ ظهري مستقيماً نحو الأعلى، وأزحتُ بصري عن جيرمي. استدرتُ وواجهتُ النادلَ. «كأس ماءٍ من فضلك».

– «اجعلْهما اثنتين»، قال جيرمي.

وكان ما كان.

مضت سنوات على تلك اللّيلة، ومن الصعب تذكّر كلّ تفصيل فيها، لكنني أذكرُ أنني انجذبتُ إليه في تلك اللّحظات الأولى بطريقة لم أعهدها من قبل، مثلما لم أنجذبْ إلى رجلٍ آخر قبله. أحببتُ نبرةَ صوته. أحببتُ ثقتَه بنفسه. أحببتُ أسنانَه الناصعةَ، المكتملةَ. أحببتُ الشَّعر النابتَ فوق ذقنه الحليقة، وتخيّلتُ المتعةَ حين تحتكُّ بأسفل بطني. وقد يتركُ وخزاً خفيفاً إذا مكَثَ رأسَه طويلاً هناك.

أحببتُ جرأتَه وهو يلمسني فيما كنّا نتبادلُ أطرافَ الحديث، ومع كلّ لمسة من أنامله كانت تسري دغدغة مرتعشة في أنحاء جسدي.

وبعدما انتهينا من احتساء الماء، قادني جيرمي إلى باب الخروج، واضعاً يده حول خصري، أسفل الظّهر، متحسّساً خيوط ثوبي برؤوس أصابعه.

مشينا باتجاه سيارة الليموزين. فتح لي الباب الخلفي، وولجتُ إلى الدّاخل. جلس على المقعد قبالتي، بدلاً من الجلوس إلى جانبي. كان للسيارةِ رائحةُ مزهرية ورد، لكنّني حدستُ أنّها رائحة العطر فحسب. أحببتُ عبقَها مع حدسي أنّ ثمةَ امرأةً أخرى كانت في السّيارة، قبلي. وقعتْ عيناي على زجاجة شامبانيا نصف فارغة وبالقرب منها كأسان للنبيذ، إحداهما مقلّمة بأحمرِ الشفاه.

من تكون هذه الفتاة؟ ولماذا غادر الحفلةَ معي وليس معها؟

لم أكلّف نفسي عناءَ طرحِ السؤال بصوتٍ عالٍ، ذلك أنّه اختارَ أن يغادرَ معي. وهذا هو المهمّ حقّاً.

جلسنا صامتَين لدقيقة أو اثنتين، كلٌّ منّا يرمقُ الآخر بشيءٍ من الترقّب. لقد عرفَ أنّه استحوذَ عليّ في تلك اللّحظة، ما جعله يملكُ الجرأةَ لكي ينحنيَ إلى الأمام، ويرفعُ إحدى ساقيّ، ويريحُها على المقعدِ، بجانبه. ثم وضع يده على كاحلي، وراح يدغدغه بأنامله، ناظراً إلى صدري يعلو ويهبطُ تحت تأثيرِ لمساته.

– «كم عمركِ؟» سألني. جعلني سؤاله أفكّر للحظة، فقد بدا جيرمي أكبر سنّاً منّي، أي في أواخر العشرينيات، أو ربّما أوائل الثلاثينيات. لم أكن أريد أن تجفلَه الحقيقة، فكذبتُ عليه، وقلتُ له في الخامسة والعشرين.

- «تبدين أصغر سناً».

أدركَ أنني كنتُ أكذبُ. خلعتُ حذائي، وتركتُ أصابعَ قدمي تمسحُ ردفيه من الخارج. - «اثنتان وعشرون».

ضحك جيرمي وقال، «كاذبة، أليس كذلك!».

- «أبدّلُ الحقائقَ حيث أرى ذلك مناسباً. أنا كاتبة».

يدُهُ انتقلتْ إلى ربلة ساقي.

- «كم عمركَ؟».

- «أربع وعشرون»، قال، مفصحاً عن نسبة ما من الحقيقة تعادلُ ما أفصحتُ به أنا.

- «يعني.... ثمان وعشرون؟».

ابتسم. «سبع وعشرون».

كانت يده قد وصلت إلى ركبتي في أثناء ذلك. أردتُها أن تتوغّل أكثر باتجاه الأعلى. أردتُها على فخذي، وبين ساقيّ، كي تستكشفني من الدّاخل. أردتهُ، ولكن ليس هنا. أردتُ أن أذهبَ معه كي أرى أين يسكنُ، وأقيسَ راحةَ سريره، وأشمَّ أغطيتَه، وأتذوّقَ طعمَ بشرتِهِ.

- «أين هو سائقكَ؟» سألتهُ.

ألقى جيرمي نظرةً خاطفة إلى الخلف، باتجاه مقدّمة سيارة الليموزين. «لا أعلم»، أجاب، وعاد ينظر إليّ. «هذه ليست سيارتي». بدتْ ملامحُه خبيثةً، ولم أستطعِ التكهّنَ ما إذا كان يكذبُ أم لا.

أغمضتُ عينيَّ نصف إغماضةٍ، متسائلةً ما إذا كان هذا الرّجل قد أغواني إلى سيارة ليست له. «لمن تكون سيارة الليموزين هذه؟».

غادرتْ عيناهُ عينيَّ، وراحتا تركّزان على حركةِ يده. تلك اليد التي تقتفي آثار دوائر صغيرة على ركبتي. «لا أعرف». ظننتُ أنّ رغبتي سوف تخبو لمجرّد أن يخطر لي بأنه ليس ثرياً، لكنّ اعترافه ذاكَ جعلني أبتسم. «أنا رجلٌ بسيط من عامّة النّاس»، قال. «أقودُ سيارة من طراز هوندا. وقد ركنتُها بنفسي لأنني لا أجرؤ على التضحية بعشرة دولارات للبوّاب».

تفاجأتُ لأنني أحببتُ فكرة اصطحابه لي إلى سيارة ليموزين ليست له أصلاً. وأنه لم يكن ثرياً. لم يكن ثرياً لكنّ رغبتي بالنّوم معه لا تُقاوَم.

– «أنظّفُ مكاتبَ البنايات»، اعترفتُ له. «سرقتُ ورقةَ الدّعوة إلى هذه الحفلة من مكتبِ النفايات. لا يُفترض بي أن أكونَ هنا أصلاً». ابتسمَ، وشعرتُ أنني أريدُ أن أتذوّق تلك الابتسامة على وجهه، مثلما لم أشعرْ بذلكَ من قبل. «ألستِ غنيّة؟» انزلقتْ يده خلف ركبتي، ثمّ سحبني باتجاهه. رأيتُ نفسي أتدحرجُ عن المقعد، وأقعُ في حضنه، وكأنّ الثّوبَ الذي أرتديه فُصّل خصيصاً لتلك الحركة. شعرتُ به ينتصبُ بين ساقيّ فيما يضغطُ بإبهامه على شفتي السفلى. مرّرتُ لساني فوق صفحة إبهامه، ما جعله يشهقُ شهقةً قصيرةً. لم تكن أنيناً. لم تكن حشرجةً. تنهّدَ كأنّما كان يشعرُ بأكثر الأمورِ لذّةً.

– «ما اسمكِ؟» سأل.

«فيريتي».

– «فيريتي». كرّرها مرّتين. «فيريتي. هذا جميلٌ حقّاً».

عيناهُ فوق فمي. حين همّ وانحنى كي يقبّلني، أدرتُ وجهي.

– «ما اسمكَ؟».

شعّتْ عيناه وهما تنظران إلى عينيّ، «جيرمي». قال كلماته بسرعة، كأنّ لفظَ الاسم هدرٌ لوقتِه، ومقاطعةٌ ليستْ في أوانها لقبلتنا الأولى. في اللّحظة التي خرَجَ الاسمُ من فمه، لامستْ شفتاهُ شفتيّ، وفي اللّحظة التي تلامستِ الشفتان، أُنيرت لمبةُ السقف فجأةً فوق رأسينا، فتجمّدنا معاً، وارتختْ شفتانا، وتيبّسَ جسدانا، حين صعد أحدهم وجلس خلف مقودِ السّائق.

– «اللّعنة»، همسَ جيرمي في فمي. «عودةٌ في غير أوانها». أبعدني عنه، وفتح الباب. أشار لي بالخروج من السيارة في اللحظة التي أدركَ فيها السائقُ أن ثمة أحداً آخر معه في السيارة.

– «من؟» صرخَ مستديراً برأسه صوب المقعد الخلفي.

أمسكَ جيرمي يدي وبدأ يسحبني نحوه، لكنني كنتُ أريدُ التخلّص من

حذائي. تمسّكتُ بذراعه، فتوقّف بينما كنتُ أخلعُ الحذاء من قدميّ. همّ السائق بالاقتراب منّا. «أنتما، بحقّ الجحيم، ماذا كنتما تفعلان في سيّارتي؟».

أمسك جيرمي فردتي حذائي بيده، وبدأنا نركضُ في الشّارع، ونقهقهُ في العتمة، وحين وصلنا إلى حيث يركنُ سيارته، كانت أنفاسنا قد انقطعتْ. لم يكن يكذبُ. سيارته من نوع هوندا سيفيك، لكنّها من الطّراز الجديد، وهذا مؤشرٌ ما. دفعني إلى حائط مقعد المسافرين، ورمى بحذائي فوق الأرض الصلبة، وترك إحدى يديه تبحرُ في شعري. نظرتُ من فوق كتفي إلى السيارة التي أسندني عليها، وقلتُ له «أهي حقّاً سيارتكَ؟».

ابتسمَ فيما كان يُخرجُ من جيبِ سترتِه لوحةَ المفاتيح. ثمّ فتح الأبوابَ ليبرهن لي أنّها سيّارته بالفعل، ما جعلني أغرقُ بالضحك.

حدّق بي مليّاً، بينما راح فمه يضغطُ على فمي بقوّة، وكدتُ أُقسم أنه كان يتخيّل لتوّه كيف ستكون حياتَه معي. لا ينظرُ أحدٌ إلى أحدٍ بالطّريقة نفسها التي كان ينظرُ فيها إليّ –بماضيه كلّه– من دون تخيّل مستقبله أيضاً.

أغمض جفنيه وقبّلني. كانت القبلةُ تطفحُ بالرّغبة والاحترام معاً، شعوران لا يدركُ الكثيرُ من الرّجال أنّهما يتناغمان معاً.

بدت أنامله مريحةً داخل شعري، وبدا لسانه سلساً داخل فمي. وشعرتُ بارتياحٍ كبيرٍ وأنا بين أحضانه. شعرتُ كم أنا منسجمة معه، من الطّريقة التي قبّلني بها. كلانا كان يعرفُ القليلَ عن الآخر، في تلك اللّحظة، لكنّ ذاك كان ربّما هو الشّيء الصّحيح. أن تتبادل قبلةً مع غريب بكلّ ذاك الدفء، يعني القول: **«لا أعرفُ عنك شيئاً، لكنّني لو جرّبتُ أن أعرفَ فسوف أحبّك أكثر»**.

أحببتُ فكرة أنه يؤمن بإمكانية حبّه لي، بل كدتُ أصدّق أنّني يمكن أن أكونَ انسانةً محبوبةً.

حين فكّ وثاقي، مبتعداً عنّي، وددتُ لو أنني أذهبُ معه. وددتُ لو أنّ فمي يتبعُ فمَه، وأصابعي تظلُّ مشبوكةً بأصابعه. كان عذاباً حقيقياً بقائي في مقعد السيارة الخلفي، حين أدار المحرّك وانطلقنا. كنتُ أحترق من الداخل. لقد أضرم ناراً في أحشائي، وقد عقدتُ العزمَ على أن لا أدعَها تخمدُ.

قبل أن ينام معي دعاني إلى الطعام.

أخذني إلى مطعم للوجبات السريعة، وجلسنا جنباً إلى جنب خلف الطّاولة، وتناولنا رقائق البطاطا المقلية، وبين القبلة والقبلة، احتسينا كوكتيل الشوكولا. كان المطعم خاوياً تقريباً، ما جعلنا نختار ركناً معزولاً، بعيداً عن الأنظار، لا يجعل أحداً يلاحظ كيف كانت يدُ جيرمي تنزلق على فخذي، وتغيبُ بين ساقيّ. لا أحدَ سمعَ أنيني. لا أحد أعار اهتماماً حين سحبَ يدَه وهمسَ لي قائلاً إنّه لا يريدُ أن يجعلَني أصلُ ذروةَ النشوة داخل مطعمٍ للأكل السّريع.

لكنّني لم أكن أمانع البتّة.

– «خذني إلى فراشك، إذن؟» قلتُ له.

وهذا ما فعله. يقعُ سريره وسط شقة صغيرة في بروكلين. لم يكن جيرمي ثرياً. وبالكاد كان قادراً على دفع فاتورة المطعم. لكنّني لم أكنْ لأكترثْ. كنتُ فوق سريره، مستلقيةً على ظهري، أراقبهُ وهو يخلعُ ملابسَه، حين أدركتُ أنّها ستكون المرّة الأولى التي أمارسُ فيها الجنس. كنتُ جرّبتهُ من قبل، ولكن مع جسدي فقط.

ثمة الكثير مما كنتُ أعوّل عليه في تلك اللّحظة، يتجاوز مجرّد اللّذة الجسدية. كان قلبي يطفحُ بما لا أعرفهُ حقّاً. لكنّ قلبي سبق وامتلأ بالفراغ مع رجال آخرين أتوا قبل جيرمي.

كم بدا الجنسُ مختلفاً حين لا يمارسهُ المرءُ مع جسده فقط. لقد أشركتُ هذه المرّة قلبي وأعماقي وعقلي وآمالي. لقد وقعتُ في تلكَ اللّحظةِ... ليس في الحبّ، بل أنا وقعتُ، سقطتُ، هويتُ.

كأنّني كنتُ أقفُ على حافّة جرفٍ طوال حياتي، وأخيراً، وبعد لقائي جيرمي، شعرتُ بثقة كافية كي أقفزَ من علٍ. لأنّني –ولأوّل مرّة في حياتي– شعرتُ بأنّني لن أحطّ على غصنٍ، وأنّني سوف أظلُّ محلّقةً كالطّائر.

أنظرُ إلى الماضي الآن، وأدركُ كم كنتُ مجنونةً لأن أعلقَ في الشباكِ بكلّ تلك السرعة. أجل، كان ضرباً من الجنون لأنّ شعوري تجاهه لم يهدأ أو يتوقّف منذئذٍ أبداً. لو أنّني استيقظتُ في اليوم التالي، وانسللتُ هاربةً من شقّته، لكان انتهى كلّ شيء، ولكانت مجرّد ليلةَ لهوٍ واحدة، لن تتكرّر، وما

كنتُ سأتذكّرُ أياً من هذا بعد انقضاء كلّ هذه السنوات. لكنني لم أغادرْ في الصباح التالي، واتّقدتِ العلاقةُ بيننا أكثر. ومع كلّ يومٍ كان يمضي وينقضي، كنتُ أشعرُ أكثر فأكثر بقيمة اللّيلة الأولى التي أمضيناها معاً. كان ذاك بالضبط هو الحبُّ من النظرة الأولى. ولن يصبح حبّاً من النظرة الأولى حتى تُمضي وقتاً طويلاً مع الشّخص لكي تقتنع أنه الحبّ من النظرة الأولى.

لم نغادرْ شقّته على مدى ثلاثة أيام متواصلة.

كنّا نتناول طعاماً صينياً نطلبه من المطعم، ثم نعودُ الى الجنس. نطلبُ البيتزا ونعودُ إلى الجنس. نشاهدُ التلفاز، ونعودُ إلى الجنس.

كلانا شعر بالإرهاق من الذّهاب إلى العمل في أوّل يوم اثنين، وجاء الثلاثاءُ وشعرتُ أنّ مسّاً قد أصابني. صرتُ ممسوسةً بضحكتِهِ، بقضيبِهِ، بفمِهِ، بمهارتِهِ، بحكاياتِه، بيديه، بثقتِه، بلطفِه، وبحاجةٍ عميقةٍ وجديدةٍ لإسعادِه.

كنتُ محتاجةً لإسعاده.

كنتُ أحتاجُ لأن أكون سبباً في ابتسامتِه، وفي تنفّسِه، وفي استيقاظِهِ كلَّ صباح.

ومرّ قسطٌ من الزمنُ، كنتُ حقّاً كذلك. أحبّني أكثر مما أحبّ أيَّ شخصٍ آخر، وأيّ شيءٍ آخر. وصرتُ السببَ الأوحدَ في وجوده على قيد الحياة.

حتّى جاء ذاك اليوم الذي اكتشفَ فيه الشيءَ الوحيدَ الذي كان يعني له أكثرَ مما يعني لي.

-5-

كنتُ قد انتهيتُ من التحرّي في درج فيريتي الخاصّ بالملابس الدّاخلية، وها أنا الآنَ أبحثُ بين ملابسِ الحرير والمخملِ. أنا مدركةٌ تماماً أنّه لا ينبغي أن أقرأ هذه المخطوطة. إذ ليست هي السّبب الذي أتى بي إلى هنا. ولكن....

أرمي المخطوطة على الأريكة بالقرب مني، وأطيلُ التحديقَ بها. في رأسي أسئلة كثيرة تدور حول فيريتي. أسئلة لا تستطيع أن تجيب عنها، وأسئلة لا يشعرُ، ربّما، جيرمي بالرّغبة في البحث عن أجوبة لها. أحتاجُ لأن أعرفَ عنها المزيدَ لأرى كيف يعملُ عقلُها، ولا يمكن الحصولُ على أجوبةٍ من أي مصدرٍ آخر سوى سيرتِها الذّاتية. تلك السيرة التي تنطوي على كلّ هذا الصّدق الذي لا يرحم.

إني أرى نفسي وقد انحرفتُ قليلاً عن المسار، وهذا ما لا ينبغي أن أفعلَه حقّاً. أنا هنا لأجدَ ما أحتاجُ إليه، ثم أنصرف بعيداً عن شبكة هذه العائلة. لقد عانى أفرادُها ما يكفي ولا يحتاجون لغريبٍ مثلي أن يحشر أنفَه في شؤونهم الخاصّة.

أمشي باتجاه طاولة المكتب الرئيسية وأرفعُ جهازي الخليوي. الساعة تجاوزت الحادية عشرة للتوّ. كنتُ قد وصلتُ في السّابعة هذا المساء، ولم أتوقّع أنّ الوقت قد تأخّر جدّاً. بل إنّني لم أسمعْ شيئاً خارج هذا المكتب. كأنّ جدرانه عازلة للصّوت.

اللّعنة. ربما كانتْ كذلك. لو كنتُ أستطيعُ شراءَ مكتبٍ عازلٍ للصّوتِ أعملُ فيه، لما تردّدتُ لحظةً واحدة.

أنا جائعة.

إنّه شعورٌ غريبٌ بأن تكون جائعاً في منزلٍ لا تألفُ فيه شيئاً. أعرفُ أنّ جيرمي قال لي لا تتصرّفي كغريبة، وهكذا توجّهتُ إلى المطبخ.

لم أكن قد مشيتُ سوى بضع خطواتٍ، حتى توقّفتُ في اللّحظة التي فتحتُ فيها بابَ غرفةِ المكتب.

لا شكّ أن المكتبَ عازلٌ للصوت، وإلّا لكنتُ سمعتُ كلّ هذا الضجيج الآتي من الطابق العلوي. وقد توقّفتُ لكي أركّز على مصدره. بل صلّيتُ صلاةً صغيرةً بأن لا يكونَ كما خمّنتُ.

أمشي بهدوء وتؤدة إلى أسفل الدرج، وتأكّدتُ أنّ الصّوت آتٍ من غرفة فيريتي. إنّه صوتُ صريرِ السّرير. صريرٌ متكرّر يشبهُ الصّوت الذي يصدرهُ سريرٌ حين يعتلي رجلٌ جسدَ امرأةٍ.

آهٍ، يا إلهي. أضعُ أصابعي المرتعشةَ على فمي. **كلّا، كلّا، كلّا!**

ذات مرّةٍ قرأتُ مقالةً عن حالةٍ مشابهة. امرأةٌ أُصيبتْ إصابةً بالغة في حادثِ سيرٍ، وفقدتْ وعيها. وُضعت في دار للرعاية، حيث اعتاد زوجها زيارتها يومياً. شكّ القيّمون على المبنى أنه قد يكون على علاقة جنسية معها، بالرّغم من حالة فقدانِها للوعي، فنصبوا كاميراتٍ خفيّة في الداخل. تمّ القبض على الزوج بتهمة الاغتصاب لأنّ زوجتَه لم تكن قادرةً على إعطاء إشارة الموافقة.

تماماً كما هو حال فيريتي الآن.

ينبغي أن أفعلَ شيئاً. ولكن ما هو؟

- «الضجيجُ عالٍ، أعرفُ ذلك».

أتنهّدُ بغتةً حين أرى جيرمي يقف أمامي يرمقني مباشرةً بنظراته.

- «يمكنني أنّ أخمدَ الضجيجَ إن كان يسبّبُ لكِ ازعاجاً»، يقولُ.

- «لقد أخفْتَني». صوتي مترعٌ بالأنفاس. أطلِقُ زفيراً عميقاً بعد أن أدركتُ أنّ ما كنتُ أسمعهُ لا علاقةَ له بما خطرَ في ذهني للتوّ. ينظرُ جيرمي من فوق كتفي إلى حيث منبعِ الضجيج.

- «إنه سريرُ المشفى الذي ترقدُ فوقه. مجهّزٌ بعدّادٍ زمني يرفعُ أجزاءً

مختلفة من فراشها إلى الأعلى كلّ ساعتين. يخفّفُ الثقلَ على بعضٍ نقاط الضّغط».

أشعرُ بالحرجِ الشّديدِ يزحفُ فوق عنقي. أصلّي للربّ بأن لا يكون قد قرأ ظنوني حول مصدر تلك الضجّة. أغطّي صدري بيدي لأخفي الاحمرار الذي كنتُ متأكّدةً منه. بشرتي شديدة البياض، وحين أُصاب بالتوتّر أو الإحراجِ أو الإرهاق، تفضحُني بشرتي، وينفجرُ لوني طفحاً قرمزياً غاضباً فوق جلدي. كم أتمنى أن أغطسَ الآن تحت سجّادة هؤلاء الناس الأغنياء وأختفي إلى الأبد.

أتنحنحُ قليلاً. «يصنعون أسرّةً على تلكَ الشاكلة؟» كان يمكن أن أستعملُ واحداً حين كانت أمّي طريحةَ الفراش. لكَمْ كانتْ معاناتي شديدةً حين كنتُ أحاولُ تحريكَها بمفردي من جنبٍ إلى آخر.

– «أجل، لكنّها أسرّة باهظة الثمن جدّاً. عدّةُ آلاف من الدولارات للسّرير الواحد، الجديد، وأموال الضمان لا تكفي لتغطية نفقاته».

أشعرُ بغصّة من ذاك السّعر الباهظ.

– «هل أقومُ بتسخينِ بعض الطّعامِ المتبقّي»، يقولُ. «هل أنتِ جائعة؟».

– «في الحقيقة، كنتُ في طريقي إلى المطبخ».

يمشي جيرمي إلى الخلف. «لديّ بيتزا».

– «ممتاز». أنا أكرهُ البيتزا.

ينطفئ العدّادُ الزمني للميكروويف ما إن يقترب منه جيرمي. يسحبُ من داخله صحناً من أقراص البيتزا الطازجة، ويناولني إياه، ثم يقوم بتحضير صحنٍ آخر لنفسه. «كيف تجري الأمور معكِ، هناك، في المكتب؟».

– «على نحوٍ جيّد»، أقولُ. أنتشلُ زجاجة ماءٍ من الثلّاجة، وأجلسُ على مقعدٍ على الطاولة. «أنتَ على حقّ، مع ذلك. ثمة عملٌ كثير. قد يستغرق الأمرُ وقتاً أطول، وأحتاج إلى بضعة أيام».

يتكئ على حافّة الطاولة المستطيلة منتظراً صحن البيتزا ليسخنَ. «هل تعملين بشكلٍ أفضل خلال الليل؟».

- «أجل. أسهرُ عادةً إلى ساعةٍ متأخّرة، ثم أنامُ في الصباحات. آملُ بأن لا يشكّلُ هذا عائقاً».

- «كلّا، على الإطلاق. أنا، في الحقيقة، طائر بومٍ ليليّ أيضاً. ممرضةُ فيريتي تغادرُ في أوقات المساء، ثم تعودُ في السّابعة صباحاً. أسهرُ حتى منتصف الليل كي أُعطي فيريتي دواءَها الليليّ. ويأتي دور الممرضة حين تصل إلى هنا». يُخرجُ صحنَ البيتزا من الفرن الصغير، ويجلسُ قبالتي، على كرسيٍّ خلف الطاولة.

لا أستطيعُ حتّى أن أنظرَ في عينيه. كلّ ما أستطيع التفكير به حين أنظر إليه هو ذاك الجزء من مخطوطة فيريتي حين تذكرُ كيف امتدّتْ يدَه إلى فخذيها في مطعم الوجبات السريعة. يا إلهي! ما كان ينبغي أن أقرأ هذا. الآن سأحمرُّ خجلاً كلّما نظرتُ باتجاهه. يداهُ حلوتان أيضاً، وهذا لا يساعدُ في حالةٍ كهذه.

ينبغي أن أبدّلَ وجهةَ أفكاري.

كما أفعلُ الآن.

- «هل سبق وتحدّثتما معاً عن السلسلة التي كانت تكتبها؟ على سبيل المثال، عن خطّتها في رسم الشّخصيات؟ عن النّهاية؟».

- «ربّما فعلتُ هذا، لكنني لا أتذكّر شيئاً الآن»، يقول، ناظراً نحو الأسفل إلى صحنه. شارداً يحرّكُ قطعةَ البيتزا أمامه من مكانها. «قبل حادث الارتطام بوقتٍ لا بأس به لم تكن تكتبُ شيئاً. ولم تكن تتحدّثُ عمّا كانت تكتبهُ».

- «منذ متى وقع حادث السيارة؟» كنتُ أعرف الإجابةَ للتوّ، لكنّني لم أكنْ أريدُه أن يعرفَ بأنني بحثتُ على محرّك غوغل عن تاريخ عائلته.

- «بعد وقتٍ قصيرٍ من وفاة هاربر. دخلتْ مرحلةَ فقدان للوعي لبعض الوقت، ثم اتبعَتْ دورةً مكثّفة في مركزٍ لإعادة التأهيل على مدى عدّة أسابيع. الآن، لم يمض على عودتها إلى المنزل سوى بضعة أسابيع قليلة».

يقضمُ قطعةً أخرى من قرص البيتزا أمامه. أشعرُ بعدم الارتياح للحديث في هذا الموضوع، لكنّه لم يُظهر انزعاجاً من المحادثة.

- «قبل وفاة والدتي، كنتُ المعيلة الوحيدة لها. ليس لديّ أخوة أو اخوات، وأعرفُ أنّ الأمر صعباً».

– «ليس الأمرُ سهلاً»، يقولُ موافقاً. «أشعرُ بالأسى لوفاة والدتك، وتعازيّ لكِ بالمناسبة. لستُ متأكّداً أنني عبّرتُ عن شعوري لك حين أخبرْتني بالأمر داخل غرفة حمّام المقهى».

أرسمُ ابتسامةً على وجهي وأنا أنظرُ إليه، لكنّني لا أقولُ شيئاً حول هذا. لا أريدهُ أن يطرح عليّ أسئلةً بشأنها. أريدُ أن يبقى الحديثُ مركّزاً عليه وعلى فيريتي.

عقلي يصرّ على العودة إلى المخطوطة. وبالرّغم من أنّني أعرفُ القليل عن الرّجل الذي يجلسُ قبالتي إلّا أنّني أشعرُ بأنني أعرفُ عنه كلّ شيء تقريباً. على الأقلّ، أعرفُهُ كما وصفَتْه فيريتي.

ينتابني الفضولُ لأعرفَ المزيدَ عن زواجهما، ولماذا أنهتِ الفصلَ الأوّلَ بتلك الجملة التي اختارتْها. «**حتّى جاء ذاك اليوم الذي اكتشفَ فيه الشيءَ الوحيدَ الذي كان يعني له أكثر مما يعني لي**».

تنطوي الجملة على نُذرِ شؤمٍ. بدا الأمرُ وكأنّها كانت تجهّز الفصلَ الذي يليه للبوح بسرٍّ داكنٍ، مخيفٍ عن الرّجل. وقد تكون استراتيجية في الكتابة، وأنها ستقول إنّه كالقدّيس، وإنّ أطفالهما يعنون له أكثرَ بكثير مما يعنون لها.

مهما يكن الأمر، أنا أتشوّق لقراءة الفصل التالي، خاصّةً أنّني أحدّقُ به الآن. وأكرهُ وجود أشياء أخرى ينبغي أن تكون موضوع تركيزي الآن، لكن كلّ ما أريدُ فعله هو أن أنزوي وأقرأ عن زواج جيرمي وفيريتي. هذا يجعلني أشعرُ بالشفَقة على نفسي.

وقد يكون الفصلُ القادمُ لا علاقة له بهما. أعرفُ كاتبة كانت قد اعترفت بأنهّا تستخدمُ اسمَ زوجها في كلّ مخطوطة حتى تستطيع اختيارَ اسم نهائي لشخصيتها. ربّما هذا ما تفعله فيريتي. ربما كان هذا مجرّدُ عملٍ تخيليّ آخر، واسم جيرمي موجود كحالة مؤقتة.

أظنّ توجدُ طريقةٌ واحدةٌ فقط لأعرفَ أنّ ما كنتُ أقرؤهُ حقيقياً.

– «كيف التقيتَما؟ أنت وفيريتي؟» يضعُ قطعةَ بيتزا صغيرة في فمِهِ ويبتسمُ. «كنّا في حفلة»، يقولُ، مستنداً إلى الوراء على الكرسيّ. هكذا، أخيراً، لم أجدْ أثراً للحزن في ملامحه. «كانت ترتدي أجملَ فستانٍ رأيته

في حياتي. فستانٌ أحمر اللون، طويلٌ جدّاً، حتى إنه كان يجرُّ خلفها حين تمشي. يا إلهي، لقد بدتْ غايةً في الجمال!» يقولُ، مع نبرة حنين تخدش صوتَه. «غادرنا الحفلة معاً. حين مشيتُ نحو الخارج، وجدتُ سيارة ليموزين مركونة في الأمام، فتحتُ بابَها، وولجنا معاً إلى الدّاخل، وتبادلنا الحديث قليلاً. بقينا هناك حتّى أتى السائق، وكان عليّ أن أعترفَ لها أنّ السيّارةَ ليستْ سيارتي».

لم يكن من المفترض أن أبدو على دراية بهذا، فأجبرتُ نفسي على ضحكةٍ سريعة. «لم تكن السيّارةُ سيارتَك؟».

- «كلّا. كنتُ أريدُ أن أتركَ انطباعاً قوياً لديها. لكن كان علينا أن نهربَ، ونولي الأدبار، لأنّ السّائقَ غضبَ غضباً شديداً». كان ما يزالُ يبتسمُ، وكأنه عادَ إلى تلك اللّيلة مع فيريتي، ومع فستانها الإباحي الأحمر. «انصهرنا معاً منذ تلك اللّحظة».

من الصعب أن أبتسمَ من أجلِهِ، من أجلهما، بعد أن رأيتُ كم كانا سعيدين وقتئذٍ، وكيف انتهى بهما الحالُ الآن، وانقلبتِ الحياة رأساً على عقب. أتساءلُ ما إذا كانت سيرتُها الذّاتية تشرحُ بالتفصيل كيف انتقلا من النقطة (أ) إلى النقطة (ب). في البداية تذكرُ فيريتي وفاةَ تشاستين. وهذا يعني أنّها كتبتْها، أو أضافتْ إليها، بعد تلك المأساة الضخمة الأولى. وأتساءلُ منذ متّى بدأتْ تدوّنُ مذكّراتها؟

- «هل كانت فيريتي مؤلّفةً معروفةً حين التقيتَها؟».

- «كلّا، كانت ما تزالُ تكملُ دراساتها العليا. لاحقاً، حين حصلتُ على عملٍ مؤقت في لوس أنجلوس، لبضعة أشهر، بدأتْ تكتبُ أوّلَ أعمالها. أعتقدُ أنها كانت طريقتها في تمضية الوقتِ بانتظار أن أعودَ إلى المنزل. في البدء تجاهلَها أكثرُ من ناشرٍ، ولكن حين باعتِ المخطوطةَ الأولى... حدثَ كلّ شيء بسرعةٍ فائقةٍ. عملياً تغيّرتْ حياتُنا بين عشيةٍ وضحاها».

- «كيف تعاملتْ مع الشهرة؟».

- «أعتقد أن الأمرَ كان أكثر صعوبةً عليَّ. أكثر منها بكثير».

- «هل لأنّكَ كنتَ تحبُّ أن تبقى في الظلّ، لامرئياً؟».

- «هل الأمرُ بهذا الوضوح؟».

أهزّ كتفيّ. «ها قد رأيتَ رفيقاً لكَ الآن. أنا انطوائيةٌ مثلك».

يضحكُ. «لم تكن فيريتي مؤلّفةً نمطيةً. كانت تحبُّ الأضواء. وتحبُّ المناسبات الباهرة. كلّ هذا لم يكن يجعلني أشعرُ بالراحة. أنا أحبُّ أن أبقى هنا مع الأطفال». طرأ تبدّلٌ خفيٌّ في تعبيرات وجهه حين أدركَ أنه يتحدّثُ عن ابنتيه بصيغةِ الزّمن الحاضر. «أحبّ أن أبقى مع كرو»، قال مصحّحاً نفسَه. يهزُّ برأسِه، ثم يشبكُ يديه خلف رقبته، مسترخياً إلى الوراء كمن يتمطّطُ. أو كمن يشعرُ بعدمِ الارتياح. «من الصعب أحياناً أن أتذكّر أنّهما لن تكونا معي هنا أبداً». صوتهُ هادئٌ، وعيناهُ شاردتان لا تنظران إلى شيءٍ محدّدٍ. «ما زلتُ أعثرُ على بقايا من شعرهنّ على الأريكة. جواربهما في الغسّالة. أحياناً أنادي باسمهما حين أريدُ أن أريهما شيئاً، ناسياً أنهما لن تأتيا راكضتين على الدَّرَج».

أراقبهُ عن كثب لأنّني لم أقتنع بعدُ. أقصد لم يقتنعْ كياني كلّه. أكتبُ روايات التشويق. أعرفُ أنه حين تكون هناك ملابسات مشبوهة، تجدُ دائماً أناساً مشبوهين يكونون على صلة ما بها. أنا حائرة الآن بين فضولي لأن أعرفَ ماذا حدثَ لابنتيه وبين الخروج من هنا بأسرعِ وقتٍ ممكن.

لكنّني في هذه اللّحظة لا أنظرُ إلى رجلٍ يؤدّي عرضاً مسرحياً يهدفُ من خلاله كسبَ العطف. بل أنظرُ إلى رجلٍ يشاركني أفكارَه بصوتٍ عالٍ للمرّة الأولى.

هذا يحثّني على أن أفعلَ الشّيء نفسه.

- «لم يمض وقتٌ طويلٌ على رحيلِ والدتي، لكنّني أعرفُ جيّداً ما تقوله. في كلّ صباح من ذاك الأسبوع الأوّل كنتُ أستيقظُ وأحضّرُ لها الفطور، ثم أتذكّر أنّها لم تعدْ هنا، ولن تأكل».

يرمي جيرمي يديه على الطّاولة. «لا أعلمُ كم من الوقت سوف يستغرقُ كلّ هذا. أم إنّ الحالة سوف تستمرّ دائماً على هذه الشّاكلة».

- «أعتقدُ أنّ الزّمنَ كفيلٌ بكلّ هذا. مع ذلكَ، لا ضررَ في التفكيرَ بالانتقال إلى مكانٍ آخر. إذا وجدْتَ نفسكَ في منزلٍ لم يعشْنَ فيه، فإنّ أثرهنّ سوف يختفي ويضمحلّ. والاعتيادُ على عدم رؤيتهنّ حولكَ سيكونُ بمثابة النمط الجديد».

يمرّرُ يدَه فوق نبتِ الشَّعر على ذقنِهِ. «لستُ متأكداً أنني أرغب بالعيش في مكانٍ يخلو من آثار هاربر وتشاستين».

– «أجل»، أقولُ موافقةً، «وأنا كذلك».

تظلّ عيناهُ محدّقتين بي، ويسودُ هدوءٌ مطبقٌ. أحياناً نظرةٌ بين شخصين قد تستمرُّ لوقتٍ طويلٍ، وتهزُّ كيانكَ. وتجبركَ على الإشاحةِ بوجهكَ.

فأشحتُ بوجهي.

أنظرُ إلى صحني، وإلى الزّخرفات على حوافّه. شعرتُ أن عينَه المحدّقةَ بي تتجاوز عينيَّ، وتذهبُ مباشرةً إلى ما يدورُ في رأسي من أفكار. وبالرغم من أنه لا يقصدُ ذلك، لكنّ نظرتُه تلك بدتْ أشدّ حميميةً. حين تنظرُ عينا جيرمي إلى عينيّ أشعرُ بأنه يقوم باستكشافِ أعمق الأجزاء في داخلي.

– «ينبغي أن أعودَ إلى العمل»، أقولُ، وصوتي بالكادِ يعلو على الهمس.

ظلّ جامداً لا يحرّكُ ساكناً لبضع ثوانٍ، ثمّ ينهضُ مستقيمَ الظهر، دافعاً كرّسيه سريعاً إلى الخلف، وكأنه استيقظ للتوّ من خدرٍ عميقٍ. «نعم»، يقولُ، مادّاً يده أثناء وقوفه إلى الصّحنين على الطّاولة. «يجب أن أجهّزَ دواء فيريتي»، يضع الصّحنين على المغسلة، وفيما كنتُ أخرجُ من المطبخ قال: «طابتْ ليلتكِ يا لوين».

حين سمعته يناديني بهذا الاسم، علقتْ عبارةُ «طابتْ ليلتكَ» في حنجرتي. أرسمُ ابتسامةً خفيفةً، ثم أهرعُ راجعةً إلى مكتبِ فيريتي.

كلّما أمضيتُ وقتاً أطول في حضرة جيرمي، انتابتني رغبة أقوى بالغوص أعمق في المخطوطة لكي يتسنّى لي معرفته على نحوٍ أفضل.

أتناولُها عن الأريكة، ثم أطفئُ الأضواءَ في مكتب فيريتي، وآخذُها معي إلى غرفة النوم. لا يوجد قفلٌ على الباب، ما جعلني أزيحُ خزانة صغيرة من جانب السرير، وأضعها خلف الباب.

كنتُ متعبةً جداً بعد أن أمضيتُ سحابة نهاري على طريق السَّفر، وكان عليّ أن أستحمّ قبل الذهاب إلى النوم، ولكن باستطاعتي أن أنهي فصلاً آخر إضافياً قبل الذهاب إلى الفراش.

كان لا بدّ أن أفعل هذا.

الفصل الثاني

يمكنني أن أكتب رواياتٍ بأكملها عن أوّل عامين شهدتها مشوارينا العاطفية معاً، لكنّها لن تكون رائجة تجارياً. إذ لم تكن توجد مواقف درامية كافية بيني وبين جيرمي. فالشجارات شحيحة. ولا توجد تراجيديات يمكن الكتابة عنها. هما عامان من الحبّ المخمور والعبادة بيننا نحن الاثنين.

كنتُ متيّمةً به.

كنتُ مدمنةً عليه.

لم أكن متأكّدة أنّ هذا كان صحّياً – كم كنتُ معتمدةً عليه. وما زلتُ حقّاً. حين يجدُ الشّخصُ أحداً ما يجعل جميع السلبيات من حياته تختفي يصبح من الصعب بأن لا يلتصقَ جداً بذاكَ الشّخص. كنتُ ألتصقُ بجيرمي كي أُبقي روحي حيّةً. كانتْ تتضوّرُ وتتقلّصُ قبل أن ألتقي به. حضورهُ معي ينعشُني. أحياناً كنتُ أشعرُ أنّي غير قادرة على القيام بأية وظيفة لولا وجوده معي.

كان قد مضى على علاقتنا عامان حين تمّ نقله بشكلٍ مؤقتٍ إلى لوس أنجلوس. كنّا قد انتقلنا للسكن معاً، بشكلٍ غير رسمي، قبل وقتٍ قصير فقط. أقولُ بشكلٍ غير رسمي لأنّي كنتُ قد وصلتُ إلى نقطة توقّفتُ فيها عن العودة إلى مكان سكني. وتوقفتُ عن دفعِ الفواتير، وأجرة المنزل. ومضى شهران على هذا المنوال، قبل أن يعرف جيرمي أنّني لم أعد أملكُ بيتاً يأويني.

كان قد اقترح ذات ليلة، في أثناء ممارستنا للجنس، أن أنتقل للعيش معه. كان يفعلُ أشياء من هذا القبيل أحياناً. يتّخذُ قرارات حاسمةً تخصُّ حياتنا معاً في ذروة التحامه بي على الفراش.

- «تعالي واسكني معي»، يقولُ ضاغطاً بجسده. ثم يقرّبُ فمَه أكثر من أذني هامساً، «افسخي عقدَ الإيجار».

- «لا أستطيعُ»، أهمسُ له.

يتوقّف عن الحركة، ويتراجعُ إلى الخلف، ثم ينظرُ إليّ وأنا تحته، «ولمَ لا؟».

أدعُ يديّ تنزلقان على فخذيه من الخلف، وأحثّه على الحركة من جديد، «لأنّني قمتُ بفسخ العقدِ منذ شهرين ماضيين».

هجعَ في داخلي، ساكناً، محدّقاً بتلك العينين الخضراوين، والرّموش الفاحمة، وتوقّعتُ أن أتذوّقَ رحيقاً وأنا أقبّله. «نحن للتوّ نعيش معاً؟» سألَ.

أومأتُ برأسي، لكنّني لاحظتُ أنّ ردّة فعله لم تكنْ كما توقّعتُ، وبدا أنّ المفاجأة أصابتهُ بالذّهول.

وكان يتوجّبُ عليّ أن أُصلِحَ بعضاً من الخلل الذي تسببتُ به؛ أُلهيه، وأغيّر دفّة الحديث. أجعله يدركُ أنّها ليست خطوة ذات شأن كبير. «حسبتُ أنّني أخبرْتكَ».

نهضَ، متراجعاً عنّي، وشعرتُ أنه يعاقبني. «لم تقولي لي أنّنا نعيشُ معاً. هذا شيء لا يمكن لي بأن لا أتذكّرهُ».

أنهضُ بدوري، وأعدّلُ جلستي، راكعةً على ركبتيّ أمامه، ناظرةً إليه وجهاً لوجه. أمرّرُ أظافري على جانبيّ ذقنه الحليقة، وأقرّب فمي من فمه. «جيرمي»، أهمسُ. «لم أنمْ ليلةً واحدةً منذ ستّة أشهرٍ بعيداً عنك. مضى علينا وقتٌ لابأسَ به ونحن نعيشُ معاً». أمسكُ كتفيه بكلتا يديّ وأطرحهُ إلى الخلف. سقط رأسَه على الوسادة، وأردتُ أن أنام فوقه، وأقبّله، لكنّه بدا غاضباً قليلاً. وكأنه كان يريدُ التحدّث في موضوعٍ اعتبرتُهُ أنا مقفلاً للتوّ.

لم أكن أريدُ المزيدَ من الحديث في الأمر. أردتهُ فقط أن يجعلني أجيءُ إليه.

وهكذا، وسّعتُ دائرةَ وجهه، وغطستُ إلى لسانه. حين شعرتُ بيديه تضغطان على مؤخّرتي، جاذباً إياي أقرب إلى فمه، دارَ رأسي باحثاً عن لحظةٍ لذيذةٍ. **من أجل هذا انتقلتُ للعيش معكَ يا جيرمي.**

انكببتُ إلى الأمام، وأمسكتُ برأسه، ودفنتُ وجهي في شعره، كي ألجمَ صرخاتي المتقطّعة.

وهكذا انقضتْ تلك الليلة.

وبقيتُ أشعرُ بسعادةٍ غامرة حتى جاء خبر انتقاله. صحيحٌ أنّه كان إجرا مؤقّتاً، لكنّكَ لا تستطيعُ أن تسلبَ المرءَ مقوّمات بقائه، وتتوقّع منه أن يستم وحيداً بمفرده.

هذا ما شعرتُ به، على كلّ حال، كأنّ مصدرَ الحياة الوحيد لروحي قد سُلب منّي على حين غرّة. صحيحٌ أنني كنتُ أتلقّى جرعات الدّعم، بين الحين والآخر، من خلال مكالمة هاتفية هنا أو محادثة فيديو هناك، لكنّ اللّيالي التي أمضيتُها وحيدةً في السّرير كانت قاسيةً جداً. أحياناً كنتُ أعتلي وسادتي، وأعضّ حوافّ الشّرشف، وألمسُ أعضائي، متظاهرةً أنّ جيرمي يرقدُ تحتي. ولكن، وبعد أن أصلَ ذروةَ النشوة، أعودُ لأنطرحَ فوق فراشٍ فارغ، وأحدّقَ بالسقف، متعجّبةً كيف عشتُ كلَّ سنوات عمري الماضية بعيدةً عنه.

تلك هواجس لم أستطعِ البوحَ بها له، بالطبع. ربّما كنتُ ممسوسةً به، ولكن إذا كانت المرأةُ تعرف أنّها تريدُ أن تحتفظَ برجُلها إلى الأبد، فعليها أن تتصرّفَ كأنّها قادرة على الاستغناء عنه بيومٍ واحدٍ.

حدَثَ هذا حين بدأتُ أصبحُ كاتبةً.

كانت أيامي مترعةً بالأفكار عن جيرمي، وإذا أعيتْني الحيلةُ ولم أستطعْ أن أملأ فراغاتها بأفكارٍ أخرى إلى حين عودته، ما زلتُ أخشى بأنّني لن أستطيعَ أن أخفي تأثيرَ غيابِه عليّ. اخترعتُ شخصيةً متخيّلةً لجيرمي وأسميتها «لين». حين كنتُ أشتاق إلى جيرمي كنتُ أكتبُ فصلاً كاملاً عن «لين». حياتي خلال الأشهر القادمة باتت مكرّسةً بشكلٍ أقلّ لجيرمي، وأكثر لشخصيتي المتخيّلة، التي ما زالت بمعنى من المعاني جيرمي نفسه. لكنّ الكتابة عنها، وليس الولهُ بها، أثبتت أنها مثمرة أكثر. هكذا، كتبتُ روايةً كاملةً خلال فترة أشهرٍ قليلة من غيابه. حين عاد، وأرادَ أن يفاجئني بحضوره عند عتبة بيتنا، كنتُ انتهيتُ من تحرير الصفحة الأخيرة من الرّواية.

تلك كانت قسمتي.

هنأتهُ بأن جعلتهُ يُغرقني بسائله المنوي. كانت المرّة الأولى التي أبتلعُ فيها سائله. إلى تلك الدرجة كنتُ سعيدةً بعودتِه.

ثم تصرّفتُ كما يليقُ بي كسيّدة بعد أن ابتلعت السّائلَ المنوي، حيث صوّبتُ بصري إليه نحو الأعلى، تعلو شفتيّ ابتسامةٌ شبقةٌ فاجرة. كان ما يزالُ يقفُ بالقرب من الباب الأمامي، مرتدياً ملابسَه بالكامل، باستثناء بنطلون الجينز الذي أنزلَهُ حتّى ركبتيه. نهضتُ وقبّلتهُ على الخدّ، وقلتُ له، «سأعودُ».

حين دخلتُ إلى غرفة الحمّام، قفلتُ الباب ورائي، وفتحتُ صنبور الماء فوق المغسلة، وتقيأتُ في المرحاض. حين سمحتُ له بالاستمناء في فمي، لم تكن لدي أدنى فكرة عن الكمية المحبوسة هناك. أو متى ينبغي أن أتوقّف عن البلع. كان صعباً الحفاظ على توازني فيما قضيبه داخل حنجرتي يُغرقني رويداً، رويداً.

نظفتُ أسناني بالفرشاة، وعدتُ إلى غرفة النّوم، حيث رأيتُه يجلسُ خلف مكتبي. كان يحملُ بضع صفحاتٍ من مخطوطتي بين يديه.

– «هل قمتِ بكتابة هذه؟» سألَ وراح يفتلُ كرسيّ المكتب باتجاهي، ناظراً إليّ وجهاً لوجه.

– «نعم ولكن لا أريدُكَ أن تقرأها». وبدأتُ أشعرُ أنّ راحتيّ تتعرقان. مسحتُهما بباطن معدتي واتجهتُ نحوه. نهض واقفاً حين اندفعتُ إلى الأمام لانتزاع الصفحات منه. رفع الصفحات فوق رأسه، فكانت أعلى منّي، ولم أستطع الوصول إليها.

– «ولماذا لا أستطيعُ أن أقرأها؟».

قفزتُ محاولةً ليَّ ذراعه نحو الأسفل، والإمساك بالصفحات. «لأنّها تحتاج إلى المزيد من العمل».

– «حسناً»، قال، متراجعاً خطوة واحدة إلى الوراء. «لكن ما زلتُ أريدُ أن أقرأها».

– «ولكن لا أريدكَ أن تقرأها».

جمَعَ بقيّةَ صفحات المخطوطة ودسّها تحت قميصه. كان مصرّاً على قراءتها، وكان تفكيري ينصبُّ برمّته على منعه من ذلك. لم أكن واثقةً من جودتها، وشعرتُ بالخوف -**بالرّعب**- من أنّه يمكن أن يحبّني بدرجة أقلّ إذا اكتشفَ أنني كاتبة رديئة. غطستُ على السّرير لكي أصلَ إليه بوقتٍ أسرع، لكنه كان قد هرع مختفياً داخل غرفة الحمّام، وأقفلَ البابَ خلفَه.

أطرقُ بيديّ على الباب.

- «جيرمي!» أصرخُ.

لا أحدَ يجيب.

تجاهلني لأكثر من عشر دقائق كنتُ أحاول خلالها إيجاد حيلةٍ لفتح الباب بواسطة بطاقة اعتماد. بواسطة دبّوسٍ للشرطة. بإغرائي له بجولةٍ استمناء أخرى في الفمّ. خمس عشرة دقيقة أخرى مرّت قبل أن يصدرَ ضجّةً بعيدةً.

- «فيريتي!».

كنتُ أجلسُ القرفصاء على السجّادة الآن، وظهري يضغطُ بقوّة على باب الحمّام. - «ماذا؟».

- «الكتابة جيّدة».

لم أجبْهُ.

- «حقاً إنّها جيّدة. أنا فخورٌ بكِ».

ابتسمتُ.

كانت المرّة الأولى التي أتذوّقُ فيها إحساسَ القارئ بالمتعة تجاه ما أكتبهُ. ذاك التعليق -ذاك التعليق البسيط، الحلو- جعلني أتمنّى لو أنه يكملُ قراءة جميع الصفحات. تركتُهُ وشأنه بعد ذلك. ذهبتُ إلى سريرنا، وتكوّرتُ تحت الغطاء، وخلدتُ إلى النّوم، تعلو وجهي ابتسامةٌ بعيدة.

أيقظني بعد مرور ساعتين. شفتاهُ تتحرّيان كتفيّ وإصبعه تقتفي خطّاً خفيّاً ينحدرُ أسفل خصري، فوق وركي. كان يتمدّدُ خلفي، متكوّراً حولي. جسدهُ يطبقُ على جسدي. لقد اشتقتُ إليه اشتياقاً عارماً.

- «هل أنتِ مستيقظة؟» همسَ قائلاً.

أصدرتُ أنيناً خفيفاً لأوحي له بأنني لستُ نائمة.

طبعَ قبلةً صغيرةً أسفل أذني، ثم قال: «ماهرةٌ أنتِ في الفراش». لا أظنّ أنني ابتسمتُ ابتسامةً عريضةً كمثل تلك من قبل. أدارني على ظهري، وأزاحَ خصلات شعرٍ سابحة على وجهي. «آملُ أن تكوني جاهزة».

– «من أجل ماذا؟».

– «للشهرة».

ضحكتُ، لكنّه لم يضحكْ. خلعَ سرواله وأنزلَ سروالي. بعد أن أدخله عميقاً بين فخذي، قال، «هل تظنّين أنّني أمزح؟» قبّلني، ثم تابعَ: «كتابتُكِ ستجعلُ منكِ امرأةً مشهورةً. عقلُكِ لا يُضاهى. لو كان بإمكاني ممارسة الجنس معه لفعلتُ».

امتزجتْ ضحكتي بأنينٍ خافتٍ فيما كان يولج قضيبه فيّ. «هل تقولُ هذا لأنك حقاً تؤمن به؟ أم لأنّكَ تحبّني؟».

لم يُجبْ على الفور. صارت حركته أكثر بطئاً، وأقلّ تلقائيةً، ونظرته الحادّة أكثر تركيزاً. «تزوّجيني، يا فيريتي».

لم أقمْ بأية ردّة فعل، لأنني قد أكون لم أسمعْ جيّداً ما قاله. **هل حقّاً طلبَ يدي للزواج منه؟** أستطيع أن أخمّن من تعبيرات وجهه العميقة أنه كان هائماً بي في تلك اللحظة أكثر من أيّ وقتٍ مضى. كان يجب أن أقولَ نعم على الفور، وأصغي إلى دقّات قلبي. لكن، عوضاً عن ذلك قلت، «لماذا؟».

– «لأنني»، قال مبتسماً، «من أكبر المعجبين بك».

ضحكتُ، ثم اختفتِ ابتسامته على الفور، وبدأ يضاجعُني. دفعاتٌ، قاسيةٌ، سريعةٌ، يعرف أنها تفقدني صوابي. درفةُ السّرير العليا ترتطمُ بالحائط، والوسادة تحت رأسي بدأتْ تنزاحُ من مكانها. «تزوّجيني»، قال يتوسّل ثانيةً، ثم شعرتُ بلسانه داخل فمي، وكانت تلك قبلتُنا الأولى الحقيقية منذ أشهر.

كان كلٌّ منّا يحتاجُ للآخر حاجةً ماسّةً في تلك اللّحظة. ولم تكن حركةُ جسدينا تسمحُ لشفتينا بالتناغم والتطابق، فشعرتُ أنّ القبلة مائلةً، ومؤلمةً، حتى إنني همستُ، «حسناً».

- «شكراً»، قالها وسط زفيرٍ عميقٍ. كلماتهُ مترعةٌ بالأنفاس لا بالصّوت الطبيعي. واستمرّ يضاجعني، أنا خطيبته الآن، حتى غرقنا بالعرق المنسكب، وشعرتُ بطعم دم في فمي، حيث كان قد قضَمَ شفتي سهواً. أو ربّما أنا التي قضمتُ له شفَتَه. لَم أكنْ متأكّدة، ولكن هذا لا يهمّ الآنَ، فدمُه صار دمي الآن.

حين وصل أخيراً ذروة النشوة، أفرغ قضيبه فيّ، فيما ظلّ لسانه في فمي، وراحتْ أنفاسه تتغلغلُ في حنجرتي، وارتبطتْ أبديتي بأبديتِهِ.

حين انتهى، مدّ يده إلى بنطلون الجينز على الأرض. تدحرجَ فوقي من جديد، رافعاً لي يدي نحو الأعلى، وواضعاً خاتماً في إصبعي.

يبدو أنه كان قد خطّط لذلك منذ وهلة.

لم أكلّف نفسي حتى عناء النظرِ إلى الخاتم. رفعتُ يديّ فوق رأسي، وأغمضتُ عينيّ، لأنّ يده كانت بين ساقيّ، وأعرفُ أنه كان ينتظرُ أن يراني أصلُ ذروةَ النشوة.

وهذا ما حدثَ.

على مدى شهرين تاليين، دأبنا النظر إلى تلك الليلة بوصفها اللّيلة التي عقدنا فيها خطوبتَنا. على مدى شهرين، كنتُ أرسمُ ابتسامةً على شفتيّ كلما نظرتُ إلى الخاتم. على مدى شهرين كانت عيناي تغرورقان بالدموع كلّما فكّرتُ كيف ستكون حفلةُ الزّفاف. بل كيف ستكون ليلة زفافنا معاً.

لكن اللّيلة التي أعلنّا فيها الخطوبة كانت هي الليلة التي أصبحتُ فيها حاملاً.

هنا تصبح الأمورُ حقيقيةً بالفعل. إنّها روحُ وجوهرُ مذكّراتي. هذه هي النقطة التي يحلو لبعض المؤلفين رسم صورة إيجابية، غير حقيقية، عن أنفسهم، بدلاً من رمي أنفسهم في غياهب التصويرِ الشعاعي الدّقيق.

لكن لم يكن يوجدُ ضوءٌ حيث بدأنا. هذا هو تحذيركَ الأخيرُ، أيها القارئ.

الظلامُ بانتظارنا.

-6-

الجهةُ العلوية من مكتبِ فيريتي ترسمُ المنظرَ العامّ من هذه النّوافذ. يبدأُ الزّجاجُ من الأرض ويرتفعُ بالتّدريج حتى يصلَ إلى السقف. لا شيءَ يعيقُ انسيابَه. ألواحٌ عملاقةٌ من الزّجاج الصلد تجعلني أرى كلّ شيء. من يقومُ بتنظيف هذه؟ أتفحّصُ الزجاجَ بحثاً عن لطخةٍ ما، أو عكَرٍ ما – أو أيّ شيء.

الجهة السفلية من مكتب فيريتي ترسمُ أيضاً منظراً آخر من هذه النّوافذ. تضعُ الممرضة إبريل الكرسي المتحرّك الذي تستخدمه فيريتي على الشرفة الخلفية، أمام المكتب تماماً. أستطيعُ أن أرى هيئتها بالكامل وهي تنظرُ غرباً نحو الشّرفة الخلفية. إنه يومٌ جميلٌ للجلوس في الخارج، وبالتالي تجلسُ الممرضة قبالة فيريتي، وتقرأ على مسامعها كتاباً. فيريتي تحدّقُ في الفراغ الممتدّ، وأتساءلُ بيني وبين نفسي إن كانت تفهم شيئاً على الإطلاق؟ وإنْ فهمتْ فما الدّرجةُ يا ترى؟

شعرها النّاعم يخفقُ في الهواء كأنّ أصابع شبحٍ ما تلعبُ خفيةً بخصلاتها.

حين أنظرُ إليها يتضاعفُ شعورُ الشفقة لديّ، ما يجعلني أمتنعُ عن النظر كثيراً، لكنّ هذه النوافذ تجعلُ الأمرَ مستحيلاً. لا أستطيعُ أن أسمعَ الممرضةَ وهي تقرأ بصوتٍ عالٍ، ربمّا لأنّ هذه النوافذ عازلة للصوت، مثلها كمثل حيطان مكتبِ فيريتي. لكنّني أعرفُ أنهما هناك، وبالتالي من الصّعب التركيز على العمل من دون استراقِ النّظر إليهما، بين الفينة والفينة.

أجدُ صعوبةً حتى الآن في العثور على هوامش أو تعليقات تخصّ السلسلةَ، لكنني لم أنجزْ سوى النزر اليسير في تحرّي هذه الأوراق المكدّسة هنا. قررتُ أنني سوف أستفيد من وقتي على نحوٍ أفضل هذا الصباح إذا

استعرضتُ الكتابين، الأوّل والثاني، وسجّلتُ الملاحظات عن كلّ شخصية على حدة. إنّي أبتكرُ نظامَ تصنيفٍ خاصّ بي لأنّي أحتاج لأن أعرفَ هذه الشّخصيات مثلما كانت فيريتي تعرفُها. أريدُ أن أعرفَ تلك البواعث التي تحرّكُ سلوكَها، وكيف تتصرّفُ، وما الذي يجعلها تقف عند حدٍّ ما.

أرى حركةً خارج النافذة. حين أنظرُ أرى الممرضةَ تغادرُ مكانَها باتجاه الباب الخلفي. أحدّق بفيريتي لبضع ثوانٍ، وينتابني الفضول ما إذا كانت ستُظهِرُ أية ردّة فعلٍ بعد أن توقّفتِ الممرضةُ الآن عن القراءة لها. لم تكنْ توجد أدنى حركة على الإطلاق. يداها جامدتان في حضنها، ورأسها مائلٌ إلى جهة واحدة، كأنّ دماغها غير قادر على إرسال إشارة واحدة، وما إذا كانت تحتاجُ لأن تعدّلَ جلستَها قبل أن تُصاب رقبتها بالتواءٍ ما.

فيريتي الذّكية والموهوبة لم تعد حاضرة هناك. هل كان جسدُها هو الشّيءُ الوحيدُ الذي نجا من ذاك الارتطام؟ بدت كأنّها بيضة انبجست مفتوحةً، واندلقت في العراء، وكلّ ما تبقّى منها الآن هو نثرات صغيرة، وتلك القشرة القاسية.

أعودُ للتحديق بالمكتب محاولةً استجماع شيءٍ من التركيز. لا أملكُ سوى أن أتساءلَ لماذا يتحمّل جيرمي كلّ هذه الأعباء. إنّه يبدو كعمودِ إسمنتٍ من الخارج، لكنه خاوٍ من الدّاخل. من المخيّب للآمال معرفة أنّ حياته باتتْ هكذا. هذا الاهتمامُ ببيضةٍ يعرفُ في قرارة نفسه أنّ محّها قد جفّ.

كان ذلك قاسياً جدّاً.

أنا لا أحاولُ أن أكونَ قاسيةً. أنا مجرّدُ... لا أعلمُ. أشعرُ أنّ الأمور ستكون أفضل بكثير بالنسبة للجميع لو أنّها لم تنجُ من حادث الارتطام. أشعرُ بالذّنب على الفور لمجرّد التفكير بهذه الطريقة، لكنها تذكّرني بالأشهر القليلة المنصرمة التي كنتُ أعتني فيها بوالدتي. أعرفُ أنّ أمّي كانت تفضّلُ الموتَ بعد أن جعلَها السرطانُ عاجزةً عن القيام بأيّ شيء. لكن تلك كانت بضعة أشهرٍ قليلة من حياتها.... ومن حياتي. لكنّها حياة جيرمي برمّتها الآن. الاعتناءُ بزوجةٍ لم تعدْ زوجتَه البتّة. هو موثّقٌ بمنزلٍ لم يعد منزلاً أصلاً. بل لا أستطيعُ أن أتخيّل أنّ فيريتي تريدهُ حقّاً أن يعيش على هذا النحو. ولا أستطيعُ

أن أتخيّل أنّها نفسَها تريدُ أن تعيش على هذا المنوال. إنّها لا تستطيعُ أن تلعبَ مع طفلها، ولا حتّى تتحدّث إليه.

اصلي بان لا تكون هناك لغاية في نفسها. لا أستطيعُ أن أتخيل حالتَها لو كانتْ قواها العقلية ما تزال حاضرة، لكنّ الإصابة الدماغية لم تترك لها فرصة للتعبير جسدياً عن نفسها، وسرقت منها إمكانيةَ الفعلِ وردّ الفعل، أو حتّى القدرة على الإفصاح عمّا يجولُ في خاطرها.

أرفعُ رأسي ثانيةً.

إنّها تحدّقُ مباشرةً باتجاهي.

أقفزُ من مكاني. كرسيُّ المكتبِ ينزاحُ إلى الخلف فوق الأرض الخشبية. فيريتي تنظرُ مباشرةً إليّ عبر النافذة، ورأسُها ينحرفُ باتجاهي، وعيناها تُجهزان على عينيّ. أضعُ يدي على فمي وأتراجعُ خطوةً نحو الخلف. إني أشعرُ بخطرٍ داهمٍ.

أريدُ أن أتجنّبَ خطّ نظرها، فأزحفُ نحو اليسار صوب باب المكتب. مرّتْ لحظةٌ ظننتُ أنني لن أستطيعَ الهروبَ من نظرتها تلك. إنّها الموناليزا تلاحقني عبر أرجاء الحجرة. حين أقتربُ من قبضة الباب، تتوقّفُ المرأةُ عن تبادلِ النظرات معي.

عيناها لا تطاردانني.

أدعُ يدي تنزلُ عن ذقني، وأتكئ إلى الحائط، أراقبُ كيف خرجت الممرضة، إبريل، تحملُ منشفةً صغيرةً، وبدأتْ تمسحُ بها وجهَ فيريتي، ثم أخذتْ وسادةً صغيرةً من حضنها، ورفعتْ لها رأسَها نحو الأعلى، ليبقى متوازياً بين كتفها وخدّها. ومع هذا التعديل للرأس لم تعدْ فيريتي تحدّقُ عبر النّافذة.

– «اللعنة!» أهمسُ إلى نفسي.

أنا خائفة من امرأةٍ بالكاد تستطيعُ أن تتحرّكَ، بل لا تستطيعُ التفوّهَ بكلمةٍ واحدة. امرأة لا تستطيعُ أن تحرّك رأسَها بإرادتِها، وتنظرُ إلى أيّ شخصٍ، ناهيكَ عن تعمّدِ تبادلِ النّظرات مع أحدٍ آخر.

أريدُ ماءً.

أفتحُ بابَ المكتب، وأشعرُ بالقشعريرةِ فجأةً حين أسمعُ تلفوني الخليوي يرنّ خلفي على المقعد.

يا للعنة. أكرهُ الأدرينالين. نبضي يتسارعُ، لكنني آخذُ نفساً عميقاً، وأحاول أن أهدّئ من روعي فيما أردُّ على الهاتف. إنه رقمٌ مجهولٌ.

– «ألو؟».

– «السيّدة آشلي؟».

– «نعم أنا هي».

– «أنا دونوفان بيكر من شركة كريكوود لتأجير الشقق. أرسلتِ طلباً منذ بضعة أيام، أليس كذلك؟».

شعرتُ بالغبطةِ لهذا الصّوت الذي أخرجني من حالتي. أمشي عائدةً إلى النّافذة. كانت الممرّضةُ قد حرّكت كرسيّ فيريتي من مكانه، وبالتالي حين أنظرُ، لا أرى سوى رأسِها من الخلف، الآن. «نعم، ما المطلوب؟».

– «أريدُ أن أخبركِ أنّنا كنا قد بدأنا ننظرُ في طلبكِ هذا اليوم. لسوء الحظّ، تبيّن لنا أن طلباً للإخلاء قد جاءَ باسمكِ من قبل، وبالتالي لا نستطيعُ الموافقةَ على تأجيركِ الشقّة».

بهذه السرعة! لم يمض سوى أيام قليلة على تركي الشقّة. «لكنكم وافقتم على طلبي من قبل، يا سادة. ومن المفترض أن أنتقلَ إلى الشقّة الأسبوعَ القادم».

– «في الواقع، كان قبولاً مشروطاً، ولم يتمّ النظرَ بطلبكِ حتّى هذا اليوم. نحن لا نستطيعُ الموافقة على طلباتٍ تلقّى أصحابُها إنذاراتٍ راهنةً بالإخلاء. آملُ أن تتفهّمي هذا».

أضغطُ على باطنِ عنقي. لن يكون بإمكاني استرداد المبلغ الذي دفعته إلّا بعد أسبوعين. «من فضلكَ»، أقولُ له محاولةً بأن لا أبدو في حالةٍ مزريةٍ مثلما أشعرُ الآن. «لم يسبق لي أن تأخّرتُ عن تسديد الأجرة الشهرية حتى الآن. لقد استلمتُ عملاً جديداً للتوّ، وخلال أسبوعين من الآن، إذا سمحتم لي بالانتقال إلى الشقة، سوف أسدّدُ لكم أجرةَ سنةٍ كاملة، أقسمُ لكم».

– «تستطيعين دائماً تقديمَ اعتراضٍ على قرارنا»، يقولُ. «يمكن أن يستغرقَ الأمرُ بضعة أسابيع، وقد رأيتُ العديدَ من الطلبات التي تمّ الموافقة عليها نظراً لبعض الظروف المستجدّة».

– «لا أستطيع الانتظار لبضعة أسابيع. لقد أصبحتُ خارجَ شقّتي الأخيرة، الآن».

– «أنا آسف»، يقولُ. «سوف أرسلُ لكِ عبر البريد الإلكتروني نسخةً من قرارنا، وفي أسفلِها تجدين رقماً يمكنكِ الاتصالُ به إذا أردتِ الاعتراض. طاب يومكِ، يا سيّدة آشلي».

كان قد أنهى المكالمة، لكنني أبقيتُ التلفون ضاغطاً على أذني لبعض الوقت، فيما يدي الأخرى راحت تضغطُ على عنقي. آملُ أن أصحو من هذا الكابوس في أية لحظة الآن. شكراً لكِ، يا أمّي. ماذا عليّ أن أفعل الآن، بحقّ الجحيم؟

ثمة من يطرقُ بابَ المكتب طرقاتٍ ناعمةً. أدورُ حول نفسي وألتفتُ مذعورةً مرّةً أخرى. لن أستطيعَ أن أتنفّس الصعداء اليوم. كان جيرمي يقف في بهو المدخل المؤدّي إلى المكتب، ينظرُ نحوي، وعلى وجهه علاماتُ الشفقة.

كنتُ قد تركتُ بابَ المكتب مفتوحاً حين رنّ هاتفي. ربّما سمعَ تلك المكالمة برمّتها. أستطيعُ أن أقف متسمّرةً، أتمعّن بتلك القائمة من الصفات التي تصفُ هذا النهار.

أضعُ هاتفي فوق مكتب فيريتي، وأرمي نفسي على كرسيّها. «لم تكنْ حياتي دائماً على هذا النّحو من السوء الرّهيب».

يضحكُ قليلاً، ثم يتقدّمُ بضع خطواتٍ باتجاه الغرفة. «ولا حياتي أنا أيضاً».

أقدّرُ له ذاكَ التعليقَ. أنظرُ إلى هاتفي فوق المكتب. «ستكونُ الأمور على ما يرام»، أقولُ له، ثمّ أفتلُ هاتفي فتلةً دائريةً كاملة. «لا بدّ أن أجدَ مخرجاً من هذا المأزق».

– «أستطيعُ أن أقرضكَ المالَ، تتدبّرين فيه أمركِ إلى أن يرسل لكِ

وكيلُك الأدبي المبلغَ ذاك. يجب أن أسحبَ دفعةً من صندوقنا المشترك، ولن تستغرقَ العمليةُ أكثر من ثلاثة أيام».

لم أشعرْ بالإحراج يوماً مثلما شعرتُ به في تلك اللّحظة، وأعلمُ أنه كان يراهُ ويلمسهُ، لأنّني، عملياً، انطويتُ على نفسي، متكئةً إلى طاولة المكتب، أطمرُ رأسي بين يديّ.

– «هذا لطفٌ منكَ، حقّاً، لكنّني لن أقبلَ بأية مساعدة».

يظلّ هادئاً لدقيقة، ثم يقرّرُ أن يستخدم الأريكة مقعداً. إنه يجلسُ بعفوية واضحةٍ، مادّاً جذعَه نحو الأمام، شابكاً كلتا يديه أمامه. «إذن، امكثي هنا إلى أن يتمَّ تحويل السلفة إلى حسابكِ المصرفي. لن يستغرق الأمرُ أكثر من أسبوعٍ أو أسبوعين». ينظرُ حوله في أرجاء المكتب، ويرى قلّة التقدّم الذي أحرزتهُ منذ أن وصلتُ إلى هنا يومَ البارحة. «لن نأبهَ للأمر إطلاقاً. ولن تكوني عائقاً في طريقنا».

أهزُّ رأسي، لكنّه يقاطعني.

– «لوين. هذه المهمّة التي تقع على عاتقك ليست سهلةً. أفضَلُ أن تُمضي وقتاً أطول هنا، للاطلاع على كلّ الملابسات، بدلاً من العودة إلى نيويورك غداً، وقد تكتشفين أنّه كان ينبغي أن تمكثي وقتاً أطول من أجل هذه الغاية».

أنا حقّاً أحتاجُ للمزيد من الوقت. ولكن تخيّلوا أنّني سوف أمكثُ أسبوعين في هذا المنزل؟ مع امرأةٍ تسبّبُ لي الذعرَ، ومخطوطةٍ لا ينبغي أن أقرأ سطورَها، ورجلٍ أعرفُ للتوّ الكثيرَ من التفاصيل الحميمة عن حياته؟

إنها ليست فكرةً جيدةً. لا شيءَ فيها يدعو للطمأنينة.

أهزُّ رأسي من جديد لكنّه يمدّ لي يداً. «كفّي عن التفكير بالآخرين، وكفّي عن الشعور بالإحراجِ، وقولي فقط، لا بأسَ، سوف أمكثُ».

أنظرُ، من فوقه، إلى كلّ تلك الكتب التي تحجبُ الجدرانَ خلفه. أنظرُ إلى كلّ تلك الأشياء التي لم ألمسْها بعدُ. ثم أفكّر كيف سيكون بإمكاني خلال مدّة أسبوعين فقط أن أقرأ كلّ كتابٍ على قائمتِها، وأسجّلَ الملاحظات عن كلّ واحدٍ منها، وربّما أضعَ مخطّطاً عريضاً للكتب الثلاثة الجديدة؟

أتنهّدُ بشيءٍ من الطمأنينة. «لا بأس».
يرسمُ ابتسامةً خفيفةً على وجهه، ثمّ ينهضُ، متوجّهاً إلى الباب.
- «شكراً لكَ»، أقولُ.

يستديرُ جيرمي نحوي ويقابلني وجهاً لوجه. في تلك اللّحظة، تمنّيتُ لو أنّني سمحتُ له بالخروج من ذاك الباب، لأنّني أقسمُ أنّ ثمة ندماً خفياً يرتسمُ بين تقاطيعه. يفتحُ فمَه وكأنه يريدُ أن يقولَ، «أهلاً وسهلاً»، أو «لا مشكلة»، لكنه يكتفي بإطباق فمه، وإجبار نفسِه على ابتسامةٍ سريعةٍ، وإغلاقِ البابِ خلفه، حين غادر.

***

أخبرني جيرمي قبل الظهر بقليل أنّه ينبغي أن أكونَ في الخارج قبل أن تختفي الشّمسُ خلف تلك الجبال. «سوف ترين بأمّ عينكِ لماذا كانت فيريتي تريدُ أن ترى أفقاً مفتوحاً من خلف مكتبها».

أحضرتُ معي واحداً من كتبها لكي أقرأه وأنا على الشّرفة الخلفية. كانت توجدُ حوالي عشر كراسٍ بانتظاري، اخترتُ واحدةً منها وجلستُ خلف طاولةٍ صغيرةٍ. جيرمي وكرو كانا بجانب البحيرة يزيلان قطعاً قديمةً من الخشب من زورقِ صيدهما الصغير. كان مشهداً جميلاً رؤية كرو وهو يُمسك بقطعِ الخشبِ تلك التي يناولُها إياه جيرمي. كان ينقلُها إلى كومةٍ كبيرةٍ ثم يعودُ ليحضر حزماً جديدة منها من يدِ والده. كان على جيرمي الانتظار في كلّ مرّة، لأنّ كرو يأخذ وقتاً أطول في التخلّص من قطع الخشب، التي كان والده ينتزعُها من الجسمِ الخارجي للزّورق. هذا يبرهنُ على مدى الصبر الذي يتحلّى به هذا الرّجلِ كأبٍ.

إنه يذكّرني قليلاً بوالدي. ماتَ حين كنتُ في التاسعة، لكنني لا أتذكّرُ يوماً أنّني رأيتُهُ غاضباً. أو حتّى مستاءً من والدتي، بسبب تعليقاتها اللّاذعة، ومزاجها المتفجّر الحادّ. مع ذلك، ترعرعتُ وأنا لا أحبُّ فيه تلك الخصلة. أحياناً كنتُ أفسّرها على أنّها نوع من الضّعف أمام والدتي.

أراقبُ جيرمي وكرو وقتاً أطول، بينما كنتُ أحاولُ الانتهاءَ من قراءة أحد فصول الكتاب. لكنني بدأتُ أجدُ صعوبةً كبيرةً في فهمِ أيّ شيءٍ لأنّني

رأيتُ جيرمي، منذ قليلٍ، يخلعُ قميصَه. وإذا كنتُ قد سبق ورأيتُه بلا قميصٍ خارجيّ، لكنّها المرة الأولى التي أراهُ فيها بلا قميصٍ داخليٍّ، عاري الصّدر تماماً. جسدهُ يلمعُ تحت حبّات العرق التي تتدحرجُ بعد ساعتين متواصلتين من العمل على رصيف البحيرة. حين كان يهوي على الخشب بمطرقته، كانت عضلاتُ ظهره تستطيلُ، فأتذكّرُ على الفور آخر فصلٍ كتبتْهُ فيريتي. ثمة الكثير من التفاصيل الحميمة عن حياتهما الجنسية معاً، ومما قرأتُ أستطيعُ أن أستنتجَ أنها كانت حياةً نشطةً بامتياز. وتتجاوزُ بكثير كلّ العلاقات التي مررتُ بها من قبل.

من الصعب النظر إليه من دون التفكير بالجنس الآن. لا يعني هذا أنّني أشتهي الجنسَ معه. كما لا يعني أنّني لا أشتهيه. بل لأنني ككاتبة أدركتُ أنّه كان ملهماً لها في رسمِ العديد من الشّخصيات في كُتبها. وهذا ما يجعلني أتساءلُ ما إذا كنتُ بحاجةٍ إلى أن أراه ملهماً لي في أثناء استكمال هذه السلسلة الروائية. أقصدُ... لن يكون الأمرُ بذاك السوء، بما أنّني أُجبرتُ على تلبّسِ شخصية فيريتي ورؤية جيرمي بعين المخيلة فحسب، على مدى الأربعة والعشرين شهراً القادمة، في أثناء عملية الكتابة.

البابُ الخلفي يوصدُ على حين غرّة ما يجبرني على إزاحةِ بصري عن جسد جيرمي. كانت إبريل تقفُ على الشرفة خلفي، تحدّقُ بي. مسارُ نظرتها يتبعُ مسارَ نظرتي، قبل أن تحرفَ عينيها وتنظر إليّ. لقد رأتني. إنها رأتني أتفحّصُ جسدَ وليّ نعمتي الجديد. بتُّ أستدرُّ الشفقةَ حقّاً.

كم مضى عليها تقفُ هناك وتراقبني وأنا أحدّقُ به؟ أودُّ لو أنّني أُخفي وجهي بهذا الكتاب، لكنني أبتسمُ، عوضاً عن ذلك، وكأنني لم أفعل شيئاً خاطئاً. أقصدُ، لم أكنْ أفعلُ شيئاً خاطئاً.

– «أنا خارجة الآن»، قالت إبريل. «وضعتُ فيريتي في السرير وأدرتُ لها التّلفاز. لقد تناولتْ عشاءَها، وأخذتْ أدويتَها، في حالِ سألَ جيرمي عنها».

لا أعلمُ لماذا تخبرني أنا بذلك، بما أنّني لا أضطلعُ بأية مسؤولية هنا. «حسناً. طابتْ ليلتكِ».

لم تبادلني التحيّة أو تتمنّى لي ليلةً طيّبةً بالمقابل. لكنّها تعودُ أدراجها

إلى المنزل وتوصدُ الباب خلفها من جديد. بعد مرور دقيقة تقريباً، أسمعُ صوتَ محرّكِ سيارتِها وهي تغادرُ المرآب الصغير متواريةً بين الأشجار. أعودُ وأنظرُ إلى جيرمي وكرو. جيرمي مازال منهمكاً يحاولُ انتزاعَ قطعةٍ أخرى من الخشب.

كرو يحدّق بي، واقفاً بالقرب من كومةٍ مهملةٍ من عدّة الصّيد. يبتسمُ ويلوّح لي بيده. أرفعُ يدي لأردّ له الإشارة، لكنّني سرعان ما أطوي أصابعي في شكل قبضة ناعمة، حين أدركتُ أن كرو لم يكن يلوّحُ لي. كان ينظرُ إلى شيءٍ فوقي تماماً، إلى اليمين قليلاً.

كان ينظرُ إلى شبّاكِ غرفة نومِ فيريتي.

أدورُ حول نفسي، وأنظرُ نحو الأعلى، في اللّحظة التي أُسدلتْ فيها ستارةُ غرفة النّوم. أضعُ كتابَها جانباً فوق كرسيّ الشرفة، وأصطدمُ سهواً بزجاجةِ الماء التي كانت بحوزتي. أنهضُ وأتراجعُ ثلاث خطواتٍ إلى الوراء كي يُتاحَ لي النظر جيّداً إلى النّافذة، لكنّني لم أجدْ أحداً هناك. أفتحُ فمي شاغراً. أعودُ وأنظرُ إلى الصّبي كرو، لكنّه كان قد عاد إلى رصيف البحيرة لجلب حزمةٍ أخرى من الخشبِ من يدِ والده.

ولكن لماذا كان يلوّح باتجاه نافذتها؟ إذا لم تكن المرأةُ واقفةً هناك فلماذا يلوّحُ؟

كلّ هذا لا معنى له. لو كانت حقاً تنظرُ عبر نافذتِها، لكانت ردّة فعلِ كرو أكبر وأعظم، إذا أخذنا بعين الاعتبار أنّها لم تكن قادرة على التكلّم أو المشي منذ حادثة الارتطام.

أو ربّما هو لا يفهمُ أنّ مشيةَ أمّه إلى النّافذة معجزةٌ حقّاً. إنه في الخامسة من عمره فقط.

أنظرُ إلى الكتاب الذي أصبح مبلّلاً بالماء، ثم أرفعهُ وأنفضُ السائلَ من بين دفّتيه. أطلق زفرةً متقطّعة طويلةً بعد نهارٍ شاقّ كنتُ فيه على الحافّة طوال الوقت. أنا متأكّدة أنني ما زلتُ أرتعشُ قليلاً من فكرة أنّها كانت تحدّق بي، ولهذا شُبّه لي أنّ السّتائرَ تتحرّكُ.

ثمة نصفٌ فيّ يريدُ أن ينسى ويقفلُ على نفسه داخل المكتب، ويعملُ

طوالَ اللّيل. لكنّني أعلمُ أنني لن أقدرَ على ذلك، من دونِ التفكير بها. على الأقلّ لكي أتأكّدَ أنّ ما رأيتُه لم يكنْ تماماً كما ظننتُ.

أتركُ الكتابَ على طاولة الشّرفة ليجفّ قليلاً، وأعودُ أدراجي إلى بهو المنزلِ، باتجاه الدَّرَج. أنا هادئةٌ الآنَ. ولا أعلمُ لماذا أشعرُ بالحاجة للهدوء فيما أحاولُ استراقَ النّظرِ إليها. أعلمُ أنّها لا تستوعبُ الكثير، فلماذا لا أتقدّمُ نحوها بثقة أكبر؟ مع ذلك، ظللتُ أمشي بهدوءٍ شديدٍ وأنا أصعدُ الدرجَ، وأعبرُ الرّدهةَ، باتجاه بابِ غرفتها حيث كانت ترقدُ.

كان البابُ مفتوحاً قليلاً، وأستطيعُ أن أرى النّافذةَ المطلّةَ على الباحة الخلفية. أضغطُ براحتي على قبضة الباب وأبدأُ فتحَه. أقضمُ شفتي السفلى فيما أمدُّ رأسي وأختلسُ النظر إلى الدّاخل.

فيريتي تنامُ في سريرها، مغمضة العينين. يداها مبسوطتان إلى جانبها، فوق الشّرشف.

أتنفّسُ الصعداء، وأتنهّدُ الطمأنينةَ، بل شعرتُ بطمأنينة أكبر حين فتحتُ البابَ على مصراعيه، ورأيتُ مروحةً بجانب سرير فيريتي، تدورُ يميناً وشمالاً، باتجاه النّافذة المطلّة على الفناء الخلفي. وفي كلّ مرّة يصلُ هواء المروحة إلى النّافذة، تتحرّكُ الستارةُ من تلقاء نفسها.

أتنهّدُ بصوتٍ مسموعٍ الآن. **إنّها المروحة اللّعينة. امسكي أعصابَكِ أكثر يا لوين.**

أُطفئ المروحةَ لأنّ الطقس مال قليلاً إلى البرودة في هذا المكان. بل أستغربُ لماذا تركتْها إبريل تدورُ في المقام الأوّل. أرمي نظرةً، من جديد، باتجاه فيريتي، وأرى أنّها ما تزال نائمةً. حين عدتُ إلى الباب، توقّفتُ قليلاً. نظرتُ إلى مشجب الملابس، وإلى أعلى طرفٍ فيه. ثمّ نظرتُ إلى التلفاز المعلّق على الحائط.

التلفازُ مطفأٌ.

إبريل قالت إنّها تركتْهُ يعملُ قبل أن تغادرَ، لكنّه كان مطفأً.

لا أنظرُ حتّى إلى فيريتي، بل أوصدُ البابَ خلفي، وأهرعُ نازلةً الدَّرَج.

لن أعودَ ثانيةً إلى هناك مهما كلّف الأمر. إنني أخيفُ نفسي. الشّخص الأكثر عجزاً في هذا المنزل هو الشّخصُ الوحيدُ الذي يخيفني أكثر. هذا ضربٌ من الهراء. إنّها لم تكن تحدّق بي عبر واجهة المكتب. ولم تكن تقفُ خلف نافذتها، تنظر إلى ابنِها كرو. ولم تقمْ بإطفاء جهاز التلفزيون، بل قد يكون السبب منبّهُ التّوقيت الآلي. أو قد تكون الممرضة ضغطتْ بالصّدفة على زرّ التشغيل مرّتين اثنتين، وظنّتْ أنّها قامتْ بتشغيلِهِ.

وبغضّ النّظرِ عن حقيقة كوني مدركة بأنّ كلّ هذه الظنون لا تتعدّى أضغاثاً من نسجِ خيالي، أعودُ أدراجي إلى مكتب فيريتي، وأغلقُ البابَ خلفي، وأتناولُ فصلاً جديداً من سيرتِها الذّاتية، وأبدأُ القراءةَ. ربّما تبرهنُ القراءةُ المستندةُ إلى وجهة نظرها أنّها غير مؤذية البتّة، وتُسكتُ الزمهريرَ اللّعينَ في داخلي.

الفصل الثالث

عرفتُ أنّني أصبحتُ حاملاً من منظرِ النّهدين اللّذين تكوّرا في أحسن هيئةٍ لهما.

أشعرُ بجسدي جيّداً، وأعي ما يطرأُ عليه من تبدّلات، وكيف أعتني به، وكيف أُبقيه متناغماً. ولأنني ترعرعتُ وكبرتُ وأنا أشاهدُ خصرَ أمّي يزدادُ ترهّلاً بسبب الكسل، اخترتُ أنّ أمرّنَ جسدي يومياً، وأحياناً مرّتين في اليوم.

تعلّمتُ منذ وقتٍ مبكّرٍ أنّ الإنسانَ لا يتكوّنُ فقط من شيءٍ واحدٍ. إنّنا ننشطرُ إلى قسمين اثنين، كلاهما يكملُ الآخرَ، ويشكّل كلّيةً واحدةً.

لدينا وعينا الذي ينطوي على عقلنا وروحنا، وكلّ تلك الأجزاء غير المحسوسة.

ولدينا أيضاً كينونتنا الجسدية، تلك الآلة التي يستندُ إليها وعينا من أجل البقاء. إذا أهملتَ الآلةَ فإنّكَ تموتُ حتماً. وإذا افترضتَ أنّ وعيكَ قادرٌ على تجاوزِ هذه الآلة، فإنّكَ سوف تموتُ حالما تدركُ، بعد وقتٍ قصيرٍ، أنّكَ لم تكن على صواب.

الأمرُ في غاية البساطة، حقّاً. اعتني بكينونتكَ الجسديةَ. مُدّها بالغذاء الذي تحتاجهُ، وليس ما يوحي به وعيكَ بأنّها تحتاجُ إليه. إنّ الاستسلامَ للتصوّرات الذّهنية التي تؤذي الجسدَ حتماً، يشبهُ اندحارَ أمٍّ ضعيفةٍ أمام رغباتِ طفلها. «**آه! هل كان نهاركَ سيئاً؟ هل نريدُ علبةً كاملةً من البسكويت؟ حسناً، يا صغيري. التهم العلبةَ كلَّها. واشربْ زجاجةَ الصودا هذه، وأنتَ في غمرةِ ذلك**».

الاعتناءُ بجسدكَ لا يختلفُ كثيراً عن الاعتناءِ بطفلكَ. أحياناً يكونُ الأمرُ

شاقّاً، وأحياناً مقرّزاً، ولا تريدُ شيئاً سوى أن تستسلمَ، ولكنّكَ إن فعلتَ، فسوف تدفعُ ثمنَ تبعاتِ عملكَ، بعد ثمانية عشر عاماً قادمة.

الأمرُ ينطبقُ جيّداً على أمّي. كانت تعتني بي كأنّها تعتني بجسدها. لم تكن تُظهرُ سوى النذر اليسير. أحياناً أتساءلُ هل مازالت بدينةً، وهل مازالتْ تهملُ تلك الآلة. كيف لي أن أعرفَ، فأنا لم أتحدّثْ إليها منذ سنواتٍ طوال.

ليست لديّ الرّغبة في الحديث عن امرأةٍ اختارتْ بأن لا تتحدّثَ عنّي أبداً. أنا هنا لمناقشة أوّلِ شيءٍ سرقهُ طفلي منّي.

جيرمي.

لم ألاحظْ تلك السرقة في البدء.

في البداية، وبعد أن اكتشفنا أنّ **اللّيلة التي عقدنا فيها خطوبتنا** كانت هي **اللّيلة التي تشكّلَ فيها جنينُنا**، كنتُ سعيدةً جداً. غمرتني السعادةُ لأنّ جيرمي كان سعيداً. عند تلك النقطة، وباستثناء تحسّن المنظر العامّ لنهديَّ، لم أكن أعلمُ أن الحملَ سيكون مدمّراً للآلة التي تعبتُ طويلاً في صقلِها والحفاظ عليها.

في بداية الشّهر الثالث تقريباً، أي بعد بضعة أسابيع من معرفتي أنّني كنتُ حاملاً، بدأتُ ألحظُ الاختلافَ. كان تغيراً طفيفاً يكادُ لا يُرى، لكنه موجودٌ رغم ذلك. كنتُ قد خرجتُ للتوّ من حمّام دافئٍ، ووقفتُ قبالة المرآة، أنظرُ إلى صورتي. كانت يدي تنبسطُ فوق معدتي، حين شعرتُ بشيءٍ غريبٍ، وبطني يبرزُ قليلاً إلى الأمام.

انتابني شعورٌ بالتقزّز. وعقدتُ العزمَ على أن أُجري التمارينَ ثلاث مرّاتٍ في اليوم. لقد رأيتُ ماذا يمكن أن يفعلَ الحمْلُ بالنساء، لكنّني أيضاً أعلمُ أنّ الأذى الأكبر يحدثُ خلال الأشهر الثلاثة الأخيرة. لو كنتُ فقط أعرفُ طريقةً أضعُ فيها الجنين في وقتٍ أبكر... ربّما خلال الأسبوع الثالث والثلاثين أو الرّابع والثلاثين، كنتُ، ربّما، سأتجنّبُ الآثار المدمّرة للحمْل. لقد حدث تطورٌ كبير في الرّعاية الصحّية، والأطفال الذين يولدون باكراً، في فترة كتلك، لن يصيبهم سوءٌ في الغالب الأعمّ.

– «يا للهول!».

أنزلتُ يدي ونظرتُ إلى مدخل الباب. كان جيرمي يقفُ مستنداً إلى الإطار الخارجي للباب، ويداه مشبوكتان على صدره. كان ينظرُ إليّ مبتسماً. «بدأت معالمُ الحمْلِ تظهرُ عليكِ».

– «كلّا، هذا ليس صحيحاً». وابتلعتُ معدتي أكثر.

ضحكَ وأغلقَ المسافةَ بيننا، واضعاً ذراعيه حول خصري من الخلف. ثم تركَ راحتيه تلمسان معدتي، ناظراً إليّ في المرآة. وطبعَ قبلةً على كتفي. «لم يسبق أن رأيتُكِ أكثر جمالاً من الآن».

كانت كذبةً غايتُها إدخال الطمأنينة إلى قلبي، لكنّني شعرتُ بالامتنان. حتى كذبه كان يعني لي شيئاً ما. عصرتُ يديه، وأدارَ جسدي نحوه لنصير وجهاً لوجه، وقبّلني على فمي، وجعلني أمشي إلى الخلف، حتى وصلتُ إلى حافّة حوضِ الحمّام. رفعني، ووضعني فوق الحاجز، ثم وقفَ بين ساقي.

كان يرتدي كاملَ ملابسه، حيث عاد للتوّ من عمله. كنتُ عاريةً تماماً، بعد حمّام ماءٍ دافئ. الشّيءُ الوحيدُ الذي يفصل بيننا بنطلونه، وذاك الانتفاخ الصغير في معدتي الذي حاولتُ جاهدةً طمسَه.

بدأ يجامعُني على حافّة الحوض، ثم انتهينا في السّرير.

رأسه فوق صدري، وأصابعُه تتلمّسُ دوائر صغيرة فوق معدتي التي أصدرتْ صوتاً عالياً. حاولتُ أن أنظّف حنجرتي لكي أخفي الصّوتَ لكنّه ضحكَ وقال، «ثمة من هو جائعٌ هنا».

أهزّ رأسي بالنفي، لكنّه رفعَ جذعَه عن صدري كي ينظرَ إليّ. «تتضوّرُ الحلوةُ، فماذا تشتهي؟».

– «لا شيءَ. أنا لستُ جائعة».

ضحكَ ثانيةً. «لا أتحدّثُ عنكِ، بل عنها»، قال مربّتاً على معدتي. «ألا يُفترضُ بالنساء الحوامل أن يتوحّمن على أشياء غريبة، ويأكلْن طوالَ الوقت من أجل الجنين؟ أنتِ لا تأكلين. ولهذا معدتكِ تقرقرُ». ينهضُ ليجلسَ على حافّة السرير. «أريدُ أن أُطعمَ بناتي».

بناتُهُ؟

- «أنتَ لا تعلمُ إن كان الجنينُ ذكراً أم أنثى؟».
رسم ابتسامةً على وجهه. «إنها بنت. لديّ شعورٌ بذلك».
أردتُ أن تجحَظَ عيناي، لأنه من النّاحية العلمية لم يكن شيئاً. لا بنت ولا صبي. إنها انتفاخ صغيرٌ فحسب. ولم يمض عليّ وقتٌ طويلٌ بعد، وبالتالي فإنّ فرضية الجنين الذي يطلبُ نوعاً خاصّاً من الغذاء في أحشائي ليست سوى فرضية سخيفة. لكن كان من الصعب إقناع جيرمي بوجهة نظري هذه لأنه كان مبتهجاً جدّاً بالطفل، ولم أكنْ أهتمّ، سواء بالغَ في بهجته أم لم يبالغ.
أحياناً كانت بهجتُهُ تُبهجني.
ومع مضي الأسابيع ساعدتني حماستُه على التأقلم. فكلّما كبرتْ معدتي ازداد انتباهُه حدّةً. بل ازدادَ تقبيلَه للجنين حين نكون معاً في السّرير ليلاً.
في الصباحات كان يُمسك لي شعري وأنا أستحمّ. وحين يكونُ في مكتبه، على رأس عمله، كان يرسلُ لي رسائل نصّية عن أسماء مقترحة للطفل القادم. صار ممسوساً بالجنين مثلما كنتُ أنا ممسوسةً به هو - جيرمي.
ذهبَ معي في أوّل زيارةٍ لي للطبيب.
وكنتُ ممتنةً له أكثر لأنه تواجدَ معي أثناء زيارتي الثانية، لأنّه اليوم الذي انقلبتْ فيه حياتي رأساً على عقب.
توأمان.
طفلان اثنان.
كنتُ هادئةً حين غادرنا مكتب الطبيب في ذاك النّهار. لقد سبق وشعرتُ بالذّعر من فكرة أن أصبحَ أمّاً لطفلٍ واحدٍ، فكيف باثنين الآن؟ وأُجبرتُ على أن أحبّ الشّيءَ الذي أحبَّه جيرمي أكثر من حبِّه لي. ولكن حين اكتشفتُ أنّني حامل بابنتين اثنتين، شعرتُ فجأةً أنّني لن أكون على ما يرام، وبخاصّة أنني سأكونُ ثالثَ أهمّ شخصٍ على قائمة جيرمي، ولستُ الأولى في حياته.
كنتُ أحاولُ اصطناعَ الابتسامة في كلّ مرّة يأتي الحديثُ عنهما. أتظاهرُ بالسعادة حين يضعُ يدَه على بطني، ويمسّدهُ، وكنتُ أشعرُ بالتقزّز لمعرفتي أنه يفعل ذلك فقط لأنّ توأم بناته هناك. ولن يختلف الأمرُ كثيراً إذا قررتُ وضعهما باكراً. فالأذى الذي سوف يلحق بجسدي سيكونُ مضاعفاً طالما

أنني حامل بالتوائم. كنتُ أشعرُ بالهلع كلما فكّرتُ بهما يكبران في أحشائي، ويفتّتان بشرتي، ويقوّضان ثدييّ ومعدتي، وربّما يهدمان -لا سمح الله- المعبدَ الذي بين ساقيّ حيث اعتاد جيرمي ممارسةَ طُقوسِهِ كلّ ليلة.

كيف يمكن لجيرمي أن يشتهيني بعد كلّ هذا؟

حين دخولي الشهر الرّابع من الحمْل، صرتُ أرغبُ بالإجهاض. صرتُ أصلّي بأن أرى الدمَ حين أدخلُ إلى الحمّام. رحتُ أتخيّلُ كيف أنّ جيرمي سيراني أولويةً في حياته بعد فقدان الطفلتين. سوف يُجنّ بي، ويعبدني، ويهتمّ لي، ويقلقُ من أجلي، لا من أجل ذاك الذي ينمو في أحشائي.

صرتُ أتناولُ حبوباً منوّمةً من خلف ظهره. وأحتسي النبيذَ حين لا يكون في المنزل. فعلتُ كلّ شيءٍ يمكن فعلَه لأحطّم ذاك الشّيء الذي يُبعدهُ عنّي، ولكن من دون جدوى. ظلّت الطفلتان تكبران. وظلّت معدتي تكبرُ وتترهّلُ.

في شهري الخامس، كنّا نستلقي معاً على السّرير، وكان جيرمي يضاجعني من الخلف. يده اليسرى تلمسُ ثديي، واليمنى تمسّدُ بطني. حين لمسَ معدتي في أثناء الجماع، شعرتُ بالنفور، ووجدتُ نفسي أفكّر بالطفلتين، وهذا ما هشّم شهوتي وعكّر مزاجي.

ظننتُ أنه وصل الذّروة حين توقّف فجأةً عن الحركة، لكنّه، وكما أدركتُ سريعاً، فعلَ ذلك لأنه شعرَ بهما تتحرّكان في أحشائي. سحبَ قضيبَه، وقلبني على ظهري، ضاغطاً براحته على معدتي.

- «هل تشعرين بذلك؟» سألني.

كانت عيناه ترقصان غبطةً. ارتخى انتصابُ عضوه فجأةً. أخذتْهُ البهجةُ لأسبابٍ لا علاقة لي بها. وضع أذنه على بطني وضغطَ بنعومةٍ، منتظراً أن تتحرّكَ إحداهنّ ثانيةً.

- «جيرمي؟» همستُ.

طبع قبلةً على معدتي، ثم نظر إلى الأعلى باتجاهي.

مددتُ يدي، وتركتُ أصابعي تلعبُ بخصلات شعره المنسدلة ثم قلتُ: «هل تحبّهما؟».

ابتسمَ لأنه ظنّ أنني أريدُه أن يقول نعم.

- «أحبّهما أكثر من أيّ شيءٍ آخر».

- «أكثر مما تحبّني؟».

اختفتْ ابتسامتُهُ فجأةً. لكنه أبقى يدَه على بطني. انحرفَ بجسده قليلاً، ثم وضعَ ذراعه تحت عنقي. «حبي لهما يختلف عن حبي لكِ»، ثم طبع قبلةً على خدّي.

- «مختلف، نعم. ولكن هل هو أكثر؟ هل حبّكَ لهما أكثر عمقاً من حبّكَ لي؟».

تفحّصتْ عيناه عينيّ، وكنتُ أتمنّى أن يضحكَ ويقول: «بالتأكيد لا». لكنّه لم يضحك. نظر إليّ بكلّ صدقٍ وأجاب: «نعم».

حقاً! جوابه حطّمني. خنقَني. قتَلني.

- «ولكن هذا هو الشّيء الطبيعي»، قال. «ولمَ تسألين؟ هل تشعرينَ بالذّنب لأنّكِ تحبّينهما أكثر مما تحبّينني؟».

لم أجبْ. هل حقاً يظنّ أنني أحبّهما أكثر مما أحبّه؟ أنا لا أعرفهما أصلاً.

- «لا تشعري بالذّنب»، قال. «أريدُكِ أن تحبّيهما أكثر مما تحبّينني. حبّنا لبعضنا مشروطٌ. حبّنا لهما غير مشروط».

- «ولكن حبي لكَ غير مشروطٍ»، قلتُ.

رسم ابتسامةً على شفتيه. «كلّا. ليس تماماً. قد أقوم بأفعالٍ لن تسامحيني عليها أبداً. لكنّكِ سوف تسامحين أطفالكِ على الدّوام».

لم يكن على صواب. لم أسامحْهما لأنّهما وُجدتا أصلاً. لم أسامحْهما لأنّهما أجبرتاهُ على وضعي في المرتبة الثالثة. لم أسامحْهما لأنها اختطَفتا ليلةَ خطوبتي منّي.

البنتان لم تولَدا بعد، وها هما بدأتا تسرقان أشياءَ كثيرة كانت تخصّني يوماً.

- «فيريتي»، همس لي. ومسحَ دمعةً تدحرجتْ على خدّي. «هل أنتِ بخير؟».

هززتُ رأسي. «لا أستطيعُ أن أصدّقَ هذا الحبّ الذي تضمرهُ لهما وهما لم تولدا بعد؟».

- «أعرفُ»، قال مبتسماً.

لم أكن أقصدُ مديحاً، لكنّه فهم كلامي على أنه كذلك. عاد ووضع رأسه على صدري ولمسَ معدتي ثانيةً. «ستكونُ حالتي العاطفية مزريةً حين يُبصرْنَ النور».

أهو على وشك البكاء؟

لم يسبق له أبداً أن ذرفَ دمعةً من أجلي، أو عليَّ، أو بسببي.

ربّما لم نتشاجرْ كثيراً.

- «يجب أن أذهب إلى الحمّام»، همستُ. لم أكن بحاجةٍ إلى الذّهاب إلى هناك، لكنّني أردتُ أن أكون بعيدةً عنه، وعن الحبّ الذي كان يطلقُ سهامَه في كلّ حدبٍ وصوبٍ إلّا باتجاهي.

قبّلني، وحين كنتُ أغادرُ السرير، تدحرج بعيداً، مديراً ظهره لي، ناسياً أنّنا لم ننتهِ أصلاً من ممارسة الجنس.

غطّ في نومٍ عميق في أثناء تواجدي في الحمّام، بينما كنتُ أحاولُ إجهاضَ ابنتيه بواسطة سلكٍ معدني. ظللتُ أحاولُ لمدّة نصف ساعة، حتى بدأتْ معدتي تتقلّصُ، والدّمُ يتدفّقُ أسفلَ ساقي. كنتُ متأكّدة أنّ المزيد قادمٌ.

صعدتُ إلى السّرير، أنتظرُ حدوث الإجهاض. ذراعاي ترتجفان، وساقيّ يسري فيهما الخدرُ جراء جلسة القرفصاء الطّويلة. معدتي توجعني، وأشعرُ برغبةٍ في التقيؤ، لكنني لم أحرّك ساكناً لأنني كنتُ حريصةً على البقاء بجانب جيرمي في السّرير أثناء حدوث الإجهاض. أردتُ أن أوقظَه هلِعاً، وأريَهُ الدمَ. أردتهُ أن يجزعَ، ويخافَ، ويشعرَ بالخوف عليّ، ويبكي من أجلي.

ويبكي من أجلي **أنا**.

-7-

تسقطُ من يدي الصفحةُ الأخيرةُ من الفصل.

تتطايرُ وتقعُ فوق الأرضية الخشبية، ثم تختفي تحت المقعد، كأنّها تريدُ الهروب منّي. سرعان ما أنزلُ على ركبتيّ باحثةً عنها. أريدُ أن ألتقطَها وأُعيدَها الى كومة الأوراق التي كنتُ مصمّمةً على إخفائها. أنا... أنا لستُ حتّى...

كنتُ ما أزالُ جاثمةً على ركبتيّ في وسطِ مكتبِ فيريتي حين باغتتني الدموعُ. لا أذرفُها، بل تظلّ حبيسةَ مقلتيّ، بعد تنهّدات عميقة أطلقُها. أركّزُ على الألم المبرّح في ركبتيّ كي أزيحَ أفكاري جانباً. لا أعرفُ إن كان هذا حزناً أم غضباً. كلّ ما أعرفه هو أنّ تلك السطور مكتوبة بقلم امرأة مضطربةٍ جداً؛ امرأة أقطنُ في بيتها الآن. أرفعُ رأسي ببطءٍ، وأحدّق في السقف. إنها هناكَ الآن، في الطابق الثاني، تنامُ أو تأكلُ أو تحدّقُ بلا هدفٍ في الفضاء الخاوي. أكادُ أشعرُ بها تكمنُ خلفي يعتصرها الامتعاضُ من وجودي هنا.

فجأةً، أدركُ أنّ هذا صحيحٌ من دون أدنى شكّ.

الأمّ لا تكتبُ عن نفسها -وعن بناتها- لو لم تكن تلك هي الحقيقة. الأمّ التي لم تعشْ أبداً تلك الأحاسيس أو الأفكار لن تحلمَ بها حتّى في أحلامِها. لا يهمّني إن كانت فيريتي كاتبة بارعة أم لا، لكنّها لن تضعَ سمعتَها كأمّ موضعَ شكّ من خلال الكتابة عن تلك الأمور الرهيبة، لو لم تكنْ قد عاشتْها حقّاً.

بدأ عقلي يدورُ قلقاً، وخوفاً، وحزناً. إذا كانت قد فعلتْ ذلك -إذا حاولت، فعلاً، قتلَ طفلتيها بسبب نوبةٍ من غيرةِ الأمومة- فما الذي بمقدورها أن تفعلَه أيضاً؟

ما الذي حدث فعلاً لهاتين الطفلتين؟

بعد وقتٍ من محاولة استيعاب الأمر، أضعُ المخطوطةَ في الدُّرج، تحت كومةٍ من أشياء أخرى. لا أريدُ لجيرمي أن يعثرَ عليها حتّى مصادفةً. وقبل أن أغادرَ مكاني هنا سوف أقومُ بإتلافها. لا يمكنُ أن أتخيّلَ كيف ستكون ردّة فعله إذا قام بقراءتها. إنه مازال في حالة حداد على وفاة ابنتيه. فلنتخيّل لو عرف أنّهما قد تعرضتا لكلّ تلك القسوة من أمّهما؟

أصلّي بأن تكون قد برهنت على أنّها كانت أمّاً صالحةً لهما بعد أن أنجبتهما، لكنّ كياني اهتزّ بالكامل وأنا أتابعُ القراءة، بل لا أعلمُ إن كنتُ أرغبُ بقراءة المزيد على الإطلاق.

أريدُ كحولاً. لا أريدُ ماءً أو زجاجةَ صودا أو عصيرَ فواكه. أمشي إلى المطبخ وأفتحُ الثلّاجة، لكنني لم أعثرْ على أيّ نبيذ. أفتحُ الخزنَ الصغيرة فوق الثلاجة لكنني لا أعثرُ على أيّ مشروبٍ روحي. أفتحُ الخزانة الصغيرة أسفل المغسلة، أجدها خاوية. أفتحُ الثلّاجة من جديد، لكنني لا أرى سوى علب صغيرة من عصير الفواكه تعودُ للطفل كرو، وزجاجة ماء لا تكفي لإطفاء الشعور الذي يستولي عليّ.

- «هل أنتِ على ما يرام؟».

ألتفتُ إلى الوراء فأرى جيرمي يجلسُ خلف طاولة العشاء، وأمامه تلّة من الأوراق المبعثرة. لقد بدا القلقُ على ملامحه حين رآني.

- «هل لديكَ ما يشبهُ الكحول في هذا المنزل؟». أضغطُ على فمي بكلتا يدي خوفاً من أن تفضحني أصابعي المرتعشة. ليست لديه أدنى فكرة عن طبيعة تلك المرأة التي تنام في الأعلى.

يتفحّصني جيرمي للحظة، ثم يتوجّهُ إلى خزانة خاصّة لحفظ المشروبات. فوق أعلى الرفّ توجدُ زجاجة ويسكي «كراون رويال». «هيا، اجلسي»، يقول لي والقلق مازال بادياً على محياه. يراقبني فيما كنتُ أختارُ كرسياً خلف الطّاولة، ثم أجلسُ حاضنةً رأسي بين يديّ.

أسمعه يفتحُ زجاجة الصودا ويخلطها بالويسكي. بعد بضع لحظات يضعُ الكأسَ أمامي. أرفعها إلى شفتيّ سريعاً حتى إنّ قطرات منها انسكبتْ فوق الطّاولة. يعودُ جيرمي إلى كرسيّه الآن، ويتابع النظرَ إليّ ملياً.

– «لوين»، يقولُ ناظراً إليّ وأنا أحاول أن أزدردَ الويسكي والكوك معاً، بوجهٍ لا ملامح فيه. أنفضُ رأسي قليلاً لأنّ للشرابِ مذاقاً لاذعاً. «ماذا حدث؟».

أوه، من أين نبدأ يا جيرمي. زوجتُكَ، صاحبةُ الدماغ المعطوب، نظرتْ إليّ وجهاً لوجه، وغرزتْ عينها في عيني. بل مشتْ باتجاه نافذة غرفة النّوم، ولوّحتْ بيدها لابنكَ كرو. حاولت أن تُجهضَ وتتخلّص من طفلتيكَ بينما كنتَ نائماً في سريرك.

– «زوجتكَ»، أقولُ. «كتُبُها.... لقد انتهيتُ للتوّ من... يوجد جزءٌ مخيفٌ أدخلَ الرّعبَ في نفسي».

يراقبني ملياً للحظة بعد أن اختفت ملامحُ وجهِه. ثم ينفجرُ ضاحكاً. «هل أنتِ جادّة؟ كتابٌ يفعلُ بكِ كلَّ هذا؟».

أهزّ كتفي وأتناول رشفةً أخرى. «إنّها كاتبةٌ عظيمة»، أقولُ واضعةً كأسي على الطاولة. «أُصِبتُ ببعض الذّعر على ما أظنّ».

– «مع ذلك تكتبين النمطَ الفنّي نفسه الذي تكتبه هي».

– «أحياناً تتركُ كتبي التأثيرَ ذاتَه فيّ»، أقولُ كاذبةً.

– «ربما ينبغي أن تختاري نمطاً آخر كالرّواية العاطفية».

– «أنا متأكّدة أنّني سأفعلُ هذا بعد أن أنتهي من هذا العقد».

يضحكُ ثانيةً، ويهزّ رأسه، ويبدأُ بجمع الأوراق المبعثرة أمامه على الطّاولة. «فاتَكِ العشاءُ. مازالَ ساخناً إذا كنتِ ترغبين بالطّعام».

– «أنا جائعة. أحتاجُ لأن أتناولَ الطّعامَ». ربّما سيجعلني هذا أهدّئ من روعي. أحملُ كأسي إلى الفرن حيث توجدُ دجاجة مشوية، ملفوفة بورقِ ألمنيوم صقيلٍ. أحضّرُ صحناً لنفسي، وأتناولُ زجاجةَ الماء من الثّلاجة، وأجلسُ من جديدٍ خلف الطّاولة. «هل أنتَ الذي قام بالطّهي؟».

– «نعم».

أضعُ لقمةً في فمي. «إنّها لذيذة حقّاً»، أقولُ بفمٍ ملآن.

– «شكراً». ما يزالُ يحدّق بي، لكن هذه المرّة بشيءٍ من الارتياح وليس

القلق. شعرتُ بالسعادة لأنّ ملامحه تبدّلت باتجاه الطمأنينة. أتمنّى أن يستمرّ هذا الجوّ لكن كلّ ما قرأتهُ حتى اللّحظة يجعلني أطرحُ أسئلةً كثيرة عن فيريتي. عن حالتها. عن صدقها.

- «هل أستطيعُ أن أسألكَ سؤالاً؟».

يومئ جيرمي بالموافقة.

- «فقط دعني أعلم إن كنتُ فضوليةً أكثر من اللّزوم. ولكن هل هناك أية فرصة لشفاء فيريتي شفاءً كاملاً؟».

يهزّ رأسه بالنفي. «الطبيبُ يقولُ إنّها لن تتمكّن من المشي أو الكلام ثانيةً بما أنها لم تحرز أي تقدّم في هذا الاتجاه».

- «هل هي مشلولة؟».

- «كلّا. لم يُصب عمودها الفقري بأي أذى. ولكن عقلها... إنه يشبه عقلَ طفلةٍ صغيرةٍ الآن. لديها استجابات أساسية. تستطيعُ أن تأكلَ وتشربَ وترمشَ، وتتحرّكَ بعضَ الشيء. ولكن لا شيء من هذا يجري عن قصد. يحدوني الأملُ أنه من خلال العلاج المتواصل يمكن أن تتحسّنَ ولو قليلاً، ولكن....».

يشيحُ جيرمي ببصره بعيداً عنّي، باتجاه بهو المطبخ حين سمع خطوات كرو على الدَّرَج. يدور كرو حول الزّاوية ثم يقفزُ إلى حضنِ أبيه.

كرو. كدتُ أنسى كرو وأنا أقرأ. إذا كانت فيريتي تكره تلك البنتين بعد ولادتهما، مثلما كانت تكرههما وهما في الرّحم، فمن غير المعقول أن توافقَ على إنجاب طفلٍ آخر.

هذا يعني شيئاً واحداً وهي أنها كانت تحبّهما. ربّما هذا هو السبب الذي جعلها تكتبُ ما كتبته، لأنّها، في نهاية المطاف، وقعت في غرامهما، تماماً كمثل جيرمي. ربما كانت الكتابة عن أفكارها خلال فترة الحمل بمثابة تفريغ الشحنة بالنسبة للأمّ فيريتي. مثلها كمثل مؤمنٍ كاثوليكي يقفُ في قفص الاعتراف.

هذا الخاطرُ هدّأ من أعصابي، إلى جانب الشرح الذي قدّمه جيرمي عن

إصابتها. إنها تملكُ الإمكانيات النفسية والجسدية لطفلٍ حديث الولادة. قد يكون عقلي بالغَ بعض الشّيء في حساباته الأخرى.

يميلُ كرو برأسه صوب كتفِ أبيه. إنه يحملُ شاشةَ «آي باد» صغيرة، فيما جيرمي يتحرّى هاتفه الخليوي. منظرهما معاً يسحرُ اللبّ.

قد أكون أطلتُ التركيز على الأشياء السلبية التي حدثت لهذه العائلة، وينبغي أن أركّز على الأشياء الإيجابية التي ما تزالُ ماثلة للعيان. وهذا يتمثّل بالتأكيد في العلاقة الوطيدة القائمة بين جيرمي وابنه. كرو يحبّ والده. يضحكُ إلى جانبه. يشعرُ بالراحة إلى جانب أبيه. وجيرمي لا يخشى إظهارَ حبّه له، فقد طبعَ قبلةً للتوّ فوق صدغِ كرو.

– «هل نظّفتَ أسنانَك؟» يسألُ جيرمي.

– «نعم»، يجيبُ كرو.

ينهض جيرمي حاملاً كرو معه دون أدنى جهد. «هذا يعني حان وقت الذهاب إلى النّوم». يرمي كرو فوق كتفه. «قلْ للورا طابتْ ليلتكِ؟».

يلوّح كرو لي بينما يدورُ جيرمي حول الزّاوية، متوارياً معه خلف الدَّرَج الصاعد.

يلفتُ نظري مناداته لي باسمي الأدبي –لورا– الذي ينبغي أن أستخدمَه أمام كلّ من أقابلُه، لكنّه يناديني باسمي الحقيقي، لوين حين نكون وحيدين معاً. كما يلفتُ نظري أنني أحبّ ذلك. لكنني لا أريدُ أن أحبّ ذلك.

أتناولُ بقية طعامي، وأغسلُ الصحونَ في المغسلة، فيما جيرمي في الطابق العلوي، برفقة الصغير كرو. حين انتهيتُ، شعرتُ براحةٍ أكبر. لا أدري إن كان السببِ هو الكحول، أم الطعام، أم إدراكي أنّ فيريتي كتبت ذاك الفصل الرهيب لأنّها ستتبعُه بآخر أكثر جمالاً. الفصل الذي تدركُ فيه أنّ ابنتيها هما هديتان من السماء، لا تُقدّران بثمن.

أخرجُ من المطبخ، لكنّ عيني وقعتْ على سلسلة من الصور العائلية المعلّقة في بهو الممشى. أتوقّفُ وأنظرُ إليها مليّاً. معظمها يعودُ للأطفال الصغار، لكن تظهرُ في بعضها فيريتي وجيرمي معاً. البنتان تحملان شبهاً قوياً من أمّهما، بينما كرو يميلُ أكثر إلى جيرمي.

إنّها عائلة جميلة حقاً، إلى درجة أنّ النظرَ إلى هذه الصور الآن لا يسبّبُ سوى الاكتئاب بالفعل. تنطبعُ الصّورُ في ذاكرتي بسهولة، وألاحظُ أنه لا يصعبُ التمييز بين البنتين التوأمين. إحداهما ابتسامتها كبيرة، وثمة علامة لجرحٍ على خدّها. الأخرى لا تبتسمُ إلّا نادراً. أرفعُ يدي وألمسُ صورة البنت ذات الجرح على الخدّ، وأتساءلُ، منذ متى أصابها. ومن أين أتاها. أتبعُ مسار الصور في الممرّ حتى أصلَ إلى صورٍ أكثر قدماً للبنتين حين كانتا رضيعتين. الطفلةُ المبتسمةُ ما تزالُ تحملُ أثرَ ذاك الجرح على خدّها، وهذا يعني أنه أصابها في سنّ مبكّرة.

يهبطُ جيرمي الدرج فيما كنتُ ما أزالُ أنظرُ إلى الصور على الحائط. يمشي باتجاهي، ويتوقّف قربي. أشيرُ بإصبعي إلى الطفلة صاحبة الجرح. «أيهما تكون؟».

– «تشاستين» يقولُ. ثم يشيرُ إلى الأخرى. «وهذه هاربر».

– «إنهما تشبهان فيريتي كثيراً».

لم أكن أنظرُ إليه، لكنني كنتُ أرى من زاوية عيني كيف هزّ برأسه موافقاً.

– «من أين جاء هذا الجرح على خدّ تشاستين؟».

– «لقد وُلد معها»، يقولُ جيرمي. «الطبيب قال إنّ السببَ نسيجٌ ليفيٌّ. وهذا شائعٌ، وبخاصّة في حالة التوأمين، لأنهما محصورتان في فضاء ضيّق».

أنظرُ إليه هذه المرّة، كأنّني لا أصدّقُ أنّ جرحَ تشاستين أتاها فعلاً بتلك الطريقة. فربّما جاء نتيجةً لمحاولة فيريتي الفاشلة التخلّص من التوأمين عن طريق الإجهاض.

– «هل كانت الطفلتان تعانيان من الحساسية ذاتها؟» أسألُ.

ما إن يخرجُ السؤالُ من فمي، حتى أرفعَ يدي نحو وجهي وأعصرُ فكّي ندماً. الطريقة الوحيدة التي عرفتُ فيها أنّ إحداهنّ كانت تتحسّس من زبدة الفستق هي أنني قرأتُ عن هذا سابقاً عن كيفية وفاتها. والآن لا بدّ أنه أدركَ أنني قرأتُ عن وفاة ابنته.

– «أنا آسفة، يا جيرمي».

- «لا توجدُ مشكلة»، يقولُ بهدوء. «ومن ثمّ فقط تشاستين. زبدة الفستق».

لا يسهبُ أكثر، لكنني بدأتُ أشعرُ بنظراته المصوّبة باتجاهي. أميلُ برأسي وأنظرُ إليه وجهاً لوجه. يمتصُّ نظرتي للحظة، ثم يحرفُ بصره إلى يدي. يرفعُها بأصابع حسّاسة، ويقلبُها رأساً على عقب. «كيف تسنّى لكِ معرفة هذه المعلومة؟» يسألُ تاركاً إبهامَه تتقفّى أثرَ الجرح فوق راحة كفّي.

أضمُّ قبضتي على الفور، ليس لأنني أريدُ إخفاءَه. إنه بات غائراً الآن، وقلّما أفكّر فيه. لقد درّبتُ نفسي على عدم التفكير به. لكنني أخفيه بسبب الشعور الذي انتابني حين قام بلمسِه، وكأنّ ناراً ما تركتْ ثقباً في باطن راحتي.

- «لا أستطيعُ أن أتذكّر»، أقولُ بسرعة. «شكراً على العشاء. يجب أن أذهب وأستحمّ». أشيرُ بيدي إلى غرفة النّوم الرئيسية. يقف جانباً ليفسح لي المجال بالمرور. حين أصلُ إلى الغرفة، أفتحُ البابَ بسرعة ثم أوصده بالسرعة ذاتها، وأسندُ ظهري عليه، وأتنفّسُ الصعداء.

لا يعودُ السبب إلى أنّ جيرمي يحرمني من الرّاحة. جيرمي كروفورد رجلٌ طيّبٌ للغاية. ربّما المخطوطة هي التي تُشعرني بعدم الرّاحة، لأنّني متأكّدة أنه قادرٌ على توزيع حبّه بالتساوي على أولاده الثلاثة وزوجته. إنّه لا يعرفُ الأنانية، ويعطي من نفسه الكثير بلا تردّد، حتى الآن. حتى عندما أصبحتْ زوجته مشلولة، عملياً، ظلّ يحبّها بكلّ تفانٍ.

إنه من طينة الرجال الذين يسهلُ على امرأةٍ مثل فيريتي الإدمان عليهم، لكنّني لا أظنّ أنّني سأفهم يوماً حجم الهوس الذي تكنّه له، وكيف ذابتْ فيه تماماً، إلى درجة أنّ إنجابَ طفلٍ منه كان كفيلاً بإشعال نار الغيرة تلك في داخلها.

لكنني أفهمُ جيّداً سرّ انجذابها له. أفهمه أكثر مما يجب، وأكثر مما أريدُ.

حين أوصدُ البابَ أشعرُ بشيءٍ يشدّ شعري إلى الخلف، فأعودُ وأستندُ إليه. اللّعنة! ما هذا؟ لقد علقتْ خصلةٌ من شعري بشيءٍ ما. أفكُّ شعري، رويداً، رويداً، وأحرّرُ نفسي، ثم أستديرُ وأنظرُ إلى الشّيء الذي كان سبباً في ذلك.

إنّه القفل.

لا بدّ أنه قام بتركيبه اليوم. إنّه حقّاً في غاية التهذيب. أمدُّ يدي وأقفلُ الباب.

هل يظنّ جيرمي أنني أريدُ قفلاً من الدّاخل لأنّني لا أشعرُ بالأمان في هذا المنزل؟ آملُ ألا يكون كذلك، لأنّه ليس هو السبب الذي جعلني أتمنّى وجودَ قفلٍ داخل غرفة النّوم. أردتُ قفلاً لأنّني أريدهم جميعاً أن يأمنوا جانبي.

أمشي باتجاه الحمّام وأُشعلُ الضوء. أنظرُ إلى يدي، وأتتبعُ مسار أصابعي، حتى نهاية أثر الجرح.

بعد تكرار المرّات التي وجدتني فيها أمّي متلبّسةً، أمشي في نومي، بدأتْ تشعرُ بقلقٍ بالغٍ تجاهي. وضعتني قيدَ خطّة علاجية، على أملٍ أن تكون أكثر فائدةً من الحبوب المنوّمة. وكان طبيبي المعالج قد ارتأى أهميةَ عدم الاعتياد على المحيط المألوف حولي. قال: قد يكون من المفيد وضع عراقيل أمامي تجعلُ من الصعب عليّ المرور أثناء المشي في نومي. وقد يكون وضعُ قفلٍ في داخل غرفة نومي أحد تلك العراقيل.

وبالرّغم من أنني متأكّدة تقريباً أنّني اعتدتُ قفلَ الباب طوال تلك السنين، قبل أن أخلدَ إلى النّوم، إلّا أنّني لا أعلمُ لماذا استيقظتُ ذات صباحٍ، ووجدتُ معصمي مكسوراً، وملابسي مبلّلة بالدّم.

-8-

اخترتُ أنْ لا أقرأ المزيدَ من مذكّرات فيريتي. وها قد مرّ يومان منذ أن قرأتُ عن محاولة الإجهاض الفاشلة. منذئذٍ والمخطوطة ما تزالُ مطمورةً في قعرِ الدرجِ، لم ألمسْها أبداً. لكنني ظللتُ أشعرُ بها. إنّها موجودة معي في مكتب فيريتي، تتنفّسُ بصعوبة تحت كومة الأوراق المهملة التي أخفيتُها بها. كلّما قرأتُ أكثر، أزدادُ تشوّشاً، وأفقدُ تركيزي تماماً. أنا لا أقولُ إنّني لن أستكملَ قراءتها أبداً، لكن ينبغي أن أحرزَ بعضَ التقدّم في المهمّة التي جئتُ من أجلها أوّلاً، قبل أن أضيعَ ثانيةً في غياهب صفحاتها.

لقد استرعى انتباهي، بعد أن توقّفتُ عن قراءة مذكّراتها، أنّ وجودي في حضرة فيريتي لم يعدْ يسبّب لي ذاك الهلع الذي كنتُ أشعرُ به في الأيام الأولى لوصولي. كنتُ قد خرجتُ البارحة لأتنفّس هواءً نقياً، بعد أن أمضيتُ سحابةَ نهاري أعملُ داخل المكتب، حين رأيتُ فيريتي تجلسُ خلف طاولة العشاء مع الممرضة، برفقة ابنها كرو وزوجها جيرمي. خلال الأيام القليلة الأولى من وصولي، لم أكنْ أخرجُ من المكتب في موعدِ العشاء، ولذلك لم يسبقْ أن رأيتها تجلسُ معهم خلف طاولة واحدة. هذه المرّة لم أشأْ أن أقحمَ نفسي، وأنضمّ إليهم، بل عدتُ أدراجي إلى غرفة المكتب.

هذا اليوم رأيتُ ممرضةً جديدةً. اسمُها ميرنا. وهي أكبر سنّاً بقليل من إبريل. بدتْ بدينةً ومرحةً. وقد جعلها احمرارُ خدّيها المتورّدين تشبهُ الدمية حقاً. منذ الوهلة الأولى شعرتُ أنّها أخفّ ظلّاً من إبريل. ليس لأنّ إبريل لم تكن مريحةً. كلّا، على الإطلاق. بل انتابني احساسٌ فطريٌّ أنّها لم تكن تثقْ بوجودي قرب جيرمي، أو تثق بوجود جيرمي قربي. لم أكن أعلم لماذا

كانت تمقتُ حضوري، لكنني استطعتُ أن أستوعبَ شعورها كممرضة تعتني بمريضة كُلِّفت بالسهر عليها، تجاه وجود امرأةٍ غريبةٍ مثلي تمكثُ في منزل مريضتِها المقعدة. أنا متأكّدة أنها تظنّ بأنني أحبسُ نفسي مع جيرمي في غرفة النّوم الرئيسية كلَّ مساء، بعد أن تغادرَنا. كم كنتُ أتمنى لو أنّها كانت على صواب!

ميرنا تعملُ أيامَ الجمعة والسبت، بينما تعملُ إبريل بقيةَ أيّام الأسبوع. اليوم هو الجمعة، ورغم أنّني كنتُ أتوقّع الانتقال إلى شقّتي الجديدة المستأجرة، لكنّني لم أنزعجْ أنّ الأمورَ انتهت إلى ما انتهت عليه الآن. كنتُ سأغادرُ هذا المكان وأنا غير جاهزة بعد. الأيام الإضافية التي كسبتُها أنقذتني من حرجٍ كبير. لقد تمكنتُ من قراءة كتابين إضافيين من السلسلة، واستمتعتُ بهما، في الواقع، استمتاعاً كبيراً. ولا أخفي انبهاري بطريقة فيريتي في السرد حين تتحدّث بلسان الشخصية الرئيسية. وقد تشكّلتْ لديّ فكرة قوية عن الاتجاه الذي ينبغي أن أسلكه من أجل إكمال السلسلة. ولكن، ولأجل الحيطة الزائدة فحسب، ظللتُ أبحثُ عن معلوماتٍ وهوامش إضافية، خاصّة أنني بتُّ الآن أعرفُ ما الذي أبحثُ عنه.

كنتُ أجلسُ على الأرض، أتحرّى صندوقاً صغيراً من الأوراق، حين وصلتني رسالة نصّية من كوري.

كوري: **أصدرتْ دار النشر، بانتيم، بياناً صحفياً هذا الصباح تعلنُ فيه اسمَكِ مؤلّفةً مشاركةً في سلسلة فيريتي. لقد أرسلتُ الرّابط إلى بريدك الإلكتروني علّكِ تريدين إلقاء نظرة عليه.**

في اللحظة التي كنتُ أفتحُ فيها بريدي الإلكتروني، سمعتُ طَرْقاً على باب المكتب.

- «تفضّل».

جيرمي يفتحُ الباب، ويمدّ رأسَه نحو الداخل. «اسمعي. أنا ذاهب إلى متجر «تارغيت» لشراء بعض الحاجيات. إذا أعددتِ لي قائمة بالمشتريات التي ترغبين بها، أستطيعُ أن أجلبَ لكِ ما تحتاجينه».

ثمة بعض الأشياء التي أحتاجُها بالفعل. قوطاً صحية قطنية رغم أنه لم

يتبقّ أمام انتهاء دورتي الشهرية سوى يوم أو يومين. كلّ ما في الأمر أنني لم أكن أتوقّع أن أمكث كلّ هذا الوقت الطويل، ولهذا لم أجلبْ معي ما يكفي منها. لكنّني لم أكنْ متأكّدة أنه من اللائق أن أطلبَ من جيرمي ذلك. أنهضُ وأنفضُ الغبارَ عن بنطلوني الجينز. «حسناً، هل تمانعُ إذا رافقتُكَ إلى هناك؟ ربّما هذا يجعلُ الأمر أكثر سهولةً».

يفتحُ جيرمي درفةَ الباب أوسع قليلاً، ويقولُ، «بالطبع لا أمانع. في أقلّ من عشر دقائق سوف ننطلقُ سويةً».

***

يقودُ جيرمي سيارة جيب رانغلر، رمادية اللّون، ذات عجلات عالية، ملطّخة بالوحل. لم أرها قطّ من قبل لأنّها كانت مركونة داخل المرآب، ناهيك بأنّني لم أكنْ أتوقّع أنه سيركبُ سيارةً من هذا الطراز. افترضتُ أنه سيركب سيارة حديثة من ماركة كاديلاك، أو أودي A8. أي تلك الماركة التي تناسبُ رجلاً يرتدي بزّةً رسميةً. لا أعلمُ لماذا ظلّ في مخيلتي رجلَ أعمالٍ محترفٍ، أنيقَ المظهر، حليقَ الذقن، كذاك الذي قابلتُهُ في اليوم الأوّل من لقائنا. الرّجل يرتدي بنطلون الجينز، أو البنطلون القصير طوال النهار، ويمضي جلّ وقته في الهواء الطلق، منهمكاً بالعمل، ويحتفظ بدزينة من الأحذية المعفّرة بالوحل، يبدّل بينها باستمرار، ويحتفظ بها في ركنٍ خاصّ، قرب الباب الخلفي. سيارةُ الجيب هذه تناسبُهُ أكثر من أية سيارة أخرى أرسمُها له في مخيلتي.

كنّا قد خرجنا من المدخل الفرعي للمنزل، وقطعنا نصف ميلٍ على الطريق، حين أخفض صوت المذياع وسألني: «هل رأيتِ البيانَ الصحفي الذي أصدرتْهُ دار بانتيم هذا اليوم؟».

أُخرجَ تلفوني الخليوي من محفظة يدي. «كوري أرسل لي الرابط لكنني نسيتُ أن أقرأه».

- «هي مجرّدُ جملة مؤلّفة من سطرٍ واحد نشرتْها مجلةُ (الناشر الأسبوعي)»، يقولُ جيرمي. «قصيرة وحلوة. تماماً كما تحبّينها».

أفتحُ بريدي الإلكتروني وأقرأ. إنه ليس رابط مجلّة (الناشر الأسبوعي)،

على كلّ حال. لقد أرسل لي كوري رابط الإعلان الصحفي المنشور على صفحة التواصل الاجتماعي الخاصّة بالكاتبة فيريتي كروفورد، بواسطة فريق الدعاية.

يسعدُ دار بانتيم برس للصحافة والنشر أن تعلن بأنّ الروايات المتبقّية من (سلسلة الفضيلة) التي تقف وراء نجاحها فيريتي كروفورد، سوف تُستكملُ الآن بالتعاون مع المؤلّفة لورا تشيس. فيريتي سعيدةٌ جدّاً بانضمام لورا إلى المشروع، والكاتبتان تتطلّعان إلى ابتكارٍ خاتمة مشتركة للسلسلة لن تُنسى أبداً.

فيريتي سعيدة؟ هه! على الأقلّ أعرفُ جيداً كيف لا أثقُ أبداً بإعلان دعاية. أنتقلُ إلى قراءة التعليقات في أسفل الإعلان.

- من تكون لورا تشيس هذه؟
- لماذا تسلّمُ فيريتي مولودها إلى أحدٍ آخر؟
- لا، لا، لا، لا.
- بهذه الطريقة تجري الأمورُ دائماً، أليس كذلك؟ كاتبةٌ متوسّطة الموهبة، تحقّق نجاحاً، فتستأجرُ كاتبةً أقلّ موهبةً لإنجاز عملِها.

أضعُ هاتفي جانباً، لكن هذا لا يكفي. أطفئ زرّ الرنين، وأرميه في محفظتي، وأشدّ سحّاب المحفظة. «النّاس لا ترحم»، أهمسُ بصوتٍ خفيض.

يضحكُ جيرمي. «لا تقرئي التعليقات أبداً. فيريتي علّمتني هذا منذ سنواتٍ مضت».

لم يسبق لي أن وجدتُ نفسي وجهاً لوجه أمام سيلِ التعليقات لأنّني كنتُ أتجنّبُ وضع نفسي تحت دائرة الضوء. «من الجيّد أن أعرفَ ذلك».

حين وصلنا باحة المتجر، نزل جيرمي من سيارة الجيب، واستدارَ ليفتحَ لي بابي. لا أشعرُ تماماً بالراحة لأنني لستُ معتادة على هذا النوع من

المعاملة، لكن قد يشعرُ جيرمي بحرَج أكبر لو أنّني بادرتُ وفتحتُ البابَ بنفسي. إنه ينتمي إلى ذاك النمط من الأشخاص، تماماً كما تصفه فيريتي في سيرتها الذاتية.

كانت المرّة الأولى في حياتي التي يفتحُ فيها شخصٌ بابَ سيّارة من أجلي. **يا للعنة.** كم يبدو الأمرُ مشوّشاً؟

حين يُمسكُ يدي ليساعدني على النزول من الجيب، أتوتّر قليلاً لأنّني لا أستطيعُ أن أمنعَ نفسي من التفاعل مع لمسته. أريدُ المزيدَ منها حين لا يجب أن أريدَ شيئاً منها قطّ.

أتراهُ يشعرُ بالشيء نفسه حين يكون بقربي؟

لم يمارس الجنس منذ فترة ليست بالقصيرة، وهذا ما يجعلني أتساءلُ هل يشتاق إليه الآن.

لا بدّ أن يكون ذاك نوعاً من التكيّف الصعب. أن تدخل في قفص زواج تمحورَ في بدايته حول الجنس، ثم تجد أنّ الجنسَ قد اقتُلع فجأةً من الزّواج بين ليلةٍ وضحاها؟

ما الذي يدفعني إلى التفكير بحياته الجنسية، الآن، ونحنُ على وشك الدخول إلى متجر تارغيت؟

- «هل تحبّين أن تطبخي؟» يسألُ جيرمي.

- «لا أستطيع أن أقول إنني **لا** أحبّ الطهي. لكنني عشتُ حياتي دائماً وحيدة تقريباً، ولهذا لا أطهو كثيراً».

يختار عربة تسوّق، وأذهبُ معه إلى جناح المأكولات. «ما هي وجبتكِ المفضّلة؟»

- «سندويش تاكوس».

يضحكُ. «وجبةٌ سهلةٌ جداً». يشتري جميع الخضروات التي يحتاجها لتحضير وجبة تاكوس. أتبرعُ بتحضيرِ معكرونة سباغيتي لهم ذات ليلة. هي الوجبة الوحيدة التي يمكنني القول بصدق إنّني ماهرة في تحضيرها.

كنّا نتجوّلُ في جناح العصائر حين قلتُ له إنّني عائدة، وإنني أحتاجُ

لبعض الأشياء التي أجدها خارج قسم السّمانة. أشتري الفوط الصحية القطنية، ومعها أشياء أخرى مثل الشامبو والجرابات وبعض القمصان، فأنا لم أجلب معي شيئاً منها حين أتيت.

ليست لديّ أدنى فكرة لماذا أشعرُ بالحرَج لشراء الفوط الصحية القطنية. أظنّ أنه سبقَ ورآها مراراً. والآن، وبعد كلّ ما أعرفهُ عن جيرمي، أجزمُ أنه قام بشرائها مرات عديدة لزوجته فيريتي. يبدو أنه من ذاك النمط من الأزواج الذين لا يفكّرون مرّتين بأمرٍ كهذا.

أجدُ جيرمي في جناح السّمانة، وحين مشيتُ باتجاهه، رأيتُ امرأتين تقفان بقربه، بعدما وضعتا عربتي التسوّق جانباً للتحدّث إليه. كان يتكئ بظهره إلى مبرّد قشطة البوظة، ويعطي الانطباعَ بأنّه يتمنّى أن يذوبَ هناك، لائذاً بالفرار. لا أرى سوى رأسيهما من الخلف حين أقترب، ولكن حين وقعتْ عينا جيرمي عليّ، ورمقني بنظرته، التفتتْ إحداهنّ، وهي امرأة شقراء فاتنة، لترى ما الذي ينظرُ إليه. ترمي الحسناءُ نظرتها الخاطفة سريعاً باتجاهي، نظرة تكفي لرؤيتي. الشعاعُ المنطلقُ من عينيها بدّلَ عقلي على الفور.

أقتربُ من عربة التسوّق بحذرٍ وتوجّس كمن يقتربُ من وحشٍ كاسرٍ. هل أضع أشيائي داخل العربة، أم أنّ هذا سيزيدُ الوضعَ غرابةً؟ أقرّرُ أن أضع مشترياتي في السلّة العلوية للعربة، كأنني أرسمُ خطّاً في رمالِ العربة الحمراء: **نحنُ معاً ولسنا معاً**. تنظرُ المرأتان إليّ بوقتٍ واحدٍ. حاجباهمُا يرتفعان إلى الأعلى مع كلّ قطعةٍ أضعُها في سلّة العربة. إحداهنّ، وهي الشقراء التي تقفُ أقرب إلى جيرمي، تحملقُ بالفوط الصحية القطنية. ثمّ ترفعُ بصرَها وتنظرُ إليّ، حانيةً رأسها نحوي.

– «وأنتِ من تكونين؟»

– «إنّها لورا تشيس»، يجيبُ جيرمي. «لورا، أودّ أن أعرّفكِ على كارولين وباتريشيا».

تبدو الشقراء وكأنّ أحداً ما ناولها فنجاناً ساخناً من شاي الثرثرة. «نحن صديقتان لفيريتي»، تقولُ باتريشيا. ثم رمقتني بنظرة استعلاء واضحة. «الشيء بالشّيء يُذكر، لا بدّ أنّ فيريتي تشعرُ بالتحسّن لوجود صديقة جديدة

لها في البلدة». تنظرُ إلى جيرمي لتقديم المزيد من الشرح. «أم إنّ لورا صديقة لك؟».

– «لورا جاءت إلى هنا من نيويورك. إنها تعملُ مع فيريتي».

تبتسمُ باتريشيا في اللّحظة التي تغمغمُ بها بصوتٍ خفيض، ثم تعودُ وتنظرُ إليّ. «كيف يمكن بالضبط العمل مع كاتبٍ ما؟ كنتُ أعتقدُ أنّ الكتابة تحتاج إلى عزلة تامّة».

– «هذا ما يفترضه، عادةً، أولئك الذين لا علاقة لهم بالأدب أصلاً»، يقولُ جيرمي. ثم يهزّ لهما رأسه، واضعاً حدّاً للمحادثة. «أتمنى لكما بقية نهارٍ طيّب أيتها السيّدتان». ويبدأ بتحريك عربة التسوق، لكنّ باتريشيا تضعُ يدها فوقها.

– «بلّغ فيريتي أنني أرسلُ لها تحياتي، ونحن نتمنّى لها الشفاءَ السّريع».

– «سوف أبلّغها الرسالة»، يقولُ جيرمي مبتعداً عن المرأة. «بلّغي تحياتي إلى شيرمان».

تقطّبُ باتريشيا حاجبيها استياءً. «اسم زوجي وليام».

يهزّ جيرمي رأسه لمرّةٍ واحدةٍ. «أوه، هذا صحيح. لقد خلطْتُ بينهما».

أسمعُ باتريشيا تتمتمُ متذمّرةً ونحن نبتعد. حين نصل إلى الصفّ التالي، أقولُ: «من شيرمان هذا؟».

– «الشّخص الذي تضاجعه من خلف ظهرِ زوجها».

أنظرُ إليه مصدومةً. إنّه يبتسمُ فحسب.

– «يا لطيف!» أقولُ، ضاحكةً. حين نصل إلى ركن المحاسبة، تظلّ الابتسامةُ لا تفارق شفتيّ. لا أعتقد أنّني سبق وشهدتُ بأمّ عيني مشهداً ساخناً كهذا.

يبدأ جيرمي بوضع المشتريات فوق القشاط المتحرك. «ربّما ما كان يجب أن أنحدر إلى مستواها، لكنّني لا أستطيعُ أن أتحمّل المنافقين».

– «نعم، ولكن من دون المنافقين لن يكون هناك لحظات درامية ساخنة كتلك التي شهدتها الآن».

يفرغُ جيرمي بقية الأغراض من العربة. أحاول أن أُبقي أشيائي منفصلة، لكنّه يرفض أن أقوم بدفعِ ثمنها.

لا أستطيعُ لجم نظراتي إليه وهو يسحبُ بطاقة الاعتماد. إنّي أشعرُ بشيءٍ ما. لستُ متأكّدة ما طبيعة هذا الشعور. أهو إعجابٌ شديدٌ به؟ قد يكون الأمرُ كذلك. فأنا لا مانع لديّ من الإعجاب برجلٍ مخلصٍ لزوجته المريضة لدرجة أنه بات أعمى لا يرى أحداً أو شيئاً آخر سواها. بل إنه أعمى لا يعرفُ حقيقة زوجته نفسها.

لوين آشلي تقعُ في غرام رجلٍ يهوى غيرها، ومثقلٍ بالأحمال أكثر منها. هذه بالضبط هي لحظةُ التجلّي.

-9-

مضى على وصولي إلى هنا خمسة أيام، لكنني أشعرُ أن المدّة التي أمضيتها هي أطول بكثير. الأيام هنا تمضي ثقيلة في حين أنها في نيويورك سريعة كدقيقة نيويورك.

سمعتُ ميرنا تقول لجيرمي هذا الصباح إن فيريتي مصابة بالحمى، وهذا هو السبب الذي منعها من إخراجها من غرفة نومها طوال اليوم، قبل أن تغادر في المساء. لم ينتابني الحزنُ لسماع ذلك. هكذا لن أجد نفسي في حضرتها، ولن أنظر إليها عبر نافذة المكتب خلال فترات استراحتهم في الهواء الطلق.

لكنّني أطيلُ التحديقَ بجيرمي، مع ذلك. إنه يجلسُ وحيداً على الشرفة الخلفية، محدّقاً في البحيرة أمامه، مسترخياً إلى الوراء فوق كرسيه الهزّاز التي لم يقم بتحريكها منذ أكثر من عشر دقائق. كان يجلسُ ساكناً تماماً. وبين الفينة الأخرى يتذكّرُ أنّ عليه أن يرمش. مضى على جلوسه هناك وقتاً ليس بالقصير.

أتمنّى أن أعرفَ الأفكار التي تدورُ في رأسه في هذه اللّحظة. هل يفكّر بابنتيه؟ أم بزوجته فيريتي؟ هل يفكّر بالتبدّلات التي طرأت على حياته خلال العام المنصرم؟ لم يحلق ذقنه منذ بضعة أيام، ولحيته تزدادُ كثافةً. إنها تبدو جميلةً على وجهه، مع أنّني لستُ متأكّدة ما الذي يمكن أن يبدو قبيحاً عليه.

أنكبُّ إلى الأمام فوق طاولة فيريتي، واضعةً ذقني بين يديّ. أشعرُ بالنّدم على الفور لتلك الحركة لأنّ جيرمي لاحظَ ذلك من بعيد. يستديرُ برأسه وينظرُ إليّ عبر النّافذة. أريدُ أن أشيح بوجهي وأبدو منهمكةً، لكن من الجليّ أنني كنتُ أنظرُ إليه، خاصّة أنّني الآن منكبة بجذعي إلى الأمامي، أسندُ رأسي

بين يدي. سيبدو الأمرُ أكثر سوءاً لو حاولتُ إخفاء ذلك عند تلك النقطة، وبالتالي أكتفي برسم ابتسامةٍ ناعمةٍ وأنا أنظرُ إليه.

لا يبادلني الابتسامة، ولا يشيحُ بنظره بعيداً. بل يظلُّ محدقاً بعينيّ لبضع ثوانٍ، وأشعرُ أنّ نظراته تحرّك أشياء عميقة في داخلي. وهذا ما جعلني أتساءلُ هل تترك نظراتي الأثرَ نفسَه فيه.

يأخذُ شهيقاً بطيئاً، ثم ينهضُ عن كرسيّه، ويمشي بعيداً، باتجاه رصيف البحيرة. حين يصلُ إلى هناك، يلتقطُ المطرقةَ، ويبدأ بنزع الألواح الخشبية المتبقّية على الجانبين.

ربمّا كان متعطّشاً للحظةِ سلامٍ مع نفسه من دون فيريتي، أو كرو، أو الممرّضة، أو أنا التي أفسدتُ عليه خلوتَه.

أحتاجُ إلى حبّة زاناكس مخدّرة. لم أتناولْ حبّةً واحدة منذ أسبوع. إنّها تجعلني أرتعشُ، ويصبحُ من الصّعب عليّ أن أركّز في الكتابة أو البحث. لكنني تعبتُ من تلك اللحظات في هذا المنزل التي يرتفعُ فيها نبضي عالياً، مثلما يحدثُ معي الآن. ما إن يرتفعُ الأدرنالين في دمي، حتى يصبحَ من الصعبِ عليّ إخماده. سواء أكان جيرمي، أو فيريتي، أو مؤلّفات فيريتي، ثمة دائماً ذاك الشيء الذي يضرب أطنابه حولي، ويرفعُ مستويات القلق لديّ إلى أقصى درجة. شعوري تجاه هذا البيت وقاطنيه هي أكثر تشويشاً لي من أية ضبابية بسيطةٍ قد تحدثُها حبّةُ المخدّر.

أمشي إلى غرفة النوم، وأفتحُ حقيبتي، باحثة عن حبّة زاناكس. في اللّحظة التي أهمّ فيها بفتح العلبة، أسمعُ صرخةً تأتي من الطابق العلوي.

كرو.

أرمي علبةَ الحبوب المغلقة على السّرير، وأهرعُ خارجةً من الغرفة باتجاه الدَّرَج العلوي. إنّي أسمع بكاءَه الآن. ويبدو لي أنّه قادم من غرفة فيريتي.

ورغم رغبتي الشديدة بالاستدارة، والرّكض بعيداً بالاتجاه الآخر، لكنني أدركُ أنّه مجرّد طفلٍ صغيرٍ، قد وقعَ له مكروهٌ ما، فأستمرّ بالمشي.

حين أصلُ إلى الباب، أقومُ بفتحه على الفور من دون أن أطرق عليه. رأيتُ كرو على الأرض واضعاً يده على ذقنه. الدم يسيل من يديه وأصابعه.

وثمة سكينٌ مرميةٌ بالقرب منه على الأرض. «كرو؟» أنحني وأرفعه إلى الأعلى، ثم أُسرعُ باتجاه الحمّام، عبر القاعة. أضعه فوق حافّة الحوض.

- «دعني أرى». أزيحُ أصابعَه المرتعشة عن وجهه لأقدّر عمقَ الجرح. الدمُ يستمرّ بالنزف، لكن الإصابة لا تبدو بالغةً. يوجدُ جرحٌ صغير تحت ذقنه تماماً. لا بدّ أنّه كان يحمل السكّينَ بيده حين وقعَ أرضاً. «هل جرحتَ نفسكَ بالسكّين».

عينا كرو تجحظان نحوي وتنظران إليّ. يهزّ رأسه بالنفي، كأنه، على الأرجح، يريد أن ينكرَ أنه كان يحملُ سكيناً. أنا متأكّدة أنّ جيرمي لن يحبّذَ ذلك. «ماما تقولُ إنّه لا ينبغي أن ألمسَ سكّينها».

أتجمّدُ في مكاني. «أمّك تقولُ هذا؟».

كرو لا يجيب.

- «كرو»، أقولُ ممسكةً بمنديلِ التنظيف. أشعرُ أنّ قلبي علقَ في حنجرتي وأنا أتحدّثُ إليه، لكنّني أحاولُ أن أخفي خوفي فيما أبلّلُ المنديلَ بالماء. «هل تتكلّمُ أمّكَ معكَ؟».

جسدُ كرو متخشّبٌ الآن، والشّيءُ الوحيدُ الذي يتحرّكُ فيه هو رأسه حين أشار إليّ بالنفي. أضغطُ المنديل على ذقنه قبل أن أسمع خطوات جيرمي تأتي مسرعةً على الدَّرَج. لا بدّ أنه سمعَ صرخة كرو.

- «كرو!» ينادي.

- «ها نحن هنا».

عينا جيرمي تفيضان توجّساً حين يصلُ إلى الباب. أفسحُ طريقاً له فيما أضغطُ بالمنديل على ذقنِ كرو.

- «حبيبي، هل أنت بخير؟».

يومئ كرو برأسه، وجيرمي يأخذُ منديلَ التنظيف من يدي. ينحني ويلقي نظرةً على جرح كرو، ثم ينظرُ إليّ. «ماذا حدث؟».

- «أظنّ أنه تسبّب بجرح نفسه»، أقولُ. «كان في غرفة نومِ فيريتي. وكانت السكّين ملقاةً على الأرض».

جيرمي ينظرُ إلى كرو. عيناه تفيضان خيبةً الآن أكثر منهما خوفاً. «ما الذي كنتَ تفعله بالسكّين؟».

يهزّ كرو رأسه بالنفي، ويسعلُ فيما كان يحاولُ التوقّف عن البكاء. «لم أكنْ أحملُ سكّيناً. لقد وقعتُ من السرير فحسب».

جزءٌ منّي يشعرُ بالاستياء لأنني قد أكون اتهمتُ الطفلَ المسكين زوراً وبهتاناً. أحاول أن أصلحَ غلطتي. «لم يكنْ يحملُها في يده. رأيتها على الأرض، وافترضتُ أنّ ذاك هو ما حدثَ بالفعل».

ما زالت الرجفةُ تسري في أنحاء جسدي مما قاله كرو عن فيريتي وعن السكّين، لكنّني ذكّرتُ نفسي أنّ الجميع يتحدّثون عن فيريتي بصيغة الزّمن الحاضر. الممرضة، وجيرمي، وكرو. أنا متأكّدة أنّ فيريتي طلبت منه في الماضي ألّا يلعبَ بالسكاكين، لكنّ مخيلتي تبالغُ، وتفسّر الأمرَ على نحوٍ آخر.

يفتحُ جيرمي خزانة الأدوات الطبية خلف كرو، ويحضرُ علبة إسعافٍ أولية. حين يغلقُ المرآة، أراه يحدّقُ بصورتي فيها. «اذهبي وتأكّدي»، يقول لي، مشيراً برأسه باتجاه الباب.

أغادرُ غرفةَ الحمام، لكنّني أتوقّف في منتصف الرّدهة. لا أحبّ الذهاب إلى تلك الغرفة، بغض النظرِ عن مدى عجزِ فيريتي. لكنّني أعرفُ أن كرو لا يحتاجُ إلى تلك السكّين، ما يدفعني للسير قُدُماً.

ما زال بابُ فيريتي مفتوحاً على مصراعيه، لكنني أمشي على رؤوس أصابعي خشية أن أوقظها. هذا لا يعني أنني أستطيعُ ذلك. أدورُ حول السرير إلى حيث كان كرو ملقًى على الأرض.

لا توجدُ سكّين البتّة.

أعودُ أدراجي، وأقولُ في نفسي ربّما ركلتُها من دون قصدٍ إلى مكانٍ ما حين هممتُ برفع كرو عن الأرض. حين أعجزُ عن رؤية السكّين، أنبطحُ أرضاً وأنظرُ تحت السرير. لا يوجدُ شيءٌ أبداً تحت إطار السرير سوى طبقة رقيقة من الغبار. أمرّر يدي تحت القاعدة المعدنية، قرب السرير الطبّي، لكنّني لا أجدُ شيئاً.

أعرفُ أنني رأيتُ سكّيناً. لمْ أُجَنّ بعدُ.

أم إنني جُننتُ؟

أضع يدي على فراش السرير محاولةً النهوض إلى الأعلى، لكنّني أقعُ إلى الخلف، مستندةً إلى راحتيّ، فقد رأيتُ فيريتي تحدّق بي. رأسُها يأخذ وضعيةً مختلفة، بعد أن استدار إلى اليمين، وعيناها تنظرُ مباشرةً إلى عينيّ.

اللعنة! أختنقُ خوفاً وأنا أجرّ جسدي إلى الوراء بعيداً عن سريرها. وينتهي بي الأمر بضعة أقدامٍ بعيدةً عن السرير. ورغم أنّ رأسها هو الشيء الوحيد الذي تبدّل اتجاهه منذ أن دخلتُ الغرفة لأوّل مرة، لكنّ خوفي كان يحثني على الهروب، والنجاة بحياتي. أسحبُ جسدي وأنهضُ، متكئةً على عصا مشجب الملابس، فيما ظلّ بصري ثابتاً يحدّقُ بها. وأنا أمشي إلى الخلف باتجاه الباب، ظلّ وجهي يواجهُ وجهَها طوال الوقت. إنّي أحاولُ السيطرةَ على ذعري، لكنّني بقيتُ خائفةً من أن تُمسك بتلك السكّين التي التقطتْها عن الأرض وتقذفَها باتجاهي.

أوصدُ بابَها خلفي وأقفُ هناك ممسكةً بقبضة الباب، محاولةً السيطرة على ذعري. أكرّرُ الشهيقَ والزفيرَ، خمس مرّات متتالية، وكلّي حرصٌ على ألّا يرى جيرمي الذعرَ في عينيّ، حين أعودُ أدراجي وأخبرهُ أنه لا توجدُ سكّينٌ هناك.

ولكن كان ثمة سكّينٌ هناك!

يداي ترتعشان. أنا لا أثقُ بها. أنا لا أثق بهذا البيت. ومع إدراكي أنّ عليّ المكوث لإنجاز أفضل عملٍ ممكن، بيد أنه أفضل لي أن أنام في سيارتي المستأجرة، فوق شوارع بروكلين، على مدى الأسبوع القادم كلّه، من أن أنام ليلةً واحدةً أخرى في هذا المنزل.

أعصرُ التوتّر من رقبتي أثناء عودتي إلى الحمّام. كان جيرمي يضع الضمادات حول ذقن كرو.

- «أنتَ محظوظ لأنّك لا تحتاجُ إلى قُطَب»، يقول جيرمي لابنهِ. إنّه يساعدُ كرو على غسل الدّم عن يديه، ثم يطلبُ منه الخروجَ ليلعب. يندفعُ كرو مارّاً بقربي ثم يتوجّهُ إلى غرفة فيريتي.

من الغرابة بالنسبة لي أنّه يعتبر الجلوس فوق سريرها في أثناء لعبهِ بشاشة حاسوبه الصغير أمراً مسلّياً له. مع ذلك، أنا متأكّدة أنّ كلّ ما يريده هذا الطفل هو أن يكون قريباً من أمّه. **انتهى الأمرُ يا عزيزي. فأنا لا أريدُ أن أكون قريبةً منها على الإطلاق.**

– «هل جلبتِ السكّين؟» يسألُ جيرمي فيما كان يجفّفُ يديه بالمنشفة.

أحاول أن ألجمَ الخوفَ الذي ما زال ينتابني. «لم أعثرْ عليها».

يرمقني جيرمي بنظرة خاطفة لمدّة ثانية ثم يقولُ، «لكنّكِ قلتِ إنكِ رأيتِها؟».

– «ظننتُ أنّني رأيتُها. ربّما قد أكونُ لم أرَ شيئاً. لم أجدْها هناك».

يندفعُ جيرمي خارجاً. «سوف أذهبُ للبحثِ عنها». يتوجّهُ إلى غرفة فيريتي، لكنّه يستديرُ قليلاً ويتوقّفُ قبل أن يصل بيده إلى الباب. «شكراً للمساعدة التي قدّمْتِها له»، يبتسمُ، لكنّها ابتسامة مصطنعة قليلاً. «أعلمُ كم كنتِ مشغولةً طوال هذا النّهار». يغمزني بطرفِ عينه قبل أن يلجَ إلى غرفة فيريتي.

أُغمضُ عينيّ، محاولةً أن أهضمَ الحرج الكبير الذي ينتابني. **أستحقّ كلّ هذا.** ربّما يحسَبُ أنّ كلّ ما أفعله هو الجلوس والتحديق خارج تلك النّافذة في المكتب.

ربّما حان الوقتُ لأخذِ حبّتين اثنتين من زاناكس في هذه اللّحظة.

حين أقفلُ راجعةً إلى مكتبِ فيريتي، كانت الشمسُ على وشكِ الغروب، ما يعني أنّ كرو ينبغي أن يستحمّ بعد قليل ويذهبَ إلى فراشه. وسوف تقضي فيريتي اللّيلَ في سريرها. سوف أشعرُ ببعض الطمأنينة، لأنني، ولأيّ سبب كان، لا أخافُ من أي شيءٍ آخر في هذا المنزل سوى من فيريتي. لستُ مضطرةً أن أقتربَ من غرفتها خلال فترة اللّيل. في حقيقة الأمر، أضحت فترةُ الليلِ هي المفضّلة بالنسبة لي هنا لأنّني أرى القليلَ من فيريتي، والكثير من جيرمي.

لا أعلمُ إلى متى سوف أستطيعُ أن أقنعَ نفسي أنّني لا أكنُّ إعجاباً شديداً لهذا الرجل. كما لا أعلمُ إلى متى سوف أستطيع أن أقنعَ نفسي أنّ فيريتي

شخصٌ صالحٌ أكثر مما هي عليه في الواقع. بعد قراءة كلّ كتابٍ في السلسلة أظنّ أنني بدأتُ أفهم أنّ السبب الذي يجعلُ روايات الغموض لديها تحقق نجاحاً كاسحاً هو مهارتها في الكتابة من وجهة نظر البطل الشّرير.

النقّاد يحبّون هذه الميزة في أسلوبها. حين استمعتُ إلى التسجيلِ الأوّل لكتابها خلال رحلتي بالسيارة إلى هنا، أحببتُ كثيراً كيف أنّ الرّاوي لديها يتكلّمُ كمريضٍ نفسي بعضَ الشيء. عجبتُ كيف تستطيعُ فيريتي أن توغلَ في عقلِ شخصياتها بتلك الطريقة. لكن ذلك كان قبل أن أعرفَها.

ما زلتُ لا أعرفُها بالمعنى التقني للكلمة، لكنّني أعرفُ فيريتي التي كتبتِ السيرةَ الذّاتية. من الواضح أنّ الطريقة التي كتبت بها بقيةَ روايتها لم تكن بالمقاربة الفريدة بالنسبة لها. في كلّ الأحوال، **يقولون ينبغي عليك أن تكتب عمّا تعرفه**. وبدأتُ أقتنعُ، شيئاً فشيئاً، أن فيريتي كانت تكتب من منظور البطل الوغد لأنها نفسها تحملُ خصالَ الوغد. كلّ ما تعرفه هو أن تكون شريرةً فحسب.

أشعرُ أنني أنا الأخرى أتصرّفُ قليلاً كشرّيرة، حين أفتحُ درْجَ المكتب، وأفعلُ بالضبط ما كنتُ قد أقسمتُ على عدم فعلِه: قراءة فصلٍ آخر من مذكّراتها.

الفصل الرابع

البنتان كانتا مصرّتان على الحياة، فقررتُ أن أمنحهما الفرصة.

لا شيءَ فعلتهُ أفضى إلى نتيجة أو أجدى نفعاً. محاولةُ الإجهاض الذّاتي، والحبوب العشوائية، والسقوطُ «بالصدفة» درجةً أو اثنتين، على الدَّرَج. الشيءُ الوحيدُ الذي تمخّضتْ عنه جميع محاولاتي هو أثرُ جرحٍ صغير على خدّ إحدى الطفلتين. وشمٌ لجرحٍ أنا متأكّدة أنّني أنا وحدي المسؤولة عنه. وشمٌ لم يعرفْ جيرمي أبداً كيف يُخْرِسُ لسانَه عنه.

بعد مضي عدّة ساعات من نقلي إلى الغرفة بعد ولادتهما -عبر عملية قيصرية، حمداً لله- أتى طبيبهما المولّدُ كي يكشف عليهما. أغمضتُ عيني متظاهرةً بالنوم، خوفاً من أن أتبادلَ معه كلمةً واحدة. خشيتُ أن يكشفَ ما أضمره في أعماقي، ويدركُ بالسليقة أنّني لا أصلحُ أن أكونَ أماً لهاتين الطفلتين.

جيرمي سألَ الطبيب عن الوشم فوق خدّ الطفلة قبل أن يغادرَ الغرفة. قلّل الطبيب من شأن الجرح، وقال ليس أمراً استثنائياً في حالة التوأمين المتطابقين أن يخمش أحدهما الآخر داخل الرّحم. لكنّ جيرمي لم يوافقْ. «الجرح عميقٌ جدّاً، مع ذلك، ولا يمكن أن يكون مجرّد خمشٍ بسيطٍ».

- «قد يكون تسبّب به نسيجٌ ليفيٌّ ما»، قال الطبيب. «لا تقلقْ، سوف يندثر مع مرور الوقت».

- «أنا لستُ قلقاً كيف يبدو على الوجه»، قال جيرمي بنبرة دفاعية تقريباً. «أنا أخشى أن يكون علامة على شيء أكثر خطورةً».

- «لا، لا خطورة. ابنتاكَ بصحة جيّدة تماماً. كلتاهما بخير».

رموز.

الطبيبُ غادر والممرضةُ ذهبتْ، ولم يبق في الغرفة سوى جيرمي وأنا والرّضيعتين. إحداهما ترقدُ داخل شيءٍ يشبه السّرير الزجاجي - لا أدري ماذا يُسمّى. وجيرمي يحملُ الأخرى بين ذراعيه. كان ينظرُ إليها مبتسماً حين فتحتُ عينيّ ونظرتُ إليه.

- «مرحباً، ماما».

من فضلكَ لا تنادني بذلك.

ابتسمتُ في وجهِهِ على كلّ حال. بدا طيّباً كأب. بدا سعيداً. لا ضيرَ بأن تكون تلك السعادة ليست من أجلي، ولا تربطني بها سوى علاقة واهية. ولكن حتى في أوج غيرتي تلك لم أستطعْ سوى أن أكنّ له التبجيل. قد يكون من ذاك النمط من الآباء الذين لا يتردّدون في تغيير حفّاضات أطفالهم. لا يتردّدُ في تحضير زجاجات الحليب لهم. كنتُ أعرفُ أنني سأحترم هذا الجانب في شخصيته مع مرور الأيام. كنتُ أحتاج فقط للتكيّف التدريجي. أحتاجُ لأن أعتادَ على أنّني أصبحتُ أمّاً الآن.

- «أحضرْ لي الموشومة بينهما»، قلتُ.

رسم جيرمي علامة التجهّم على وجهه، ملمّحاً إلى عدم رضاه عن اختياري للمفردات. أعتقدُ أنها لم تكن طريقة لائقة في المخاطبة، لكنّنا لم نكنْ قد اخترنا أسماءً لهنّ بعد. الوشم هو العلامة الفارقة للاستدلال على هويتها.

حملها إليّ ووضعها بين ذراعيّ. نظرتُ إلى الأسفل إليها. انتظرتُ طوفان العواطف كي يأتي، لكنني لم أشعرْ لو بقطرة واحدة. لمستُ خدّها ومرّرتُ أصابعي فوق الوشم. أعتقدُ أنّ السلكَ المعدني لم يكن متيناً بما فيه الكفاية. ربّما كان ينبغي أن أستخدَمَ أداةً لا تنحني بسهولة تحت الضّغط. إبرة حياكة؟ لستُ متأكّدة أنها ستكون طويلةً بما يكفي.

- «الطبيبُ قال إنّ الوشمَ قد يكون خمشاً بسيطاً»، قال ضاحكاً. «تتعاركان حتّى قبل أن تولدا».

ابتسمتُ في وجهه، ليس لأنّني شعرتُ بالحاجة إلى الابتسامة، بل لأنّ

هذا، على الأرجح، ما كان يتوجب عليّ القيام به. لم أكن أريدُ لجيرمي أن يظنّ أنني لا أحبها مثلما يحبّها هو. أخذتُ يدها الصغيرة وشبكْتُها حول إصبع سبابتي. «تشاستين»، همستُ. «سيكون من نصيبكِ الاسم الأجمل لأنّ اختَكِ عاملتكِ معاملةً سيئةً».

– «تشاستين»، قال جيرمي. «لقد أحببتُ الاسم».

– «وهاربر»، قلتُ. «تشاستين وهاربر».

الاسمان كانا من ضمن قائمة الأسماء التي أرسلها لي. وقد نالا استحساني. اخترتهما لأنه ذكرهما أمامي أكثر من مرّة، وبالتالي خمّنتُ أنّهما على رأسِ القائمة لديه. ربّما لو استطاع أن يرى كم بذلتُ من جهدٍ في سبيل أن أحبّه، لما رأى تلك الثغرتين اللّتين افتقرتُ فيهما للحبّ.

بدأتْ تشاستين بالبكاء. راحتْ تنتفضُ وتتلوّى بين ذراعيّ، ولم أعرفْ ماذا يجب أن أفعل. بدأتُ أهزُّ جسدَها، لكن هذا موجعٌ، فتوقّفتُ. صرخاتُها بدأتْ تعلو أكثر فأكثر.

– «ربّما قد تكون جائعة»، اقترحَ جيرمي.

كنتُ قد استسلمت لفكرة أنّهما لن تعيشا بعد ولادتهما بعد كلّ ما فعلته بهما، ولم أحسبْ حساباً لأيّ احتمالٍ آخر. كنتُ أعرفُ أنّ السبيل الوحيد لتهدئة بكائهما هو الرضاعة، لكن لم تكن لديّ أدنى رغبة بإحداث أي ضرر لثدييّ، وبخاصّة أنه يوجد الآن رضيعتان وليس واحدة فقط.

– «يبدو لي أنّ أحداً ما يشعرُ بالجوع هنا»، قالت الممرضةُ ما إن دلفتْ تتبخترُ في الغرفة. «هل قمتِ بإرضاعهما؟».

– «كلّا»، قلتُ على الفور. أردتها أن تغرب عن وجهي، وتخرج متبخرةً مثلما دخلتْ.

نظر جيرمي إليّ، تعتورُ وجهه ملامح القلق. «هل أنتِ متأكّدة؟».

– «إنهما اثنتان؟» أجبتُ.

لم تعجبْني ملامحُ جيرمي في تلك اللّحظة، كأنّ ظنّه قد خاب بي. كرهتُ فكرةَ أنّني قد أقضي أيامي على هذه الشّاكلة، ولوقتٍ طويلٍ. أي هو يقفُ دوماً في حلفهما، وإلى جانبهما. وأنا لم تعدْ لي أهمية تُذكَر.

- «إنّ ارضاعهما ليس أكثر صعوبة من تحضير زجاجة حليب لهما»، قالت الممرضةُ المتبخترة. «في الواقع قد يكون إرضاعهما أسهل بكثير. هل تجرّبي أوّلاً؟ ثم احكمي بنفسك؟».

لم أستطعْ أن أزيحَ بصري عن جيرمي وأنا أنتظرُ منه أن يعفيني من ذاك العذاب. لكن ميله إلى إرضاعهما رغم وجود العديد من البدائل السليمة المناسبة الأخرى أصابني في مقتلٍ. أومأتُ بالموافقة، وأنزلتُ كمَّ ثوبي نحو الأسفل، لأنّني أردتُ إرضاءَه. أردته أن يكون سعيداً لأنّني أصبحتُ أمّاً لطفلتيه، رغم أنّني لم أكن سعيدةً البتّة.

أخرجتُ ثديي وقرّبتُ تشاستين إلى حلمتي. كان جيرمي يراقبُ المشهدَ كلّه. رآها كيف التصقتْ بحلمة ثديي. رأى رأسَها يتحرّكُ إلى الأمام ثم إلى الخلف، فيما يدها الصغيرة تنغرزُ في جلدي. رآها كيف بدأتْ تمصّ الحليبَ من حلمتي.

شعرتُ أنّ ثمة شيئاً خاطئاً يحدثُ هنا.

هذه الرضيعة تمصُّ الآن النهدَ نفسه الذي مصّهُ هو مراراً من قبل. لم أحبّذ هذا. كيف له أن يجد نهديّ جذّابين بعد الآن، بعد أن يرى بأمّ عينه طفلتين ترضعان منهما كلّ يوم؟

- «هل هذا موجع؟»، سأل جيرمي.

- «ليس تماماً».

وضع يده على رأسي، ورفع شعري إلى الخلف. «من ينظر إليكِ يشعر أنك تتألمين».

أنا لا أتألم. أنا أشعرُ بالتقزّز.

رحتُ أراقبُ تشاستين وهي تتابع الرّضاعة من صدري. معدتي تشنّجت وأنا أحاول جهدي كي لا أُظهِرَ له كم بتّ أشعرُ بالقرف. أنا متأكّدة أنّ بعض الأمهات يجدْن هذا شيئاً جميلاً. لكنني وجدْتُه مدعاةً للاشمئزاز.

- «لا أستطيع أن أقوم بهذا»، همستُ، حانيةً رأسي إلى الخلف، على المخدّة.

انحنى جيرمي وسحَبَ تشاستين عن صدري. تنهّدتُ عميقاً بعد أن أزاحها عن صدري، وشعرتُ بالرّاحة بعد أن تحرّرتُ منها.

– «لا ضير في ذلك»، قال جيرمي بنبرة اطمئنان. «سوف نجرّب صيغة الحليب البديل».

– «هل أنت متأكّد؟» سألتْهُ الممرّضةُ. «بدتْ وكأنّها تتأقلمُ جيّداً».

– «متأكّدٌ جدّاً. سوف نلجأ للحليب البديل».

أُسقِط في يدِ الممرّضة، وقالتْ إنها سوف تجلبُ زجاجةَ سيميلاك حين تعود، ثم غادرت الغرفة.

ابتسمتُ لأنّ زوجي مازالَ يقف إلى جانبي، ومازال ظهيراً لي. وضعني في أوج تلك اللّحظة ثم تركني أشعرُ بالغبطة. «شكراً لك»، قلتُ له.

قبّلَ جبينَ تشاستين ثم جلس معها على حافّة السّرير. راح يحدّق بها ويهزّ رأسَه غير مصدّقٍ. «كيف لي أن أشعرَ بكلّ تلك الحاجة إلى حمايتهما وأنا لم أعرفْهما سوى منذ ساعات قليلة؟».

أردتُ أن أذكّرَه أنّه دائماً كان يشعرُ بالحاجة إلى حمايتي، لكن تلك لم تكن هي اللّحظة المناسبة. شعرتُ أنني تقريباً أقحمُ نفسي في أمرٍ لستُ طرفاً فيه. لن أكون أبداً جزءاً من هذه المحبّة التي تربط أباً بابنتيه. إنه يحبّهما للتوّ أكثر بكثير مما كان يحبّني. ولا بدّ أنه سوف يكون في صفّهما، حتى ولو لم أكنْ على خطأ. وبدا الأمرُ أكثر سوءاً بكثير مما تخيلتُهُ.

رفعَ يده إلى خدّه ومسح دمعةً ترقرقتْ.

– «هل أنتَ تبكي؟» فتَلَ جيرمي رأسَه باتجاهي كمن أُصيب بصدمة جرّاء الكلمات التي قلتها. شعرتُ بالذّعر. ثمّ تمالكتُ نفسي سريعاً. «نطقتُ الجملة بطريقة غريبة»، قلتُ. «لم يكنْ قصدي سلبياً. أحبّ حبّكَ الجمّ لهما».

توتره المفاجئ اختفى مع تمالكي السّريع لنفسي. عادَ ونظرَ إلى تشاستين ثم قال: «لم يسبقْ لي أن أحببتُ أيّ شيءٍ آخر كلّ هذا الحبّ. هل تظنّين أنّ بوسعكِ أن تحبّي أحداً ما كلّ ذاك الحبّ؟».

حركتُ عينيّ في محجريهما وفكّرتُ في نفسي: لقد سبقَ وأحببتُ أحداً ما كلّ هذا الحبّ. إنه أنتَ. على مدى أربعِ سنوات متتالية. لكن شكراً لانتباهكَ.

-10-

لا أدري لماذا أصابتني الدهشةُ وأنا أُعيدُ المخطوطةَ إلى قعرِ الدرْج. اهتزّتِ الأوراقُ وخشخشتِ المحتوياتُ داخل الدُّرج وأنا أقفلُه غاضبةً. لماذا أنا غاضبة؟ هذه ليست حياتي أو عائلتي. لقد اطّلعتُ على المراجعات الصحفية المتعلّقة بالكاتبة فيريتي قبل مجيئي إلى هنا، ومعظمها، بنسبةٍ تكادُ تصل إلى تسع من عشرة، كان فيها كاتبُ المراجعة يلمّحُ إلى رغبة شديدة بإطفاء الشموع، ورمي الكتب جانباً في أرجاء الغرفة.

أشعرُ أنّ عليّ أن أفعلَ الشيءَ ذاته بسيرتها الذاتية. كنتُ آملُ أنّها ستجدُ الضوءَ في نهاية النفق بعد ولادة طفلتيها، لكنّها لم ترَ ذلك. على العكس، لقد رأتْ مزيداً من الظّلام.

إنها تبدو باردةً وقاسيةً جدّاً. لكنّني لستُ أمّاً. هل تشعرُ العديدُ من الأمّهات بالشعور ذاته تجاه أطفالهنّ في بداية الأمر؟ إذا كان الأمرُ كذلك، فهنّ لسن صادقات في أحاسيسهنّ. وهذا يشبهُ، على الأرجح، حين يقلْن إنّ ليس لديهنّ ولداً مفضّلاً، لكنّهنّ، ربّما، لا يقلْن الحقيقة. هذا هو السرّ الذي تتكتّم عليه الأمّهات بين بعضهنّ البعض. السرّ الذي لا يُدرَكُ حتى تصيرَ إحداهنّ أمّاً.

أو ربّما لم تكن فيريتي تستحقُّ أن تكونَ أمّاً. أفكّرُ في بعض الأحيان بإنجاب الأطفال. سوف أبلغُ الثانية والثلاثين من العمر بعد وقتٍ قصير، وأكذبُ لو قلتُ إنّني لا أفكّر جدّياً بالأمر، وأخشى أن تفوتني الفرصة ولا أحقّق ذلك. لكن لو أنّني وجدتُ نفسي، ذات يومٍ، في علاقة مع رجلٍ أريده أن يكون أباً لأطفالي، سيكونُ هذا الرّجل شبيهاً بجيرمي. وبدلَ أن تقدّرَ الأبَ الرّائعَ الذي فيه، لم تجدْ فيريتي سبيلاً سوى نبذه ورفضه.

لقد بدا حبُّ جيرمي لابنتيه صادقاً منذ البداية. وما زال يبدو صادقاً. ولم يمرّ وقتٌ طويلٌ على فقدانه لهما. لا أدري لماذا أغفلُ هذه الحقيقة أو أتغافلُ عنها. ربّما مازال يعيش حالة الحزن عليهما، ويمرّ بمراحل الحِداد، في الوقت الذي يعتني بزوجته فيريتي وبطفله كرو، ويحرصُ أشدّ الحرص على أن يبقى الدّخلَ الذي اعتادتْ عليه الأسرةُ مستمراً بلا توقّف. لو أنّ جزءاً يسيراً مما أصابه أصابَ سواه لاعتبروا ذلك مصيبةً كبيرةً. لكنّه يتعاملُ مع كلّ أوجه الفاجعة في وقتٍ واحدٍ.

وجدتُ صناديق من الصور في مكتب فيريتي، موضوعةً في خزانة صغيرة، بينما كنتُ أفتّشُ في حاجياتها هذا الأسبوع. كنتُ قد سحبتُ أحد الصناديق جانباً، لكنّني لم أجد الوقت الكافي للنظر في الصور التي في داخله. يبدو الأمر غزوةً أخرى من قبلي تستهدفُ، مرّة أخرى، عالمها الخاصّ. هذه العائلة، ممثّلةً بجيرمي، وضعتْ أمانةً في عنقي من أجل إكمال هذه السلسلة، لكنّ هوسي بفيريتي ما يفتأ يقضّ مضجعي، ويحرفني عن مساري.

ولكن إذا كانت فيريتي توظّفُ الكثيرَ من شخصيتها في الكتابة فأنا أحتاجُ لأن أعرفَ ما هو متاحٌ أمامي عن عالمها الشخصي. هذا ليس تجسّساً عليها حقّاً. إنّه بحثٌ فحسب. طوبى لكِ. لقد اكتملَ عذركِ.

أحملُ صندوقَ الصّور إلى طاولة المطبخ، ثم أنزعُ عنه الغطاء، وأُخرِجُ حزمةً من الصّور، متسائلةً في سرّي من قام بتصويرها وتحميضِها وطبْعِها. قليلٌ من النّاس في هذه الأيام يحتفظون بصورٍ حسّية لأنفسهم، والفضلُ يعودُ إلى اختراع الهواتف الذكية. ولكن ثمة الكثير من الصور للأطفال هنا. أحدٌ ما تنكّبَ عناءَ الاحتفاظِ بنسخةٍ ورقيةٍ من كلّ صورةٍ التُقطت. أراهنُ أنّ جيرمي هو الذي قام بذلك.

أختارُ صورةً للطفلة تشاستين وأنظرُ إليها. إنّها صورة التُقطتْ من مسافةٍ قريبة. أحملقُ في علامةِ وشمِها للحظة. لم أستطعْ أن أمنع نفسي البارحة من التفكير بها، فعدتُ إلى محرّك البحث غوغل، لأرى ما إذا كانت عدّة محاولات للإجهاض تتسبّبُ بأذًى ما لمنطقة الرّحم.

هذه مسألة لن أبحثَ عنها ثانيةً على غوغل. للأسف الشديد، الكثير من

الأطفال ينجون من الإجهاض، ويولدون حاملين تشوّهات شتّى أسوأ بكثير من ندبة صغيرة على الخدّ. لقد كانت تشاستين محظوظةً حقّاً. هي وهاربر محظوظتان، في الواقع.

محظوظتان إلى حين فقطٍ... إلى أن وقعت الواقعة.

أسمعُ خطوات جيرمي تقترب من الدَّرَج. لا أحاولُ إخفاء الصور لأنّني لا أظنّ أنه سوف يمانعُ ضدّ فكرة جلبها إلى هنا، وإلقاء نظرةٍ عليها.

حين يدخلُ حجرة المطبخ، أنظرُ إليه مبتسمةً، وأتابعُ تقليبَ الصّور. يتلكّأُ في مشيته قبل الوصول إلى الثلّاجة حين يقع بصره على صندوق الصّور فوق الطاولة.

– «أشعرُ أنّ معرفة المزيد عنها يساعدني في الولوج إلى فضاء تفكيرها»، أشرحُ له. «يساعدُني في الكتابة»، أشيحُ بوجهي بعيداً عنه، وأنظر إلى صورة لهاربر، تلك الطفلة التي لا تبتسمُ أبداً في الصور.

يأخذُ جيرمي مقعده بقربي، ويختار بيده إحدى صور تشاستين.

– «لماذا لم تكنْ هاربر تبتسمُ أبداً؟».

يحني جيرمي جذعَه نحو الأمام، ويتناولُ صورةَ هاربر من يدي.

– «أظهرَ تشخيصُها في سنّ الثالثة أنّها تعاني من مرض التوحّد. لم تكنْ تُظهرُ ميلاً قوياً للتعبير عن نفسها».

يمرّرُ إصبعه فوق الصّورة ثم يضعُها جانباً. يسحبُ صورةً أخرى من الصندوق. إنها صورة فيريتي مع الطفلتين. يناولني إياها. الثلاثة يرتدون ملابس متشابهة، أقصد بيجامات موحّدة. إن كانت فيريتي لا تحبُّ طفلتيها في هذه الصّورة، فإنها بالتأكيد بارعة في إظهار عكس ما تُضمر.

– «آخرُ عطلة عيد ميلاد قبلَ ولادة كرو»، يقولُ شارحاً الصورة. يسحبُ مجموعة أخرى من الصور، ويبدأ بتقليبها، الواحدة تلو الأخرى. يتوقّف بين الحين والآخر كلّما رأى صورةً لابنتيه، لكنّه يمرّ مروراً سريعاً على صورِ فيريتي.

– «هنا»، يقولُ ساحباً صورة بعينها من الألبوم. «هذه صورتي المفضّلة

من بينها جميعاً. ابتسامة نادرة من هاربر. كانت تعشقُ الحيوانات عشقاً جارفاً، وفي عيد ميلادهما الخامس، طلبنا أن تُجهّزَ حديقة حيوانات صغيرة لهما في الفناء الخلفي للحديقة».

أرسمُ ابتسامةً خافتةً وأنا أنظرُ إلى الصّورة. أفعلُ هذا جزئياً لأنّ جيرمي يظهرُ في الصورة أيضاً، تعلو أساريره فرحة عارمة. «هلّا وصفتَ لي طباعهما؟».

– «تشاستين حنونة، وشعلة صغيرة من النشاط. حتّى في صغرها كانت تشعرُ أنّ أختَها مختلفة عنها قليلاً. لعبتْ معها دور الأمّ. كانت تعلّمني وتعلّم أمّها فيريتي كيف ينبغي أن نتصرّف كأبوين. يا الله حين ولد كرو، حسبنا، للوهلة الأولى، أنّنا يجب أن نتركه في عهدتها. كان فيها مسّ من الأمومة». يضعُ صورة تشاستين جانباً مع مجموعة الصور الأخرى التي كان قد تفحّصها للتوّ. «كانت ستصبحُ أمّاً عظيمة في المستقبل لو كُتبت لها الحياة».

ثم يسحبُ صورةً لطفلته هاربر. «هاربر كانت حالة خاصّة بالنسبة لي. أحياناً لم أكن متأكّداً أنّ فيريتي تفهمُها مثلما كنتُ أفهمُها، فقد كنتُ أحدسُ حاجياتها. كانت تجدُ صعوبةً في التعبير عن عواطفها، لكنني كنتُ أعرفُ ما الذي يجعلها تلفتُ إلى ما حولها، وما الذي يسعدها، وما الذي يحزنُها، حتى عندما لم تكنْ تستطيع الإفصاحَ عن ذلك للعالم من حولها. كانت سعيدة في المجمل. مع ذلك، لم تكن تُظهر اهتماماً مباشراً بشقيقها كرو. إلى أن بلغ الثالثة أو الرابعة من العمر، وبات قادراً على اللّعب معها. قبل ذلك، لم يكن في نظرها سوى قطعة أخرى من الأثاث». يُمسكُ بصورة أخرى لأطفاله الثلاثة. «لم يسبقْ أن سألَ عنهما. ولو لمرّة واحدة. أو ذكَرَ حتى اسميهما».

– «هل هذا يسبّبُ لكَ قلقاً ما؟».

ينظرُ إليّ. «لا أدري إن كان يجب أن أقلقَ أم أشعرَ بالرّاحةِ».

– «ربّما الأمران معاً»، أعترفُ له.

يسحبُ صورةً تظهرُ فيها فيريتي مع ابنها كرو مباشرةً بعد ولادة الطفل. «احتاجَ للعلاج لمدّة أشهر بحالها. خفتُ أن يكون ذلك مجرّد تذكيرٍ أسبوعيٍ

بالمأساة التي حصلتْ لنا، فأوقفتُ علاجه. إذا أظهرَ أعراضاً في كبرِهِ تدلّ على أنّه يحتاج للعلاج سوف أعيده إلى العلاج، كي أطمئنّ أنّه بخير».

– «وأنتَ؟».

ينظرُ إليّ ثانيةً. «وماذا عنّي أنا؟».

– «كيف حالك؟».

لا يزيحُ بصره عنّي. عينُه تغرقُ في عيني. ولا يرمشُ رمشةً واحدةً. «انقلب عالمي رأساً على عقب حين ماتتْ تشاستين. وحين ماتتْ هاربر، انتهى عالمي إلى الأبد». يعودُ وينظرُ إلى صندوقِ الصور من جديد. «حين تلقّيتُ المكالمةَ عن حادث فيريتي... كلّ ما كان قد تبقّى فيّ هو الغضب».

– «تجاه من؟ الله؟».

– «كلّا»، يقولُ جيرمي بنبرةٍ هادئةٍ. «غضبي انصبَّ على فيريتي».

يعودُ وينظرُ إليّ، ولم يكن بحاجةٍ لأن يقول لماذا كان غاضباً منها. **يعتقد أنها تعمّدت أن تصطدمَ بالشّجرة.**

الهدوءُ يخيّمُ على الغرفة... يخيّمُ على المنزل. جيرمي نفسه لم يكن يتنفّس.

يسحبُ كرسيّه إلى الخلف وينهضُ واقفاً. أنهضُ معه لأنّني شعرتُ أنّها كانت المرّة الأولى التي يبوحُ بأمرٍ كهذا إلى أيّ إنسانٍ آخر. ربّما حتّى إلى نفسه. أستطيعُ أن أستنتجَ أنّه لا يريدني أن أعرف ماذا يدور في خلده، لأنه أشاح بوجهه عني، واضعاً كلتا يديه خلف رأسه. أضعُ يدي برفق على كتفه، ثم أنحرفُ قليلاً كي أصبح أمامه تماماً، سواء أراد ذلك أم لم يُرِدْ. أضعُ ذراعيّ حول خصره وأضغطُ بوجهي على صدره، ثم أعانقُهُ. يضعُ يده خلف ظهري، ويطلقُ تنهيدةً عميقةً. يعصرني بشدّة نحوه، وأدركُ أنّه يرغبُ بعناق طويلٍ لطالما راودَ خياله.

ظللنا واقفين على ذاك النحو لمدة أطول بكثير مما يبتغيه العناقُ، حتى باتَ واضحاً لكلينا أنّه لم يعدْ لائقاً الاستمرار في هذا التلاحم مدّة أطول. تتراخى ذراعاه رويداً، رويداً، حول خصري، وبعد لحظات خاطفة وجدنا

أنفسنا خارج دائرة العناق. لكنّنا بقينا نحضنُ بعضنا بعضاً، نقيسُ ثقلَ الزّمن الذي حُرمنا فيه طويلاً من شعورٍ كهذا. الهدوءُ يخيّم على المنزل، ولهذا من السّهل عليّ أن أسمع متى يريدُ أن يكتمَ أنفاسه. أشعرُ بلحظات التردّد التي تنتابه وهو يحرّك يدَه ببطءٍ نحو الأعلى، ويلمسُ رأسي.

عيناي مغمضتان، لكنّني أفتحهما لأنّني أريدُ أن أنظرَ إليه. أشعرُ برجفةٍ تسري في جسدي حين أتركُ رأسي يستسلمُ ليدِه، فيما أرفعُ وجهي عن صدره.

إنه الآن ينظر نحو الأسفل باتجاهي، وليست لديّ أدنى فكرة إن كان يريدُ تقبيلي أم تركي وشأني، ولكن، في كلتا الحالتين، كان الأوانُ قد فات. أشعرُ بكلّ شيءٍ لم يكن يريدُ قوله من الطريقة التي كان يحضنني بها، ومن الطريقة التي توقّفتْ فيها أنفاسه.

أشعرُ به يشدّني أقرب إلى فمه. لكن فجأةً ترتعشُ نظراته، وترتخي يده.

– «أوه، يا صديقتي»، يقولُ جيرمي، ناظراً من فوق كتفي. ثم يأخذُ خطوةً إلى الخلف. يحرّرني من قبضته. أمسكُ بحافة الكرسيّ، خلفي، وأشعرُ أنّ وزني قد تضاعفَ بعد أن أطلق سراحي.

أرمي بنظرةٍ إلى ردهة الباب فأرى كرو واقفاً ينظرُ إلينا. لا تعابير ترتسمُ على وجهه. إنه الآن يشبه شقيقتَه هاربر. عيناه تقعان على صندوق الصور الموضوع على الطاولة فيندفعُ باتجاهه. بل يهرعُ صوبه بكلّ قواه تقريباً.

أتراجعُ إلى الخلف، مندهشةً من اندفاعته تلك. راحَ يجمعُ الصور المبعثرة ويعيدها غاضباً إلى مكانها في الصندوق.

– «كرو»، يقول جيرمي بصوتٍ ناعمٍ لطيفٍ. يحاولُ أن يُمسكَ برسغِه لكنّ كرو ينتفضُ بعيداً عنه. «أنتَ»، يقولُ جيرمي، مائلاً بجذعه نحوه. أكادُ أسمعُ الارتباكَ في صوت جيرمي، وكأنه يكتشفُ هذا الجانب في شخصية كرو للمرّة الأولى، ولم يسبقْ أن عرفه من قبل.

يبدأ كرو بالبكاء فيما كان يُرجع جميعَ الصور إلى داخل الصندوق.

– «كرو»، يقولُ جيرمي، غير قادرٍ هذه المرة على أن يُخفي قلقه. «إننا فقط ننظرُ إلى الصور». يحاولُ أن يحضنَ ابنَه ويقرّبه إلى صدره، لكنّ الصغيرَ ينتفضُ من بين ذارعيه غاضباً. يُمسكُ جيرمي بكرو ثانيةً، ويضمّه إلى صدره.

– «أرجعيها إلى مكانها»، يصرخُ كرو في وجهي. «لا أريدُ أن أرى تلك الصور».

أجمعُ ما تبقّى من الصور وأدسّها في الصندوق. أضعُ الغطاء وأحكِمُ إغلاقه، ثم أمسِكُ به قريباً من صدري فيما كرو كان ما يزال يتلوّى محاولاً الإفلاتَ من قبضة جيرمي. لكنّ جيرمي يحضنُه ويهرعُ به إلى خارج غرفة المطبخ. يصعدان الدرج المؤدّي إلى الطابق العلوي، بينما ظللتُ أنا واقفة في مكاني أرتجفُ خوفاً وقلقاً.

ما الذي حدث بالضبط؟

خيّم الهدوءُ على الطّابق العلوي لبضع دقائق. لا أسمعُ كرو يصرخُ، أو يتحرّكُ محاولاً الإفلات. لعلّ في ذلك إشارة إيجابية. لكنني أشعرُ أنّ ركبتيّ ضعيفتان، ورأسي ثقيلٌ. أحتاجُ أن أتمدّد أو أضطجعَ. ربّما لم يكن صائباً أن أتناول حبّتين اثنتين اللّيلة. زاناكس مخدّرٌ قويّ. وربّما ما كان يجب أن أُخرجَ صندوق الصور، وأفردَ محتوياته أمام أعين عائلةٍ لم تشفَ بعد من مصيبتِها. أو ربّما ما كان يجب أن أوشكَ على تقبيلِ رجلٍ متزوّج. أفركُ جبهتي بيدي، وتنتابني رغبةٌ قويةٌ بالفرار –الهروبِ– وعدم العودة أبداً إلى بيت الحزن هذا.

ماذا أنتظر؟ وما الذي أفعلُه هنا؟



-11-

حتّى في وضحِ الظّهيرة حين تكون الشمسُ في أبهى ضيائها، تحرسُ هذا الجزءَ من العالم، يظلّ هذا البيتُ كئيباً، مكفهرّاً، من الداخل. إنّها السّاعةُ الرّابعةُ بعد الظُّهر. عاد جيرمي للعملِ على رصيف البحيرة، فيما كرو، بجانبه، ينهمكُ باللّعبِ فوق الرّمال.

طاقةٌ غريبةٌ، مقلقةٌ تطنُّ في أجواء هذا البيت. إنها دائماً هناك، ولا أستطيعُ تجاهلها. ويبدو أنها تزدادُ سوءاً مع هبوط الظلام، لتصبحَ ثقيلةً ومركّزةً. أنا متأكّدة أنّها موجودة في رأسي فقط، على الأرجح، لكنّ هذا لا يجعلني أشعرُ بالطمأنينة لأنّ الأشياء المدسوسة، الكامنة في الرأس، لا تقلُّ خطورةً عن الأشياء الحسّية الملموسة.

استيقظتُ اللّيلةَ الفائتةَ وأردتُ استعمالَ المرحاض. ظننتُ أنّني سمعتُ ضجّةً تأتي من الممرّ؛ خطوات أخفّ من خطواتِ جيرمي وأثقل من خطوات كرو. بعدئذٍ، وبعد وقتٍ قصيرٍ، حسبتُ أنني أسمعُ صريرَ دعساتٍ على الدَّرَج، الواحدة تلو الأخرى، كأنَّ أحداً ما يصعدُ خلسةً، على رؤوس أصابعِهِ، بخطوات خفيفة متعمّدة. لم يزرني النومُ في تلك الليلة، بعد ذلك، إلّا في وقتٍ متأخر، لأنّ الضجّةَ حتميةٌ في بيتٍ من هذا الحجم. أضفْ إلى ذلك أنّ خيالي ككاتبة كان يزيدُ الطّين بلّةً، ويصوّرُ كلّ حركةٍ على أنّها تهديدٌ وشيكٌ.

يميلُ رأسي باتجاه بابِ حجرة المكتب. أنا ما زلتُ مذعورةً، حتّى الآن، وكلُّ ما أسمعُه هو الممرضة إبريل تتحدّثُ إلى أحدٍ ما في بهو المطبخ. إنّها تستخدمُ النبرة الخفيضة، المهدّئة، ذاتها التي تستخدمها في أثناء الحديث

إلى فيريتي، وكأنّها تحاولُ استمالتَها للعودة ثانيةً إلى الحياة. لم يسبقْ وأن سمعت جيرمي يتحدّثُ إلى زوجته. لكنّه اعترف أنه غاضبٌ منها. هل ما يزالُ يحبُّها؟ هل يجلسُ في غرفتها ويخبرها عن مدى شوقه لسماعِ صوتِها؟ يبدو أنّه يفعل شيئاً من هذا القبيل. أو قام بفعله مراراً. ولكن الآن؟

إنه يهتمّ بها، ويساعدُ أحياناً في إطعامها، لكنّني لم أره أبداً يتحدّثُ إليها مباشرةً. هذا يجعلني أتساءلُ ما إذا كان ما يزال يعتقدُ أنّها موجودةً أصلاً. وكأنّ المرأة التي يسهرُ على رعايتها لم تعدْ زوجته قطّ.

ربّما هو قادرٌ على تحييد غضبه وخيبة أمله من فيريتي، وفصل مشاعره عن المرأة التي يعتني بها، لأنّه لم يعدْ يشعرُ أنّهما الشّخصَ ذاته.

أذهبُ إلى المطبخ لأنّني جائعة، ولكن أيضاً لأنّ فضولي دفعني لأن أرى كيف تتعاملُ إبريل مع فيريتي وتتواصلُ معها. أريدُ أن أعرف ما إذا كانت فيريتي تُظهرُ أية استجابة جسدية في أثناء هذا التواصل.

تجلسُ إبريل خلف الطاولة وأمامها غداءُ فيريتي. أفتحُ الثلّاجة وأراقبُ كيفُ تُطعمُها. يتحرك فكّا فيريتي إلى الأسفل والأعلى آلياً كأنّها الروبوت بعد أن تضعَ إبريل في فمها ملعقةً بطاطا مهروسة. يجب أن يكون الطعامُ دائماً سهلَ المضغ. بطاطا مهروسة، وعصير تفاح، وخليط من الخضروات. أطعمةُ المشافي تكونُ عادةً ناعمة وسهلة الهضم. أجلبُ فنجان حلوى من حلويات كرو وأجلسُ على الطّاولة بالقرب من إبريل وفيريتي. نظرة عابرة من إبريل كانت كافية كي تولي وجودي اهتماماً، ولكن لا شيءَ آخر.

بعد ملعقة أو اثنتين من الحلوى، أقرّرُ أن أحاولَ التواصل مع هذه المرأة التي ترفضُ التواصل معي.

- «منذ متى وأنتِ تعملين كممرضة؟».

تسحبُ إبريل الملعقة من فمِ فيريتي وتضعُها في صحن البطاطا المهروسة. «بعد سنوات قليلة، تُعدّ على أصابع اليد الواحدة، أُحَالُ إلى التقاعد».

- «جيّد».

- «لكنّكِ مريضتي المفضّلة»، تقولُ إبريل لفيريتي. «أنتِ أفضلهنّ بمسافات ضوئية».

إنّها تتوجّه بإجاباتها إلى فيريتي رغم أنّني أنا من تطرحُ الأسئلة.

– «منذ متى وأنتِ تعتنين بفيريتي؟».

مرّة أخرى، تتوجّهُ إبريل بإجاباتها إلى فيريتي. «كم مضى علينا ونحنُ معاً الآن؟» تسألُ وكأنّ فيريتي ستقومُ بالإجابة عن سؤالها. «أربعة أسابيع؟» وتنظرُ إليّ: «أجل، مضى على تكليفي رسمياً بهذه المهمّة أربعةُ أسابيع».

– «هل كنتِ تعرفين العائلة قبل الحادث الذي وقعَ لفيريتي؟».

– «كلّا»، تمسحُ إبريل فمَ فيريتي، ثم تضعُ صينيةَ الطعام على الطّاولة. «هل يمكنني التحدّث إليكِ قليلاً»، ثم أشارتْ برأسِها إلى ردهةِ الباب.

أفكّرُ للحظة متسائلةً لماذا تريدنا أن نغادرَ المطبخَ من أجل أن تبدأ الحديث معي. مع ذلك، أنهضُ وأتبعُها إلى الخارج. أستندُ إلى الحائط، ثم أضعُ ملعقةً أخرى من الحلوى في فمي، فيما كانت إبريل تحشرُ يديها في جيوب مريولِها الخارجيّ.

– «لا أظنّكِ تعرفين هذا، وبخاصّة أنّك لم تكوني في حضرة أناسٍ آخرين يعانون من حالة فيريتي نفسها. من غيرِ اللّائق أن تناقشي موضوعاً يخصّ أناساً مثل فيريتي وكأنّ هؤلاء غائبين، ليسوا موجودين أمامكِ».

أضغطُ بأصابعي على ملعقتي التي كنتُ على وشكِ سحبها من فمي. أتوقّفُ للحظة، ثم أعيدُ الملعقةَ إلى فنجان الحلوى. «أنا آسفة. لم أكن أدري أنّني أتصرّفُ على نحوٍ غير لائقٍ».

– «من السهل فعل ما تفعلين، وبخاصّةً إذا كنت تعتقدين أنّ الشّخص المعنيَّ لا يمكنه اكتناه وجودكِ. من الواضح أنّ دماغ فيريتي لم يعدْ يستوعبُ الأشياءَ كما كان يفعلُ من قبل، لكننا لا نعلمُ علمَ اليقين ما هي درجة الاستيعاب. فقط انتبهي إلى الكيفية التي تختارين فيها كلماتكِ في حضورها».

أعدّل من وقفتي العفوية، وأشدُّ جذعي مستقيماً، حيث لم أعدْ متكئةً إلى الحائط. لم يخطر ببالي قطّ أنني أسبّبُ إهانةً من أي نوع.

– «بالطّبع»، أقولُ موافقةً.

إبريل تبتسمُ، وابتسامتُها هذه المرّة صادقة بالفعل.

لحسن الحظّ انتهى مشهدُنا المحرجُ بفضل قدوم كرو الذي جاء راكضاً من الباب الخلفي حاملاً شيئاً بين يديه، مارّاً سريعاً بيني وبين إبريل، ومندفعاً باتجاه المطبخ. إبريل تلحقُ به.

– «أمّي»، يقول كرو مبتهجاً، «أمّي، أمّي، لقد عثرتُ على سلحفاة».

يقفُ أمامها، رافعاً السلحفاة إلى الأعلى لكي تراها. يمرّرُ أصابعه فوق قوقعتها الخارجية. «أمّي، انظري إليها». إنه يرفعها أعلى فأعلى الآن، محاولاً أن يجعل فيريتي تُلقي نظرةً إلى السلحفاة. بالطبع، لا تحرّكُ الأمُّ ساكناً. وماذا تراهُ يعرفُ؟ إنّه في الخامسة من عمره فحسب، وبالتالي لا يستطيعُ، على الأرجح، أن يستوعب جميع الأسباب التي تجعلها لا تتكلّمُ معه، أو لا تنظرُ إليه، أو لا تتفاعلُ مع إحساسه بالسعادة. شعرتُ بالأسى تجاهه لأنّه ربّما ما يزال ينتظرُ منها أن تتعافى تماماً.

– «كرو»، أقولُ ثمّ أمشي باتجاهه. «دعني أرَ سلحفاتك».

يستديرُ ويرفعُها أمامي. «هذا النّوع من السلاحف لا يعضّ. بابا يقولُ هذا النّوعُ يحمل علامات خاصّة على عنقه».

– «يا للعجب». أقولُ. «إنّها حقّاً جميلة. دعنا نذهب ونبحثُ لها عن مأوى في الخارج نضعُها فيه».

يقفزُ كرو ابتهاجاً، ثم يخرج مسرعاً أمامي. أتبعه إلى خارج المنزل، وأساعده في البحث في أرجاء المزرعة عن بيت للسلحفاة، إلى أن وجدَ دلواً أحمر عتيقاً. انحنى كرو على العشب، ورفع الدلوَ، ثمّ وضعه في حضنه.

أجلسُ بالقرب منه، لأنّني، أوّلاً، بدأتُ حقّاً أشعرُ بالأسى تجاه هذا الطفل، وثانياً لأنّ موقعنا يطلّ على جيرمي الذي بدا منهمكاً في عمله على رصيف البحيرة.

– «بابا يقولُ إنّه لا يمكنني أن أحتفظَ بسلحفاةٍ أخرى لأنّني قتلتُ الأولى».

أميلُ برأسي باتجاه كرو.

– «قتَلْتها؟ كيف قتلْتها؟»

«أضعتُها في المنزل»، يقولُ. «ماما وجدَتْها تحت الأريكة، وكانت ميتةً».

آه. أوكّي. كان عقلي قد ذهب إلى أبعد من ذلك، وفكّرتُ بما هو أكثر شيطانيةً. للحظةٍ ظننتُ أنّه قام بقتل السلحفاة عن سابق قصدٍ وإصرار.

– «يمكننا أن ندعها تذهبُ فوق العشب هنا»، أقولُ له. «بهذه الطريقة يمكنكَ أن تراقبها وترى في أية جهةٍ سوف تزحفُ وتختفي. من يعلم، ربّما تدلّكَ ذات يومٍ على المكان السرّي لعائلة السلاحف».

– «أحقّاً يمكنُها ذلك!».

– «وقد يكون لها أطفالٌ أيضاً».

– «أطفال؟».

يضع كرو السلحفاة على العشب، لكنّها بدت خائفة، ولم تتحرّكْ، وهذا طبيعيٌّ. ننتظرُ قليلاً كي تطلّ السلحفاةُ برأسِها من خارج قوقعتها. أستطيعُ أن أرى من زاوية عيني جيرمي وهو يقتربُ منّا. حين صار أقرب، أنظرُ نحوه إلى الأعلى مباشرةً وأنا أحمي وجهي من أشعة الشّمس بواسطة يدي.

– «ماذا وجدتما أنتما الاثنان؟».

– «سلحفاة»، يقول كرو. «لا تخفْ. لن أحتفظَ بها».

يرمي جيرمي ابتسامةَ عرفانٍ باتجاهي. ثم يجلسُ على العشبِ بالقرب من كرو. يلتصقُ به الطفلُ أكثر، ولكن حين يمسكُ بساعدِ جيرمي، يسحب كرو يدَه على الفور.

– «هذا منفر. أنتَ متعرّقٌ كثيراً».

جسدُ جيرمي متعرّقٌ بلا شكّ، لكنّه ليس منفّراً.

يغادرُ كرو العشب. «أنا جائع يا بابا. كنتَ وعدتني بالخروج اللّيلة لتناول الطعام. لم نذهبْ إلى مطعم منذ سنوات».

يضحكُ جيرمي. «سنوات؟ لم يمضِ سوى أسبوعٌ واحدٌ منذ أن أخذتكَ إلى ماكدونالدز».

– «نعم، لكنّنا كنّا نخرجُ لتناول الطعام طوال الوقت قبل أن تموتَ أختاي»، يقولُ كرو.

أرى كتفيّ جيرمي مشدودتين لدى سماعه هذا التعليق. لقد سبق وقال

لي بنفسه إنّ كرو لم يذكر شيئاً عن الشقيقتين منذ أن توفيتا، وهذا ما أعطى اللّحظةَ أهميةً خاصّة.

يتنهّد جيرمي عميقاً، مربّتاً بيده على ظهرِ كرو. «معكَ حقّ. قمْ واغسلْ يديك وجهّز نفسك. يجب أن نعود قبل أن تغادرَ الممرَضة إبريل هذا المساء».

يندفعُ كرو باتجاه المنزل، ناسياً كلّ ما له علاقة بالسلحفاة. يراقبُ جيرمي، لبعض الوقت بعينين تفيضان أفكاراً. ثم ما لبث أن نهضَ واقفاً ومدّ يدَه لمساعدتي على الوقوف.

– «هل تودّين المجيءَ معنا؟» يسألُ.

إنه يدعوني إلى عشاءٍ ودّي، بصحبة طفلهِ، لكنّ قلبي الظمآنَ استجابَ كأن الرّجل كان يدعوني إلى موعدٍ غرامي. أبتسمُ وأنا أنفضُ الغبارَ عن بنطلوني الجينز. «يسرّني ذلك».

***

لم يكن لديّ من سبب يدفعني للاعتناء بمظهري الخارجيّ منذ أن وصلتُ إلى منزل جيرمي. لم أقم بجهدٍ خارقٍ للعادة، مع ذلك، قبل أن نغادر، لكن لا بدّ أنّ جيرمي قد لاحظَ كحلَ الرموش، وخطّ أحمر الشفاه، وشعري الذي تركته ينسدلُ للمرّة الأولى. حين وصلنا إلى المطعم، وفتح لي الباب بيده، قال بهدوءٍ شديد، «تبدين حلوةً حقّاً».

ظلّ إطراؤه مستقراً في معدتي، وما زلتُ أشعرُ به، مع أنّنا انتهينا من تناول الطعام. كرو يجلسُ على الطّرف الذي يجلسُ عليه جيرمي. لقد قصّ علينا عدداً من نكاتِهِ الطّريفة قبل أن ينتهي من تناول الفاكهة.

– «لديّ نكتةٌ أخرى»، يقولُ كرو. «لماذا الدمية قصيرة القامة؟».

جيرمي لا يحاولُ الإجابة على طرائف كرو لأنه، وكما يقولُ، سمعها منه أكثر من مليون مرّة. أبتسمُ في وجه كرو وأتظاهرُ أنّني لا أعرفُ الإجابة.

– «لأنّ ساقيها صغيرتان»، يقولُ كرو، وينطرح إلى الخلف مغشيّاً عليه من الضّحك. يجعلني تفاعله مع النكتة أضحكُ، أكثر من ضحكي على النكتةِ نفسها.

وهذه واحدة أخرى. «لماذا لا يلعبون البوكر في الغابة؟».

– «لا أعلمُ، لماذا؟» أقولُ.

– «ثمة الكثير من القرود التي تغشُّ».

لا أعلمُ إن كنتُ قد توقّفتُ ثانيةً عن الضحك منذ أن بدأ كرو يلقي النكتة بعد النكتة.

– «جاء دوركِ»، يقولُ كرو.

– «دوري أنا؟» أسألُ.

– «نعم دوركِ لتقولي لي نكتة».

آهٍ، يا إلهي! أشعرُ أنني تحت الضغطِ من طفلٍ في الخامسة من عمره.

– «حسناً، دعني أفكّر». بعد بضعِ ثوانٍ، أفرقعُ أصابعي. «حسناً. هذه نكتةٌ لك. ما هو الشيء الأخضر الغامض الذي يقتلكَ إذا وقعَ من أعلى الشّجرة؟».

يمدّ كرو جذعه الصغير إلى الأمام واضعاً ذقنه بين يديه. «لا أعرفُ». يقولُ بعد برهةٍ من التردّد.

– «بيانو أخضر غامض».

كرو لا يضحكُ على نكتتي. وكذلك جيرمي.

هذا في الوهلة الأولى.

بعدئذٍ، وبعد بضع ثوانٍ، ينفجرُ جيرمي ضاحكاً بصوتٍ عالٍ، ما جعلني أبتسمُ ضدّ إرادتي.

– «لم افهم النكتةَ»، يقولُ كرو.

ما يزالُ جيرمي يضحكُ، ويهزُّ رأسَه.

ينظرُ كرو إلى جيرمي. «ولكن لماذا هي مضحكة؟».

يضعُ جيرمي ذراعه حول كرو. «لأنّها ليستْ مضحكة»، يقولُ.

– «إنها مضحكة لأنها ليستْ مضحكة».

ينظرُ كرو إليّ. «ما هكذا يجب أن تكونَ النّكات».

– «حسناً، لديّ واحدةٌ أخرى»، أقولُ. «ما هو الشّيء الأحمر الذي لهُ شكل الدلو؟».

يهزّ كرو كتفيه إلى الأعلى.

- «دلوٌ أزرق مدهونٌ بالأحمر».

يضغطُ جيرمي على فكّيه محاولاً كتمَ ضحكتِهِ. كان أجمل شيءٍ حدثَ منذ أن وصلتُ إلى هنا هو أن أراهُ يضحكُ وتنفرجُ أساريره.

يضع كرو إصبعه على أنفه. «لستِ ماهرة في قولِ النكات».

- «صدقني. إنّها مضحكة».

يهزّ كرو رأسه معبّراً عن خيبة أمله. «آملُ بأن لا تروي النكات في الكتبِ التي تكتبينها».

يسندُ جيرمي ظهره إلى الخلف ماسكاً خاصرتَه، ومحاولاً زجرَ رغبته بالضّحك، حين اقتربتِ النادلة تحملُ فاتورةَ الحساب. يأخذُ جيرمي الورقةَ من يدها. «أنا صاحبُ الدّعوة»، يتمتمُ قائلاً.

حين عدنا إلى المنزل، يسبقنا كرو إلى الدّاخل. «اصعدْ إلى الطابق العلوي وأخبرْ إبريل أنّنا عدنا»، ينادي جيرمي من خلفه.

يغلقُ جيرمي الباب المؤدّي إلى المرآب، ونتسمّرُ كلانا للحظة في مكاننا قبل أن نهمّ بالدخول إلى البيت. إننا نقف في ركنٍ بلا إنارة قرب الدَّرج، لكنّ خيوطاً من الضّوء المتسلّلة من نافذة المطبخ تضيءُ وجهَ جيرمي.

- «شكراً لك على دعوتي للعشاء. أمضيتُ وقتاً ممتعاً حقّاً».

يخلع جيرمي سترتَه الخارجة. «إنها ممتعة بالفعل». ثمّ يرسمُ ابتسامةً على فمه فيما يعلّقُ السترة فوق مشجب المعاطفِ خلف الباب. إنه يبدو مختلفاً اللّيلة، وكأنه لا يحملُ على كتفيه ثقلَ الأحداث التي عصفت بحياته. «ينبغي أن أمنح كرو فرصةً أكبر للخروج مما أفعلُه عادةً».

أشيرُ برأسي موافقةً وأنا أضعُ يدي في جيب بنطلوني الخلفي. الثواني التي تبعتْ ذلك بدتْ مملوءةً بصمتٍ ثقيلٍ. إنها تقريباً تشبه اللّحظةَ بعد نهايةِ كلّ موعدٍ غرامي، حين يحارُ المرءُ بين القبلةِ وبين العناق العادي.

بالطبع كلاهما غير واردين الآن في هذه الحالة لأنّ الدعوةَ لم تكن غراميةً.

ولكن لماذا لها وقعُ الموعد الغرامي؟

نظراتُنا المتبادلة تتوقّفُ حين سمعنا كرو ينزلُ الدَّرَج. للحظة تنحرفُ

نظرةُ جيرمي إلى قدميه، ولكن، وقبل أن يغادر، يتنهّدُ عميقاً، كأنّ مجيء كرو أنقذه من شيءٍ كان يمكن أن يُشعرَه بالنّدم.

أتنهّدُ عميقاً، وأتوجّه إلى مكتب فيريتي، وأوصدُ الباب خلفي. ينبغي أن أجدَ ما يلهيني عمّا أنا فيه. أشعرُ بخواءٍ ما؛ بألمٍ في معدتي لا أظنّه سيختفي قريباً. كأنّني أحتاجُ للمزيد من اللّحظات مع جيرمي. لحظات لا أستطيعُ الحصولَ عليها. لحظات لا ينبغي أن أفوز بها.

أقلّبُ الصفحات في مخطوطة فيريتي على أملٍ أن أجدَ مشهداً غرامياً ساخناً يجمعُها مع جيرمي.

لا أعلمُ أيّ نوعٍ من الأشخاص يحوّلني هذا الفعلُ في هذه اللحظة لأنّ قراءة مشهدٍ من هذا النوع هي فعلٌ خاطئٌ، على مستوياتٍ عدّة، لكن ليس بالقدر نفسه من الخطأ حين أتجاوزُ جسدياً معه كلّ الخطوطِ الحمرِ.

لا يمكنني الفوز به في الحياة الحقيقية، لكنني قد أعرفُ شيئاً ما عن مواهبِهِ في الفِراش، تساعدني في إذكاء كلّ تلك التخيّلات عنه، والتي يبدو أنّها لن تفارقني لوقتٍ طويلٍ.

الفصل الخامس

كنتُ على وشكِ الانهيار نفسياً، وكنتُ أشعرُ بهذا. أو على الأقلّ كنتُ أشعرُ أنّ التدهور قادمٌ لا محالة. مزاجي عكرٌ متقلّبٌ، وثمة نوبةُ ذعرٍ صامتة لا تفارقني. جميعها أعراض لم تكنْ ملائمة في تلك اللّحظات.

لم أعدْ قادرة على التحمّل أكثر. إذا توقّفتْ إحدى الطفلتين عن البكاء، تستأنف الأخرى بكاءَها بالنيابة عنها. إذا لم تكن إحداهنّ جائعة، تجدُ الأخرى نفسها جائعةً. كان من النّادر أن تناما في وقتٍ واحدٍ. أبدى جيرمي تعاوناً كبيراً معي، وتحمّلَ نصفَ أعباء المهامّ، ولو كان لدينا طفل واحد فقط، لكنتُ على الأقلّ سوف آخذُ استراحةً بين الحين والآخر. لكنْ ثمة طفلتان اثنتان، وبدا الأمر أنّ كلّاً منّا، أنا وهو، كان يعتني بمفرده بطفلةٍ واحدة طوال الوقت، كما يفعلُ المطلّقون.

كان جيرمي ما يزال يعملُ في بيع العقارات حين وُلدت الطفلتان. حصل على إجازة لمدّة أسبوعين لكي يكون إلى جانبي، ويساعدني في تربية البنتين، لكنّ إجازة الأسبوعين سرعان ما انتهت، وكان عليه العودة إلى عمله. لم يكن بمقدورنا الحصول على خدمات مربّية للأطفال لأنّ السلفة المالية التي استلمتُها مقابل بيع مخطوطتي الأولى كانت صغيرة جدّاً. كنتُ في أشدّ حالات القلق خشية أن أُترَك وحيدةً مع الطفلتين، ولمدّة تسع ساعات يومياً، حين يكون جيرمي غائباً بسبب عمله.

لكن الأقدار شاءت أن تكون عودةُ جيرمي إلى العمل نعمةً وليسَتْ نقمةً، بل هي من أفضل الأشياء التي حدَثَتْ لي في حياتي.

كان يغادر في السابعة صباحاً، وكنتُ أستيقظ معه لكي يعرف أنني أعتني

بالبنتين. ما إن يغادر، كنتُ أعيدهما إلى سريرهما، وأعطّل جهاز المراقبة، وأعودُ إلى سريري. من اليوم الأول الذي عاد فيه إلى العمل، بدأتُ آخذُ قسطاً أكبر من النوم لساعات أطول مما كنتُ أتوقّع. غرفة النوم تقع في ركنٍ قصيّ من المنزل، وغرفتهما لا تجاورُ أية غرفة أخرى في البناء، وبالتالي لم يكن بمقدور أحدٍ سماع بكائهما.

لم أكن أسمعهما أنا أيضاً، حتى عندما أضعُ سماعات الإصغاء.

بعد مضي ثلاثة أيام على عودة جيرمي إلى العمل، بدأتُ أشعرُ أنّ حياتي تعودُ إلى وضعها الطبيعي بالتّدريج. كنتُ أنام كثيراً، خلال النهار، وقبل أن يعود جيرمي إلى المنزل، كنتُ أطعمُهما، وآخذهما للاستحمام، ثمّ أبدأ بتحضير العشاء. في كلّ ليلة، ومع عودة جيرمي، كان السكونُ يخيم على الطفلتين بعد انتهاء تلك الطقوس، ورائحة العشاء تأتي من المطبخ، حتى إنه انبهرَ من قدرتي على التعامل مع الحياة الجديدة.

لم يكن إطعامُهما في أثناء وجبة العشاء بالأمر المزعج أبداً بالنسبة لي، وذلك بعد التبدّل الذي طرأ على مواعيد نومي. معظم ساعات نومي كنتُ أستهلكها في أثناء غياب جيرمي عن المنزل. أما البنتان فكانتا تنامان ليلاً بشكلٍ جيّد بعد الإجهاد الكبير في أثناء النهار وهما تبكيان. من يدري قد يكون البكاء مفيداً بالنسبة لهما. كنتُ قادرة على الاستمرار في الكتابة، ليلاً، بينما يكون الجميع يغطّون في نومٍ عميق. من هذه الزّاوية، شهدتْ حياتي المهنية تقدّماً ملحوظاً.

المكانُ الوحيدُ الذي كنتُ أفتقده هو غرفة النوم. لم يكن طبيبي الخاصّ قد أعطاني إذناً بممارسة أيّ نشاطٍ جنسي بعد، فلم يكن قد مضى على ولادتهما أكثر من أربعة أسابيع. لكنني كنتُ أعلمُ أنني إذا لم أُبقي على هذا الجانب حيّاً في الزواج، سوف تنتقل العدوى إلى جوانب أخرى من زواجنا. إنّ الحياة الجنسية الرديئة تشبه الفيروس تماماً. قد يكون زواجك ناجحاً من كلّ النواحي، ولكن ما إن يبدأ الجنسُ بالذبول، تتأثر مباشرةً الأجزاءُ الأخرى من العلاقة.

كنتُ مصمّمة بأن لا أدعَ هذا يحدثُ لنا.

حاولتُ اللّيلةَ الفائتةَ أن أمارس معه الجنس، لكنّ جيرمي عبّر عن خشيته بأن يسبّب لي بعض الأذى. ورغم أنني أجريتُ عملية قيصرية، لكنّه ظلّ متوجّساً من كلّ ضغط. كان قد قرأ على الشبكة العنكبوتية، في مكان ما، أنه لا يستطيعُ حتّى أن يستخدم أصابعه لملامسة أجزائي الحسّاسة إلّا إذا حصل على إذنٍ من الطبيب. وهذا لن يتمّ إلّا بعد أسبوعين من الآن. لقد رفض ممارسة الجنس معي إلّا بموافقة طبّية من طبيبٍ مختصّ.

مع ذلك، لم أكنْ أريدُ الانتظارَ كلَّ تلك المدّة. لم أستطعْ أصلاً. كنتُ قد اشتقتُ إليه. اشتقتُ إلى تلك الطريقةِ في التواصل معه.

استيقظَ جيرمي في تلك اللّيلة في الثانية صباحاً، ووجدَ لساني يلحسُ قضيبَه. أنا متأكّدة أنّ قضيبه كان منتصباً، وصلباً كحجر، حتى قبل أن يستيقظ تماماً.

السّببُ الوحيدُ الذي جعلني أعرفُ أنّه قد استيقظَ هو يده التي وضعها فوق رأسي، وأصابعه التي تغلغلتْ في شعري. كانت تلك هي الحركة الوحيدة التي قام بها. لم يرفعْ رأسه عن الوسادة حتى للنظر إليّ. وقد أحببتُ ذلك، لسببٍ ما. لم أكن متأكّدةً أنّه فتح عينيه. ظلّ ساكناً وصامتاً فيما كان لساني يُشعل نيرانَ شهوتِه.

لحستُ قضيبَه، ودلّلتُه، ولمسْتهُ مراراً وتكراراً لأكثر من خمس عشرة دقيقة، من دون أن أضعه داخل فمي. كنتُ أعلمُ كم كان يتوقُ لأن أُدخلَه في فمي، لأنه بدأ يتململُ، ويريدُ أن يرتاحَ. لكنني لم أكنْ أريدُ أن أمنحَه تلك الرّاحة في فمي. كنتُ أريدهُ أن يحصلَ عليها من مضاجعتي لأوّلِ مرّة منذ أسابيع.

يدهُ بدأت تفقدُ الصبرَ وتعصرُ رقبتي، وتضغطُ رأسي على قضيبِهِ، فيما كان يتوسّلُ أن أضعَه في فمي. رفضتُ وظللتُ أقاومُ ضغطَ يده على رأسي، وأزدادُ تقبيلاً ولحساً له. كلّ ما كان يتمنّاهُ هو أن أضعَ ذاك الوتدَ المشدودَ في فمي.

حين تأكّدتُ أنّني أوصلتُه إلى حافّة الجنون، وأنّ رغبتَه المستعرةَ تتجاوزُ خشيتَه عليّ، تركتهُ وشأنه. لكنّه لحقَ بي. استلقيتُ على ظهري، وفتحتُ

ساقيَّ، وما هي سوى ثوانٍ معدودة حتى كان قضيبه يلجُ بي عميقاً من دون لحظةِ تردّدٍ أو خشيةٍ من شيء. لم يكن حتّى حنوناً أو رقيقاً. شعرتُ أنّ لساني أفقده صوابه لأنّه كان ينهالُ عليّ ولوجاً، لدرجة أنّه أوجعني حقّاً.

استغرقَ الأمرُ قرابةَ السّاعة والنصف، ولكن ما إن انتهى حتى بدأتُ ألعقُ قضيبَه من جديد، وأدفعه دفعاً إلى انتصابٍ آخر. ضاجعني للمرّة الثانية، وفي كلتا الحالتين لم ننبسْ ببنت شفة. وحتّى عندما انتهى كلّ شيء، وظللتُ ممدّدةً تحت ثقل جسده المنهك، لم ننطق بحرفٍ واحدٍ. أزاحَ جسده عن جسدي، وتكوّر خلفي، ولفّني بذراعيه. كانت أغطية السرير قد تبلّلتْ بالعرق والمني، لكننا لم نأبه لذلك، وخلدنا إلى نومٍ عميقٍ.

أدركتُ عندئذٍ أنّ ما حدث لم يكن مجانباً للصواب، وأننا سنكون على ما يُرام. مازال جيرمي يعبدُ جسدي كعهدي به من قبل.

ربما أخذت الطفلتان منّا الشّيء الكثير، لكنني عرفتُ أنّ رغبته تلك ستكون لي وحدي دائماً.

-12-

هذا الفصل من المذكّرات كان الأصعب على القراءة بالنسبة لي حتّى الآن. حيّرني كيف يمكن لأمّ أن تنامَ قريرةَ العين وتتركَ أطفالها على مقربةٍ منها يجهشون بالبكاء. يا لها من امرأةٍ متحجّرة القلب.

خطر لي في البداية أن تكون فيريتي مصابة بعُصاب اجتماعي، لكنّني أدركتُ الآن أنها مصابة بعصاب نفسي.

أضعُ المخطوطةَ جانباً، وأستخدمُ حاسوب فيريتي للبحث عن دلالات العُصاب النفسي. أتتبعُ كلّ خاصّية مرتبطة بتلك الشّخصية: **مدمنةٌ على الكذب. ذكّيةٌ وتستغلّ الآخرين. تفتقرُ للشعور بالذّنب أو النّدم. فظّة وقليلة العطف.** ردودُ **فعلها عاطفية ضحلة.**

كلّ هذه الخصائص تنطبقُ عليها تماماً. الشيءُ الوحيدُ الذي يجعلني أشكُّ بأنّها قد لا تكون شخصية عُصابية هو هوسها بجيرمي. فالعصابيون يجدون صعوبةً في الوقوع في حبّ شخصٍ آخر، وإذا حدث ووقعوا في الحبّ فلن يكون من السّهل عليهم الاستمرار به. إذ تجدهم يتنقّلون سريعاً من شخصٍ إلى آخر. لكنّ فيريتي لم تكن تريدُ أن تبدّلَ جيرمي. لقد شكّل الرجلُ مدارَ تفكيرها برمّته.

جيرمي متزوجٌ من امرأة عُصابية، ولا يملك أدنى فكرة عن ذلك، فقد فعلت ما بوسعها لكي تُخفي مرضَها عنه.

أسمعُ طرْقاً ناعماً على باب المكتب، فأقوم بتصغير الشّاشة على الحاسوب. حين أفتحُ البابَ أجدُ جيرمي يقف في الرّدهة. شعره مبلولٌ. يرتدي قميصاً داخلياً ناصعَ البياض، وبنطلونَ بيجاما فاحمة اللون.

إنه يبدو في الهيئة المفضّلة بالنسبة لي. إنّه جذّابٌ على نحوٍ منقطع النظير، حتى إنّي كرهتُ نفسي لشدّة انجذابي إليه. هل يعودُ السببُ إلى قراءتي الكثير من التفاصيل الحميمة عنه في المخطوطة؟

– «آسف على إزعاجكِ. ولكن هل لي أن أطلبَ منكِ بأن تُسدي لي معروفاً؟».

– «ما الأمر؟».

يشيرُ إليّ بيده طالباً منّي بأن أتبعَه. «يوجدُ حوضٌ زجاجي قديمٌ في مكانٍ أسفل القبو. أريدكِ أن تسندي لي الباب من أجلِ أن أنقلَه إلى الأعلى وأنظّفهُ من أجل كرو».

أرسمُ ابتسامةً على وجهي. «هل تريدهُ أن يحتفظَ بالسلحفاة؟».

– «أجل. لقد بدا سعيداً اليوم. إنه كَبُرَ قليلاً، وآملُ أن يتذكّرَ إطعامَ السلحفاة في هذه المرّة». يمدّ جيرمي يدَه ويفتحُ باب القبو. «البابُ رُكّب عكسياً، ويفتحُ باتجاه الدّاخل فقط، وبالتالي يستحيل فتحَه إذا كانت يدا الشخص ممتلئتين، أو كان يريدُ المرور إلى الخارج».يضغطُ جيرمي على زرّ الإنارة وينزلُ دَرَجاً معدنياً يقودُ إلى الأسفل. لا يبدو القبو امتداداً لمساحة المنزل. إنه مهجورٌ ومهملٌ كمثل طفلٍ لقيط. ثمة درجات صدئة يعلوها الغبار، موصولة بالدرابزين المعدني المثبّت إلى الحائط. في الحالات العادية تكون الرغبة لديّ معدومةً للدخول إلى قبوٍ موحشٍ كهذا، وبخاصة في منزلٍ يُدخلُ الرّعبَ في قلبي توّاً. غير أنّ القبو كان هو المكان الوحيد الذي لم أره بعدُ في هذا المنزل، وشعرتُ بالفضول لمعرفة محتوياته، أو ما يمكن أن يوجد هناك. أقصدُ ما الأشياء التي يمكن أن تكون فيريتي قد قرّرتْ رميها، والتخلّص منها هناك؟

الدَّرجُ الحلزوني المؤدّي إلى القبو يغرقُ في العتمة لأنّ اللمبة الموجودة أعلى السلّم لا تُنيرُ سوى أرضية القبو من الدّاخل. حين وصلتُ إلى الدرَجة السفلى شعرتُ ببعض الاطمئنان لأنّ الحجرةَ لم تكن موحشة كثيراً مثلما توقّعتُ. على اليسار توجدُ طاولةُ مكتبٍ لا يبدو أنّها قيدَ الاستخدام منذ وقتٍ طويلٍ. كما توجدُ أكداسٌ من المصنّفات والأوراق المبعثرة على

الطّاولة. مع ذلك بدا هذا الجناحُ ركناً لتخزين الموادّ والأثاث، وليس مكاناً يمكن أن يجلس فيه المرءُ لإنجازِ عملٍ ما.

على الجهة اليُمنى توجد صناديق تحوي أشياء كثيرة تجمّعتْ عبر السنين التي أمضياها معاً. بعضها محكم الإغلاق، وبعضُها تُرِكَ بلا غطاء. من إحدى تلك الصناديق يظهرُ طرفُ جهاز تحكّم فيديو خاص بمراقبة الأطفال، فأشعرُ برجفةٍ تسري في عروقي بعد أن تذكّرتُ الفصلَ الذي قرأته للتوّ، وكيف أنّ فيريتي اعترفت بأنّها كانتْ تقومُ بفصلِهِ في أثناء النّهار كي لا تسمعَ بكاءَ الأطفال.

جيرمي يبحثُ بين كومةٍ من الأشياء في الخلف، ويتحرّى بين الصناديق.

- «هل سبقَ واستخدمْتَ هذا المكان للعمل؟» أسألُه.

- «أجل. كنتُ أملكُ شركة عقارات صغيرة، وكنتُ أجلبُ معي الكثير من المصنفات يومياً إلى المنزل، وهكذا استخدمتُ هذا المكان كمكتبٍ لي». يرفعُ غطاءً قماشياً إلى الأعلى، ثم يزيحه جانباً، فيظهرُ حوضٌ زجاجي مغطّى بالغبار. «ها قد وجدْتُه». ثم يبدأُ بإخراج محتويات الحوض كي يتأكّد أنّ جميع أجزائه مكتملة.

ما زلتُ أفكّر بالمهنة التي قال عَرَضياً إنّه هجرَها. «كنتَ تملكُ شركةً خاصّةً بك؟»

يرفعُ الصندوق ويمشي به باتجاه طاولة المكتب في الجهة الأخرى. أزيحُ بعض الأوراق والأشياء عن الطّاولة كي أوسّعَ له مكاناً يضعُ فيه الحوض.

- «نعم. أنشأتُها في أوّل سنةٍ بدأتْ فيه فيريتي تكتبُ رواياتها».

- «هل كنتَ تحبُّ عملكَ؟».

يومئ برأسه. «نعم. ثمة الكثير من العمل، لكنّني كنتُ ماهراً في إدارته».

نزعَ غطاء الحوض الزّجاجي، وبحث عن مخرج الإضاءة، ليتأكّد إن كانت اللمبة الداخلية ما تزالُ تعملُ. «حين ظهر كتاب فيريتي الأول ظننّا أنّ الكتابةَ لن تكون سوى هواية وليس مهنة حقيقية. حين باعتِ الكتابَ، لم نأخذ الأمرَ على محمل الجدّ. ولكن، ذاع صيتها، وبدأتْ شهرتها تنتشر،

وتزدادُ مبيعات كتبها. بعد مضي سنوات قليلة صار دخلُها يتجاوزُ دخلي». يضحكُ، كأن هذه مجرّد ذكرى عزيزة يرويها لي، وليست شيئاً يسبّبُ إزعاجاً كبيراً له. «حين جاء الوقتُ وأصبحت حاملاً بكرو، أدرك كلانا أنني كنتُ أعملُ لمجرّد أنّني أعملُ. ولم يكن لدخلي أيّ تأثيرٍ على أسلوب حياتنا. لم يكن أمامي خيار آخر سوى أن أترك العمل إذ كان يستنفد الكثير من وقتي».
حين قام بوصل شريط الإضاءة إلى الحوض، سمعنا صوتَ حشرجة خلفنا، تبعه انطفاءُ الضّوء الوحيد الذي كان ينيرُ القبو.

إنّنا نغرقُ في ظلامٍ دامسٍ الآن. أعرفُ أنه يقف قبالتي، لكنني لم أعدْ قادرة على رؤيته. نبضي بدأ يتسارعُ، ثم فجأةً أشعرُ بيده تلمسُ ذراعي. «هنا»، يقولُ، واضعاً يدي على كتفه. «قد أكون تسبّبتُ بحرق الفاصل. امشي خلفي، وحين نصل إلى أعلى الدرج، دوري دورةً واحدةً حولي، وافتحي لي الباب».

أشعرُ بعضلات كتفه تتقلّصُ وهو يهمّ برفعِ الحوض. لم أتركْ يدي تغادرُ كتفَه بل ظللتُ على مسافةٍ قريبةٍ منه، أتبعُ خطواته وهو يتوجّه إلى الدَّرَج. ثم بدأ يصعدُ درجةً درجةً ببطءٍ شديد، ربّما بدافعِ الحرص عليّ. يتوقّف، ويديرُ ظهره إلى الحائط. أدورُ حوله، وأبدأ البحثَ عن قبضةِ الباب. حين أفتحه، أرى فيضاناً من الضّوء ينسكبُ نحو الداخل.

يخرجُ جيرمي أولاً، وما إن يبتعدُ قليلاً عنّي، أوصدُ البابَ خلفي بسرعة، الشيء الذي يتسبّبُ بصوتٍ قويّ. يضحكُ جيرمي حين يراني أتنهّدُ بعمقٍ شديد كمن يخرُج من ورطةٍ ثقيلة.

- « لا تحبّذين عوالم الأقبية، أليس كذلك؟».

أهزُّ رأسي. «لا أحبُّ الأقبيةَ **المظلمة**».

يحمل جيرمي الحوض إلى طاولة المطبخ، ثم يضعه هناك، وينظرُ إليه. «ثمة الكثير من الغبار». يرفعه ثانيةً بيديه. هل تمانعين إذا قمتُ بتنظيفه في غرفة الحمّام الرئيسية. سيكونُ هذا أسهل بكثير من غسله فوق المغسلة».

أهزّ رأسي. «كلّا على الإطلاق».

يحملُ جيرمي الحوضَ وينقلُه إلى غرفة الحمّام. جزءٌ منّي يريدُ أن

يتبَعه، ويقدّمُ يدَ المساعدة، لكنّني لا أفعلُ. أعودُ أدراجي إلى غرفة المكتب، وأحاولُ أن أركّز قدر المستطاع على السلسلة التي من المفترض أن تكونَ شغلي الشّاغل. أفكارٌ شتّى حول فيريتي تستمرُّ بملاحقتي في كلّ مرّة أُنهي فيها فصلاً من فصولِ سيرتِها الذّاتية. مع ذلك، لا أستطيعُ الإحجام عن قراءتها. يبدو الوضعُ كمثل حطامِ قطار، وجيرمي عالقٌ بين الأنقاض، لكنّه لا يعي ذلك.

أختارُ العملَ على السلسلة، وأؤجّل قراءةَ المخطوطة، لكنّني لم أنجز الكثير منذ أن دخل جيرمي غرفة الحمّام الرئيسية.

أقرّرُ أن أضعَ حدّاً لليلتي، وأعودُ إلى غرفة النوم.

بعد أن أغسلَ وجهي، وأنظّفَ أسناني، أحملقُ بالقمصان التي أحضرتهُا معي، وعلّقتها في الخزانة الصغيرة. ليست لديّ رغبة بارتداء أيّ منها، ورحتُ أبحثُ بين قمصان جيرمي عن شيءٍ أرتديه. القميصُ الذي أعارني إياه ظلّ يفوحُ برائحتهِ طوال ذاك النّهار. أتلمّسُ القمصان واحداً واحداً، وأعثرُ على تي شيرت قطني يصلحُ للنوم. ثمة طباعة صغيرة في أعلى الصّدر تقولُ «شركة كروفورد للعقارات».

أحني رأسي، وأرتدي القميص، ثم أتوجّه إلى فراشي. قبل الصعودِ إلى السّرير، تلفتُ نظري علامات كزٍّ بالأسنان على اللّوح الخشبي، خلف وسادة الرأس. أقتربُ منها أكثر فأكثر، وأمرّرُ إبهامي فوقها.

أتفحّصُ لوحَ السّرير طولاً وعرضاً، وأرى أكثر من علامةٍ تدلُّ على عضٍ عميقٍ بالأسنان. ثمة خمس أو ستّ مناطق تحملُ عضّات فيريتي على اللّوح الخلفي خلف وسادة الرأس، بعضُها ظاهرٌ للعيان وبعضُها الآخر لا يُرى إلّا إذا اقتربْتَ منه كثيراً.

أزحفُ فوق السّرير، وأقرفصُ على ركبتيّ، حتى أصيرَ وجهاً لوجه مع اللّوحِ الخلفيّ. أمتطي الوسادةَ وأتخيلُ نفسي في تلك الوضعية؛ أكبو فوق وجهِ جيرمي وأمسكُ بلوحِ السّرير من الأعلى. أُغمض عينيّ وأحشرُ يداً داخل قميص جيرمي، متخيلةً أنّ تلك اليد هي يده التي تتلمّسُ معدتي في طريقِها إلى نهديّ.

شفتاي تفترقان، وتلعقان الهواء، لكنّ جلبةً ما فوق رأسي تقطعُ عليّ استرسالَ تلك اللّحظة. أنظرُ صوب السقف، وأسمعُ سرير فيريتي الطبّي يهتزّ يمنةً ويسرةً، محدثاً صريراً مسموعاً.

أسحبُ الوسادةَ من تحتي وأستلقي على ظهري وأحملقُ بالسّقف، متسائلةً ما الذي يدورُ في خَلد فيريتي، إن كان ثمة من شيءٍ يدورُ أصلاً هناك. هل يطبقُ الظلامُ على عقلها، ولا شيء سوى الظلام؟ هل تسمعُ ما يقوله الناسُ لها؟ هل تشعرُ بأشعةِ الشّمس حين تلسعُ بشرتَها؟ هل تميّزُ بين لمسةٍ وأخرى؟

أسبلُ ذراعيّ على جانبيّ وأرقدُ ساكنةً، متخيّلةً كيف يمكنُ أن يكونَ عليه حالي لو أنّني لا أستطيعُ التحكّم بحركاتي. أبقى في الوضعية ذاتها، فوق السرير، مع أنّ قلقي بدأ يزدادُ شيئاً فشيئاً مع مرور الدقائق. أحتاجُ لأن أحكّ أنفي، وأتساءلُ هل يمكن أن يزعج ذلك فيريتي، كونها غير قادرة على رفع إصبعٍ واحدة لحكّ جسدها؟ بل قلْ هل تسمحُ حالتُها أصلاً بأن تشعرَ بأيّ حكّةٍ أو دغدغة؟

أُغمضُ عينيّ وأقولُ في نفسي ربّما كانت فيريتي تستحقّ الظلامَ والسكينةَ والهدوءَ. وبوصفها مريضة بالعصاب النفسي، فإنّ ثمة الكثير مما زالت تُخفيه تحت أظافرها.

-13-

الرائحةُ مختلفةٌ حين أفتحُ عينيّ. وكذلك أصواتُ الضّجيج القادمة من بعيد.

لستُ ضائعةَ الذّهن، وأعرفُ أين أنا. أنا في منزل جيرمي. لكنّني.... لستُ في غرفتي تماماً.

إنّي أحدّقُ بالحائط. الحائطُ في غرفة النّوم الرئيسية رماديٌّ فاتحٌ. هذا الحائطُ أصفر اللّون. أصفر كمثل الجدران في الغرفِ أعلى الدَّرَج.

السريرُ تحتي يبدأ يتحرّكُ، ليس لأنّ ثمة شخصاً آخر في السّرير يتحرّكُ. الأمرُ مختلفٌ، كأنّ هذا السّرير.... آليّ الحركة.

أطبقُ جفنيّ بإحكام. من فضلكَ، يا ربّ. **لا، لا، لا، لا تقلْ لي إنّي في غرفة فيريتي.**

رعشةٌ تسري في أنحاء جسدي الآن.

أفتحُ عينيّ ببطءٍ، وأفتلُ رأسي بحذرٍ شديدٍ. حين أرى الباب، ومشجبَ الملابس، ومن ثمّ جهاز التلفاز المركون أعلى الحائط، أتدحرجُ تلقائياً من السّرير، وأقعُ على أرض الحجرة. أنهضُ رويداً، رويداً، مستندةً إلى يدي، فيما ظهري يتّجه إلى الحائط. أطبقُ عينيّ بإحكام. بالكاد أستطيعُ أن أتوازنَ، فأنا في حالةٍ هستيرية.

جسدي يرتجفُ بعنفٍ، حتى إنّني أسمعُ الارتجافَ حين أتنفّسُ. نوبات قشعريرة أوّلاً، وحين أفتحُ عينيّ وأرى فيريتي في سريرها أصرخُ.

لكنني سرعان ما أضعُ يدي على فمي.

العتمةُ تُطبق في الخارج. الجميع نائمون. ينبغي أن أحافظَ على هدوئي.

مضى وقتٌ طويلٌ منذ أن حدثَ هذا معي آخرَ مرّةٍ. مرّتْ سنواتٌ، على الأرجح. لكنه يحدثُ الآن، وأنا مرعوبةٌ، وليست لديّ أدنى فكرة كيف وصلتُ إلى هنا. هل لأنّني كنتُ أفكّرُ بها؟

– «**المشي أثناء النوم يحدثُ بلا انتظام، يا لوين. وليس له معنًى. وهو غير مرتبط بغاية معيّنة**».

أسمعُ كلماتِ الطبيب المعالج ترنّ في أذني، لكنني أرفضُ أن أصدّقها.

ينبغي أن أخرج من هنا. هيا، تحرّكي، يا لوين.

أمشي على رؤوس أصابعي بمحاذاة الحائط، تاركةً مسافةً بيني وبين ذاك السرير، في طريقي إلى باب غرفة فيريتي. أصلُ تماماً إلى عتبة الباب، والدموع تنهمرُ على وجنتيّ، ثم أديرُ قبضةَ الباب، وأخرجُ على جناح السرعة.

يفتحُ جيرمي ذراعيه حولي، ويشدّني كي أتوقّف.

– «أنتِ، هناك»، يقولُ، ويفتلُ جسدي باتجاهه. يرى الدموعَ تكرجُ على خدّي، والرّعبَ في عينيّ. يُرخي قبضتَه قليلاً، وحالما يفعلُ ذلك، أركضُ بأقصى بسرعة. أركضُ عبر الرّدهة، فوق الدرج النازل، ولا أتوقّفُ حتى أوصدَ باب الحجرة خلفي، وأعودَ أدراجي إلى سريري.

اللعنة ماذا حدث؟ اللّعنة ماذا حدث؟

أتكوّرُ فوق أغطية السرير، ورأسي باتجاه الباب. يبدأ معصمي بالخفقان، فأُمسكُ به بيدي الأخرى، وأضعُه على صدري.

بابُ غرفةِ النومُ يُفتحُ، ثم يوصدُ خلف جيرمي. الرّجلُ بلا قميص، ويرتدي فقط بنطلون بيجاما قطنية حمراء اللون. وهذا كلّ ما أراهُ. غبشٌ أحمرُ يطغى حين يندفعُ باتجاهي، ويركعُ على ركبتيه واضعاً يدَه على ذراعي، محدّقاً عميقاً في عينيّ.

– «لوين، ما الذي حدث؟».

– «أنا آسفة»، أهمسُ، وأمسحُ عينيّ من الدموع. «أنا آسفة».

– «آسفة على ماذا؟».

أهزّ رأسي ثم أجلسُ مستقيمةً على السّرير. يجب أن أشرح له كلّ شيء.

لقد وجدني متلبّسةً، داخل غرفة نوم زوجته، بعد منتصف اللّيل، وربّما يفيضُ رأسه بالأسئلة الآن. أسئلة لا أملكُ أجوبةً عليها في حقيقة الأمر.

يجلسُ جيرمي بالقرب منّي، على السرير، رافعاً ساقه كي يتسنّى له الاستدارة ومقابلتي وجهاً لوجه. يضعُ كلتا يديه على كتفي، ويُخفِضُ رأسَه، ناظراً إليّ بجدّية بالغة.

– «ما الذي حدث، يا لوين؟».

– «لا أعرف»، قلتُ وأنا أهتزُّ متأرجحةً إلى الأمام والخلف. «أحياناً أمشي في نومي. لكن الحالة لم تأتني منذ وقت طويل. أخذتُ حبّتي زاناكس مساء اليوم، وأعتقد ربّما... لا أعرف». صوتي يرتعشُ عاكساً حالة الهستيريا التي تنتابني. يشعرُ جيرمي بهذا، فيشدّني نحوه، ضاغطاً بذراعيه حول جسدي، محاولاً تهدئتي. لم يوجّه إليّ سؤالاً واحداً على مدى بضع دقائق. لقد اكتفى بتمسيدِ رأسي بيد لطيفة، حنونة، ورغم امتناني له لوقوفه إلى جانبي، لكنني شعرتُ بالذّنب. شعرتُ أنّني لا أستحقُّ هذا.

حين انفضّ بعيداً عنّي، كنتُ أرى أنّ الأسئلة تخرجُ من فمه تلقائياً. «ما الذي كنتِ تفعلينه في غرفة فيريتي؟».

أهزُّ رأسي. «لا أعلمُ. استيقظتُ ووجدتُ نفسي هناك. خفتُ، وصرختُ، و...».

يُمسِكُ بكلتا يديّ، ويضغط عليهما بقوّة. «أنتِ بخير».

أودّ أن أصدّقه، لكنّني لا أستطيع. كيف يمكنُ أن أنامَ في هذا المنزل بعد هذا الذي حدث؟

– «لا أستطيعُ أن أحصي عدد الأمكنة العشوائية التي صحوتُ فيها. كان يحدثُ هذا معي طوال الوقت. حتى إنني ذات مرّة وضعتُ ثلاثة أقفالٍ على الباب الداخلي لغرفة النّوم. لستُ غريبةً على الاستيقاظ في غرف الآخرين، لكن من بين كلّ هذه الغرف في هذا المنزل لماذا ذهبتُ إلى غرفة فيريتي بالذات؟».

– «ألهذا كنتِ تريدين قفلاً لبابكِ؟» يسألُ. «كي تمنعي نفسكِ من الخروج».

أومئ برأسي، ولكن، ولسببٍ ما، جعلتهُ ردّةُ فعلي يضحكُ.

- «يا يسوع!» يقولُ. «ظننتُ أنّ السببَ هو خوفكِ منّي».

أسعدتني روحُه المرحةُ في تلك اللّحظة فأنا لم أكنْ قادرةً على امتلاكها.

- «اسمعيني. اسمعيني»، يقولُ بلطفٍ رافعاً ذقني إلى الأعلى من أجل أن أنظرَ إليه. «أنتِ بخير. كلّ شيء على ما يرام. المشي في أثناء النّوم لا يسبّب أذى».

أهزّ رأسي علامةً على اختلافٍ حادّ معه. «كلّا، كلّا، يا جيرمي. ثمة أذى كبير». أرفعُ يدي التي ما تزال تُمسِكُ معصمي. «استيقظتُ في العراء مرّاتٍ كثيرةً. سقطتُ على المدافئ، وأفران الطبخ. بل إنّني...» أخذتُ نَفَساً عميقاً. «كسرتُ معصمي في نومي، ولم أشعرْ بذلك حتى استيقظتُ في صباح اليوم التالي».

موجة من الأدرنالين تندفعُ عبر أنحاء جسدي وأنا أفكّرُ كيف أضيفُ هذه الحادثةَ الأخيرةَ إلى سلسلة الأفعال الفادحة التي ارتكبتُها سابقاً في نومي. فرغم أنني كنتُ فاقدة للوعي، صعدتُ ذاك الدرَج، واعتليتُ ذاك السرير. إذا كنتُ قادرةً على ارتكاب فعلٍ فادحٍ كهذا، فما الذي باستطاعتي فعله أيضاً؟

هل فتحتُ قفلَ البابِ في نومي أم نسيتُ أن أقفله قبل النوم؟ لا أستطيعُ أن أتذكّر.

أدفعُ اللّحاف جانباً، وأتوجّهُ إلى خزانة الملابس. أتناولُ حقيبتي مع بعض القمصان التي أحضرتُها معي، وعلّقتها على المشجب. «ينبغي أن أغادر».

جيرمي لا يقولُ شيئاً، وتابعتُ جمعَ أشيائي. كنتُ داخل الحمّام أجمعُ مستلزمات النّظافة الخاصة بي حين ظهر في الردهة. «قرّرتِ أن تغادري».

أومئ برأسي. «استيقظتُ في غرفتها يا جيرمي. حتى بعد أن وضعْتَ قفلاً على بابي. ماذا لو حدث الأمرُ ثانيةً؟ ماذا لو أُصيب كرو بالهلع؟» أفتحُ نافذةَ الحمّام وألتقطُ موسى الحلاقة. «كان ينبغي أن أُخبركَ بكلّ هذا قبل أن أقرّر النوم ليلةً واحدةً في هذا المكان».

يأخذ جيرمي الموسَى من يدي. يُرجعُ حقيبةَ النظافة الشخصية إلى

مكانها على حافّة حوض الحمّام. ثمّ يشدّني نحوه، واضعاً يدَه خلف رأسي، بعد أن التصقَ صدره بي. «تمشينَ في نومكِ، يا لوين». ثم يطبع قبلةً على شعري. «تمشين في نومكِ. هذا ليس بالأمرِ الجلَلِ على الإطلاق».

ليس بالخطب الجلل؟

أضحكُ نصفَ ضحكةٍ وأنا بين أحضانه. «كم كنتُ أتمنّى لو أنّ أمّي قالتِ الشيءَ نفسه وأحسّتْ به».

حين انسحب جيرمي إلى الخلف، رأيتُ القلق يلتمعُ في عينيه. هل هو قلقٌ عليّ أم قلقٌ بسببي؟ يرافقني إلى غرفة النّوم، ويشير إليّ بالجلوس على حافّة السرير، ثم يُخرج قمصاني، الواحد تلو الآخر، من حقيبة الملابس ويعيدُ تعليقها داخل الخزانة.

– «هل ترغبين بالحديث عن الموضوع؟».

– «أيُّ جزءٍ منه بالضبط؟».

– «لماذا كانت أمّك تظنّ أنّ حالتكِ خطباً جللاً؟».

لا أريدُ التحدّث في الأمر. لا بدّ أنه يرى ملامحي تتبدّلُ فيما كان يُخرجُ قميصاً آخر. يعيدهُ إلى الحقيبة ويجلسُ على السرير.

– «لا أقصدُ أن أبدو قاسياً»، ثمّ يرمقني بنظرة ثابتة. «ولكن أنا لديّ ابني. حين أرى مدى قلقك على نفسكِ أقلقُ أكثر. لماذا تخشين من نفسكِ إلى هذا الحدّ؟».

جزءٌ منّي يريدُ الدفاع عن نفسه، لكن لا يوجدُ ما أدافعُ عنه حقاً. لا يمكنُ أن أقول له إنني غير مؤذية، فأنا نفسي لستُ متأكّدة. لا يمكنُ أن أقولَ له أعدكَ لن أمشي في نومي ثانيةً، لأنّ الحدثَ وقعَ قبل أقلّ من عشرين دقيقة. الشّيءُ الوحيدُ الذي يمكنُ أن أقولَه، على الأرجح، في سياق الدفاع عن نفسي هو أنّني لستُ مفزعةً إلى هذا الحدّ مقارنةً بزوجتِهِ، لكنني لستُ متأكّدة أنني أصدّق هذا أيضاً.

لم أصبحْ مفزعةً بعدُ، وتنقصني الثقةُ بالنفس بأن أعدَ أحداً بأنني لن أكون مفزعةً قطّ.

أرمي نظراتي على السرير، وأبتلعُ ريقي، كأنّني أهيئ نفسي لإخباره بكلّ شيء. معصمي بدأ يخفقُ من جديد. حين أنظرُ إليه أرى أثر الجرح الغائر هناك فوق راحتي. «لم أشعرْ بما حدَثَ لمعصمي في لحظة وقوعه»، أقولُ. «ذات صباحٍ استيقظتُ وكنتُ في العاشرة. فتحتُ عيني، وشعرتُ بألمٍ شديدٍ يبدأ من معصمي ويسري وصولاً إلى كتفي. في تلك اللحظة شعرتُ بالضوء السّاطعِ ينفجرُ في رأسي. صرختُ لأنّ الجرحَ كان مؤلماً جدّاً. أمّي هرعتْ إلى غرفة نومي، وما أزالُ أتذكّرُ كيف كنتُ مستلقيةً أتلوّى من ألمٍ لم أعهدْ له مثيلاً، ولكن في تلك البرهة أدركتُ أنّ بابَ غرفتي لم يكنْ مقفلاً. كنتُ أعرفُ أنني قفلته بنفسي في اللّيلة الفائتة».

أنقلُ نظري من راحةِ يدي إلى وجهِ جيرمي. «لم أستطعْ أن أتذكّرَ كيف وأين حدث ما حدث، لكنّ الدماء كانت تغطّي شرشفَ السرير، والوسادة، والفراش، وأنا. وكان ثمة بقايا ترابٍ على قدميّ كأنّني عدتُ لتوّي من الخارج. لم يكن بمقدوري أن أتذكّر أنّني غادرتُ غرفتي ولو للحظة واحدة. كنا قد ركّبنا كاميرات خفيّة على واجهة المنزل، وعددٍ من الغرف في الداخل. وقبل أن تتفحّص أمّي لقطات الكاميرا، أخذتني إلى المشفى، لأنّ الجرحَ كان عميقاً، ويحتاجُ إلى عدّة قُطبٍ، كما أنّ معصمي كان يحتاجُ إلى تصويرٍ بالأشعّة. حين عدنا أدراجنا إلى المنزل، في تلك الظهيرة، استعادتْ أمّي لقطات الكاميرا الأمامية على واجهة المنزل. جلسنا على الأريكة وبدأنا نشاهدها معاً».

أمدّ يدي وأجلب زجاجة الماء عن المنضدة الصغيرة قرب سريري كي أرطّب حنجرتي التي بدأتْ تجفّ. وقبل أن أستأنف حديثي، كانت يدُ جيرمي تلمسُ ركبتي، وتفركُها بلطفٍ تعبيراً عن التعاطف. أحدّق بها وأنا أكملُ له قصّةَ ما حدثَ في ذلك اليوم.

– «أظهرتني الكاميرا وأنا أغادرُ المنزلَ في الثالثة صباحاً إلى الشرفة الأمامية في المدخل الخارجي. صعدتُ إلى حافّة الحائط الضيّقة وتسمّرتُ هناك. هذا كلّ ما فعلته في البداية. ظللتُ واقفةً هناك، متسمّرةً في مكاني... لمدّة ساعة كاملة، يا جيرمي. مضت ساعة كاملة ونحن نشاهد صورتي الثابتة حتى ظنّنا أنّ الكاميرا تجمّدت أو تعطّلت، إذ من يستطيع الوقوف

لمدّة ساعة كاملة فوق تلك الحافّة دون أن يفقد توازنَه؟ بعدئذٍ... قفزتُ. لا بدّ أنني جرحتُ معصمي في أثناء السقوط، ولكن في الصورة لم يبدُ عليّ أية ردّة فعلٍ. نهضتُ من فوري عن الأرض، متكئةً على كلتا يديّ، وصعدتُ درجَات المدخل. كان من السهل رؤية الدم يسيلُ من يدي، ويسقطُ على رخامِ الشرفة، لكنّ ملامحي كانت جامدةً تماماً. عدتُ أدراجي مباشرةً إلى غرفتي وخلدتُ إلى النّوم».مكتبة سُر مَن قرأ

عيناي تعودان إلى عينيه. «لا أتذكّرُ شيئاً من كلّ هذا. كيف يمكن أن أتسبّب بكلّ ذاك الألم لنفسي ولا أشعرُ به. كيف يمكن أن أقفَ على حافّة الحائط الضيّقة لمدّة ساعةٍ كاملةٍ دون أن أترنّحَ أو أتمايلَ، ولو حتّى قليلاً؟ لقد أفزعني الفيديو أكثر من الإصابة ذاتها».

مرّةً أخرى يعانقني، وأشعرُ بالامتنان للفرصة التي منحني إياها لكي ألتصقَ به التصاقاً. «أرسلتني أمّي في رحلة علاج نفسية لمدّة أسبوعين متتالين، بعد تلك الواقعة»، أقولُ وأنا أدفنُ رأسي في صدره. «حين عدتُ إلى المنزلِ رأيتُ أنّها انتقلتْ من غرفتها إلى غرفة نومٍ احتياطية في أقصى المنزل بعد أن وضعتْ ثلاثة أقفالٍ على بابها من الداخل. أمّي أصابها الهلعُ، وباتتْ تفزع منّي».

يدفنُ جيرمي رأسَه بين خصلات شعري ويتنهّدُ بعمق. «يؤسفني ما حدثَ لكِ».

أُحكِمُ إطباقَ جفنيّ أكثر.

– «يؤسفني أنّ أمّكِ أساءتِ التعاملَ مع الحالة. لا بدّ أنّ ذلك كان قاسياً جدّاً على ابنة مثلكِ».

كنتُ في أمسّ الحاجة لأن أسمعَ وأشعرَ بكلّ ما بدَرَ عنه في تلك اللّيلةَ. صوته هادئٌ وحنونٌ، وذراعاه جعلاني أشعرُ بالأمان، وحضورهُ سلسٌ، مُطَمْئِنٌ. لا أريدهُ أن ينفضّ عنّي. لا أريدُ أن أفكّر بحادثة الاستيقاظ في سرير فيربتي. لا أريدُ أن أفكّرَ بقلّة ثقتي بعقلي وأنا نائمة، بل بقلّة ثقتي بنفسي وأنا مستيقظة.

– «يمكن أن نتحدّث أكثر عن الموضوع في صباح الغد»، يقولُ بعد أن

تركني على مهلٍ. «سوف أحاول إيجادَ خطّة تجعلكِ تشعرين بالرّاحة أكثر. أمّا الآن، حاولي أن تأخذي قسطاً من النّوم أرجوكِ؟».

يعصرُ يديّ بقوّة محاولاً إدخال الطمأنينة إلى نفسي، ثم يتوجّهُ إلى الباب. أشعرُ بالذعر من فكرة تركه لي وحيدةً هنا، ومن فكرة العودة إلى النّوم من جديد. «ماذا أفعلُ في البقيةِ الباقيةِ من هذا اللّيل؟ فقط أقفلُ بابي؟».

ينظرُ جيرمي إلى منبّه السّاعة. إنّها الخامسة وعشر دقائق فجراً. يحدّقُ بالسّاعة لبضع ثوانٍ ثمّ يعودُ أدراجه إليّ. «هيّا، نامي»، يقولُ رافعاً أغطيةَ السرير. أتمدّدُ فوق الفراش، وأديرُ له ظهري، ويتمدّد جيرمي خلفي تماماً.

يلفُّ ذراعَه حولي واضعاً ذقنه على رأسي. «إنّها الخامسة صباحاً تقريباً. لن أخلدَ إلى النّوم ثانيةً. لكنّني سوف أمكثُ بجانبك، وحين تنامين أغادرُ».

إنه لا يمسّدُ ظهري أو يدغدغُني بأيّ حالٍ. بدت الذراع التي يضمّني بها متخشّبةً شيئاً ما، وكأنه لا يريدني أن أسيءَ تفسيرَ تلك الوضعية معاً في السرير. ولكن، ورغم عدم شعوره بالرّاحة الآن إلى جانبي، فأنا أثمّنُ عالياً محاولته إدخال الراحة إلى نفسي.

أحاولُ أن أُغمضَ عينيّ وأنام، لكن كلّ ما أراه أمامي هو فيريتي. وكلّ ما أسمعه هو صوت سريرها المتحرّك في الأعلى.

كانت الساعة قد تجاوزت السادسة حين نهض جيرمي من السرير بعد أن ظنّ أنني قد نمتُ. ذراعه تتحرّكُ قليلاً، وينتهي المطافُ بأصابعه إلى لمسِ شعري لبرهةٍ من الزمن. برهة خاطفة كتلك القبلة التي طبعها على صدغي، لكنّ أثرها سوف يمكث معي لمدّة أطول، حتى بعد أن يغادر غرفة النوم، ويوصدَ الباب وراءه.

-14-

ليس من عادتي العودة إلى النّوم بعد الاستيقاظ، ولهذا أنا الآن أسكبُ فنجان قهوتي الثاني، والسّاعة لم تتجاوزْ بعدُ الثامنة صباحاً.

أقفُ خلف المغسلة وأحدّق عبر النافذة. كان المطر قد بدأ يهطلُ منذ الخامسة صباحاً، حين كنتُ ما زلتُ في الفراش بجانب جيرمي، متظاهرةً بأنّي نائمة.

أرى من النافذة سيارة الممرضة إبريل تسلكُ الطّريق الفرعي الموحل. **هل سيخبرها جيرمي بما حصل البارحة؟**

لم ألمحْه هذا الصباح، لكنه قد يكون في الطابق العلوي حيث اعتادَ البقاء هناك بانتظار وصول إبريل. لا أريدُ أن أكونَ في المطبخ حين تدخلُ إليه إبريل، ما يجعلني أستديرُ عائدةً إلى مكتبي. لكن، وعلى غير المتوقّع، أصطدمُ بجيرمي الذي يتفادى الاحتكاك بي من خلال العودة خطوة واحدة إلى الخلف، والإمساك بكتفيّ، ما يحول دون وقوعِ فنجان قهوتي الثمين من يدي.

يبدو عليه الإرهاق، وأغلب الظنّ أنني أنا السبب وراء ذلك. «صباحُ الخير»، يقولها وكأنّ كلّ شيءٍ بخير ما عدا هذا الصباح.

- «صباح الخير». إنّي أهمسُ همساً ولا أعرفُ ما السبب.

يمشي باتجاهي ثم يُخفِضُ رأسَه كأنّه لا يريدُ لأحدٍ أن يسمعَ ما يريدُ أن يقولَه لي بعد قليل. «ما رأيُكِ إذا وضعتُ قفلاً على غرفة نومكِ؟».

سؤالُه يصيبني بالحيرة. «لقد قمْتَ بهذا للتوّ».

- «أقصد من الجهة **الخارجية** للباب»، يوضّحُ فكرتَه أكثر.

آه.

- «يمكن أن أقفله حين تذهبين إلى النّوم، وأفتحه قبل أن تستيقظي. وفي حال اضُطررتِ لسبب ما للخروج، أرسلي لي رسالة نصّية، أو اتّصلي بي، وسوف أفتحُه لكِ خلال أقلّ من ثانيتين. أعتقدُ أنّك ستنامين بشكلٍ أفضل، خاصّةً إذا عرفتِ أنكِ لن تستطيعي أن تغادري الغرفة».

لا أعلمُ كيف أشعرُ إزاء اقتراح كهذا. لا أعلمُ لماذا أشعرُ أنّ الأمر سيّان، فالقفل من الخارج لا يختلف عن القفل من الدّاخل، طالما أنّ الغاية واحدة وهي منعي من الخروج. ورغم أنّ التفكير باحتمالٍ كهذا لا يُشعرني بالراحة تماماً، لكنّه أفضل بكثير من خشيتي الدائمة من إمكانية مغادرة غرفتي. «أرحّب تماماً بالفكرة. شكراً لك».

إبريل تدخلُ المنزل، وتتمهّلُ حين تقتربُ من المطبخ. ما يزالُ جيرمي ينظرُ إليّ متجاهلاً حضورَها. «أشعرُ أنّكِ ترغبين بأخذِ استراحةٍ هذا اليوم».

أشيحُ بنظري عن إبريل وأنظرُ إلى جيرمي. «أفضّلُ أن أشغلَ نفسي بشيءٍ ما».

يتمعّن بي صامتاً للحظةٍ في إشارة منه لتفهّمِ ما قلتُ.

- «صباح الخير»، تقول إبريل وهي تنفضُ الوحلَ عن حذائِها أمام العتبة.

- «صباح الخير، يا إبريل»، يقولُ جيرمي بنبرة تلقائيةٍ، وكأنه لا يخشى مما يسرُّ لي به. يمشي باتجاه الباب. تظلّ إبريل واقفةً لا تحرّكُ ساكناً. تحدّق بي من خلف نظّارتيها الطيّبتين العالقتين فوق أرنبةِ أنفها.

- «صباح الخير يا إبريل». لا تبدو عليّ البراءة نفسها التي بدتْ على جيرمي. أعودُ إلى مكتب فيريتي، وأبدأ نهاري، رغم عدم قدرتي على نسيان ما حدث في الليلة الفائتة.

أقضي فترة الصباح في قراءة الرسائل الإلكترونية الواردة. كوري أرسل لي العديد من المقابلات، وهذه سابقةٌ لم تحدث معي من قبل. العديد من الأسئلة تتكرّر، وتريد أن تعرف لماذا طلبتْ فيريتي أن أكون شريكة لها، وما الإضافة التي يمكن أن أقدّمها، وما طبيعة تجربتي السابقة التي أهّلتني لكي أكون شريكتها في الكتابة. أنسخُ وألصقُ العديدَ من الأجوبة.

بعد الغداء أحاولُ أن أركّزَ على تطوير النقاط الرئيسية التي سوف أعالجُها في الكتاب السّابع. لقد فقدتُ الأملَ في العثور على ملخّصٍ ما، وبالتالي لم يبق أمامي سوى أن أبدأ الرّوايةَ من نقطةِ الصفر. ليس الأمرُ بتلك السهولة فأنا ما زلتُ مرهقةً بسبب ما حدث في اللّيلة الماضية. ما زلتُ أفتقدُ للاستقرار النفسي. لكنني أحاولُ أن أنسى ما حدث.

في وقت الظهيرة أشمُّ رائحةَ الدجاج المكسيكي. أبتسمُ لأنّي أعرف أنّ جيرمي يقوم بتحضيرها لأنّني طلبتُها. أنا متأكّدة بأنه سيتركُ لي صحناً كما درجتْ عادتُه دائماً. لستُ في وضعٍ يجعلني أشعرُ بالرّاحة وأنا أتناولُ العشاءَ معهم، خاصّةً أنّ إبريل جلبتْ معها فيريتي إلى الطّاولة.

أمضي الدقائق القادمة بالتفكير بهذه المرأة، فيريتي، وبالأسباب التي تجعلني أشعرُ بالخوف منها. أحدّقُ بالدّرج الذي يحتوي مخطوطةَ مذكّراتها. فصلٌ آخر وأتوقّفُ عن القراءة. بعدئذٍ أقولُ كفى!

الفصل السادس

ستة أشهرٍ مرّتْ منذ ولادتهما وما زلتُ أتمنّى لو أنّهما لم تولدا قطّ.

لكنّهما ولدتا وجيرمي يحبُّهما حبّاً جمّاً. لهذا حاولتُ أن أحذوَ حذوَه. أحياناً كنتُ أقولُ لا يستحقّ هذا منّي كلّ ذاك التعب. فكّرتُ مراراً بحزم حقائبي والرّحيل، وعدم النظر إلى الوراء. لكنّ السبب الوحيد الذي كان يمنعني من الإقدام على ذلك هو وجود جيرمي نفسه. كنتُ أدركُ أنّ الحياةَ من دونه ليستْ حياةً أريدها. وكان أمامي خياران اثنان:

أن أعيش معه ومع ابنتين يحبّهما أكثر مما يحبّني

أو أن أعيشَ بدونه.

بدا الأمر وكأنّه صفقة لا تتجزأ. أكره نفسي لأنّني لم أستخدمْ مانعاً للحمل. لأنني ظننتُ أنّ بإمكاني القيام بذلك، وبأنّ كلّ شيء سيكونُ على ما يُرام. العكس هو الصحيح. لا شيءَ على ما يُرام، على الأقلّ بما يتعلّق بي أنا. كأنّ عائلتي تعيش على كوكبٍ من ثلج. في الدّاخل كلّ شيءٍ دافئ ومثالي، لكنّني لم أكنْ جزءاً منه. أنا مجرّد غريبة، لامنتمية، تنظرُ إليهم من الخارج.

كان الثلجُ يهطلُ في تلك اللّيلة ويكسو الأرضَ بالبياض. لكنّ الشقّةَ في الدّاخل دافئة. مع ذلك، استيقظتُ وأنا أرتجفُ، وأنا أشعرُ بنوبات قشعريرة حقّاً. لم أستطعْ أن أوقفَ نفسي عن الرّجفان. الكابوسُ الذي رأيته ظلّ حيّاً في ذاكرتي، ولم أستطعْ محوه بعد الاستيقاظ. إنّها آثارُ ما بعد الكابوس، إذاً.

حلمتُ بالمستقبل، وبالبنتين، وبجيرمي، وبي. كانت الطفلتان قد بلغتا الثامنة أو التاسعة من عمرهما. لم أكن متأكّدة، فأنا لا أعرفُ الكثير

عن الأطفال، وكيف يبدون في كلّ مرحلةٍ من المراحل. أتذكّرُ فقط أنني استيقظتُ وشعرتُ أنّهما في الثّامنة أو التاسعة من العمر.

في الحلم وجدتُ نفسي أمشي بالقرب من غرفة نومهما. أختلسُ نظرةً إلى الدّاخل ولا أفهمُ ما الذي أراهُ. رأيتُ هاربر تجلسُ فوق تشاستين وتخنقُها بوسادة. أندفعُ نحو السرير، يساورني الهلعُ بأن أصل بعد فوات الأوان. أدفعُ هاربر بعيداً عن أختِها، وأرمي الوسادةَ بعيداً. أنظرُ إلى تشاستين وأضعُ يدي على فمي. كنتُ أريدُ أن أكتمَ صرختي.

لا شيءَ هناكَ البتّة. وجهُ تشاستين أملسُ وناعمٌ تماماً كمثل بشرةٍ صلعاء. لا أثرَ لجرحٍ. لا عينين، لا فمَ. لا شيءَ يمكن خنقه.

أرمقُ هاربر بنظرةٍ سريعة، وأحاولُ أن أفهم تعابيرها الشريرة. «ما هذا الذي فعلْتِهِ؟»

ثم أستيقظُ.

لم تكن ردّة فعلي موجّهة إلى الحلم، بل إلى ما كان يُنذرُ به من حدسٍ، وكيف تغلغل إلى عمقِ جوارحي.

احتضنتُ ركبتيّ وأنا أهزّ جذعي إلى الأمام والخلف، فوق السرير، حائرةً ماذا يمكن أن يشير إليه هذا الشعور. الألم. إنّه الألم. و... **ووجع القلب**.

لقد عشتُ وجعَ القلب في الحلم. حين ظننتُ أنّ تشاستين ميتةً أردتُ أن أركعَ على قدميّ وأنتحب. تماماً كالشعور الذي انتابني حين فكّرتُ باحتمالِ موت جيرمي. عندئذٍ، سأفقدُ كلّ وظيفة من وظائف حياتي.

جلستُ هناكَ ورحتُ أبكي، فالشعورُ ذاته اجتاحني بشدّة. هل استرجعتُ أخيراً رابطة الأمومة معهما؟ مع تشاستين على الأقلّ؟ أهو الشعورُ الذي يجعلُ الأمّ أمّاً حقّاً؟ أن تحبّ شيئاً بتلك القوّة لدرجة أنّ انتزاعَه منكَ يسبّبُ لكَ ألماً حسيّاً؟

كان ذاكَ هو الشعورُ الأقوى الذي ينتابني منذ ولادة الطفلتين. حتّى وإن اقتصرَ على إحداهنّ فقط، فإنه مؤشرٌ قويٌ لا يمكن تجاهله.

يتقلّبُ جيرمي في السرير. يفتحُ عينيه ويراني جالسةً أحضنُ ركبتيّ. «هل أنتِ بخير؟».

لم أكن أتمنّى أن يسألني هذا السؤال، فجيرمي أفضل من يستطيع أن يتكهّن بما يدورُ في رأسي من أفكار. أو قُلْ معظمها. لم أكنْ أريدهُ أن يعرفَ أفكاري هذه المرّة. كيف يمكنني أن أعترفَ بأنّني وقعتُ أخيراً في حبّ إحدى الطفلتين من دون أن أعترفَ أيضاً بأنّني لم أكن أُضمرُ الحبّ لأيٍّ منهما من حيث المبدأ؟

كان عليّ أن أفعل شيئاً. أن أُبقيه مشغولاً بشيءٍ آخر كي لا يوجّهَ إليّ المزيد من الأسئلة. بحكم التجربةِ كنتُ أعرفُ أنّ جيرمي لا يمكنهُ انتزاع الحقيقة منّي إذا كنتُ أضعُ قضيبَه في فمي.

تدحرجتُ فوقه، وفي اللّحظةِ التي امتطيتهُ فيها، وصار فمي جاهزاً للعمل، كان قضيبُه في أشدّ الانتصاب. أدخلتُ منه ما استطعتُ إدخالَه في فمي.

كنتُ أعشقُ أنينَه. جيرمي عاشقٌ هادئٌ، في العادة، ولكن حين آخذهُ على حين غرّة، لم يكن يحتفظ بهدوئه كثيراً. في تلك اللّحظة اشتدّ هياجه. ورحتُ أتساءلُ كم يا تُرى عدد النسوة اللّواتي انتزعْن الأنينَ من بين شفتيه قبل أن ألتقي به؟ كم عددُ الشفاهِ التي لعقت قضيبَه؟

أتركُ قضيبَه يفلتُ من فمي. «كم من النسوةِ مصصْن عضوكَ؟».

ينهضُ مستنداً إلى كوعِه وينظرُ إليّ مربكاً، ثم يقول، «هل أنتِ جادّة؟».

– «فضولية أكثر مني جادّة».

يضحكُ، ويعيدُ رأسه إلى الوسادة. «لا أعرف. لم أقمْ بإحصائهنّ».

– «هل يصعبُ إحصائهنّ؟» قلتُ وأنا أتعمّدُ المناكفة. اعتليتُ جسدَه، وركبتُ صهوتَه. لكم كنتُ أحبُّ أنينَه وهو يمورُ تحتي ويمسكُ بمؤخّرتي. «إذا لم يكن هذا جواباً مباشراً، هذا يعني أكثر من خمسة».

– «بالتأكيد أكثر من خمسة»، قال.

– «أكثر من عشرة».

– «ربّما. احتمال. نعم».

من الغرابة أنّ إجابته تلك لم تجعلْني أشعرُ بالغيرة. ولكن طفلتين رضيعتين تجعلان النّار تتلظّى في داخلي. ربّما لأنّ البنتين ما زالتا في حياته، في حين أنّ جميع العاهرات السابقات هنّ... من الماضي.

– «أكثر من عشرين؟».

رفعَ يديه إلى نهديَّ وأحاطهنّ بأصابعِهِ. ثم راح يعصرهما. وبدأت ترتسمُ على ملامحه تلك النظرة التي تنذرُني بأنه على وشكِ مضاجعتي، وبأقصى قوّته. «قد تكون تلك إحصائية معقولة جدّاً»، همسَ وهو يسحبني نحوه. قرّبَ شفتيهُ من شفتيّ، ووضعَ يداً بين فخذي، وراح يدغدغني. «كم عدد الرّجال الذين مصّوا مهبلَكِ؟».

– «اثنان. أنا لستُ عاهرة مثلك».

ضحكَ وهو ما يزالُ يقبّلُ شفتيّ، ويدحرجني على ظهري. «لكنّكِ وقعْتِ في غرام عاهر».

– «عاهر سابق»، قلتُ موضّحةً.

أخطأتُ هذه المرة تلك النظرة التي التمعتْ في عينيه. لم يضاجعْني في تلك اللّيلة. اكتفى بحبّه لي. قبّلَ كلَّ شبرٍ في جسدي. روّضني، ودغدغني، وعذّبني، فيما كلّ ما كنتُ أفعلَه هو أن أمصّ له قضيبَه. وفي كلّ مرّة كنتُ أحرّكُ جسدي لكي آخذَ منه المبادرةَ كان يوقفُني.

لا أعلمُ لماذا أحصلُ على متعة كبيرة حين أقومُ بإمتاعِه، فأنا أحبُّ إمتاعي له أكثر من المتعة التي أتحصّلُ عليها منه. قد نجد تفسيرات كثيرة لهذا في لغات الحبّ أو سوى ذلك من الهراء الفارغ، لكنّ لغة حبّي له هي أفعالُ خدمة. لغةُ حبّ جيرمي تعني فقط مصّ قضيبِه. هكذا وجد كلٌّ منا نصفه الآخر المناسب.

كان على بُعد لحظات من الذّروة حين بدأت إحدى الطفلتين تبكي بكاءً شديداً. هو أصدرَ أنيناً، وأنا حرّكتُ بؤبؤ عينيّ. كلانا مدّ يده إلى جهاز المراقبة. هو لكي يعتني بهما، وأنا لكي أطفئه.

بدأتُ أشعرُ بقضيبه يصغرُ، فقمتُ بنزعِ الإبريز الكهربائي من جهاز فيديو المراقبة. ظلّ الصراخُ مسموعاً، يأتي من ردهة الباب، لكنني كنتُ متأكّدة أنّ بإمكاني تغطية هذا إذا استأنفتُ ما كنتُ أقومُ به.

– «سوف أقومُ وألقي نظرةً عليهما»، قال محاولاً النهوضَ من الفراش. سحبْتُهُ ثانيةً إلى السّرير، واعتليتُ جسدَه.

– «سوف أذهبُ حين تنتهي أنتَ. دعهما تبكيان لبضع دقائق أخرى. البكاءُ لن يضرّهما بشيء».

لم يبدُ عليه الارتياح من هذا الاقتراح، لكن ما إن وضعتُ قضيبَه في فمي، عاد الرّجلُ إلى رشده واستكانَ.

تحسّن أدائي كثيراً في ابتلاعِ عضوه قياساً بأوّل مرّة حاولتُ فيها فعلَ ذلك. كنتُ أشعرُ أنه على وشكِ الوصول إلى الذّروة فأتظاهرُ بالاختناق. لا أعلمُ لماذا كان ذلك يسبّب له الفتور فجأةً، ربّما لأنّه كان يظنّ أنّني حقاً أختنقُ. **يا للرجال!** أصدرَ جيرمي أنيناً أقوى حين ابتلعتُ جزءاً أكبر من قضيبه وبدأتُ أغرغرُ بصوتٍ خافتٍ، ثم انتهى كلّ شيء. ابتلعتُ ما استطعتُ ابتلاعَهُ ومسحتُ فمي، ثم نهضتُ. «عُدْ إلى النّوم. سأتدبّر الأمرَ».

أردتُ حقّاً أن أتدبّر الأمرَ بنفسي هذه المرّة. كانت المرّة الأولى التي لا أشعرُ فيها بالتقزّز من فكرة إطعام الطفلتين. كنتُ أريدُ أن أُطعمَ تشاستين. أحمُلها، وأهدهدُ جسدها الصغير، وأداعبُها. وشعرتُ بالغبطة حين دخلتُ إلى غرفة نومهما.

لكن تلك الغبطة سرعان ما انقلبت إلى منغّصٍ حقيقي حين أدركتُ أنّ هاربر هي التي كانت تبكي.

يا لخيبة أملي.

سريراهما موضوعان جنباً إلى جنب. الرأس بمحاذاة الرأس. وقد أصابتني الدهشة حين رأيتُ أنّ تشاستين كانت ما تزال تغطُّ في النّوم رغم صرخات هاربر العالية. تجاوزتُ سريرَ هاربر وحدّقتُ بالصغيرة تشاستين.

آلمني منظرُها كثيراً في تلك اللّحظة. وآلمتني أكثر أمنيتي بأن تخرسَ هاربر.

رفعتُ تشاستين من سريرها ومشيتُ بها صوب الكرسيّ الهزّاز. حين جلستُ على الكرسيّ تحرّكت الطفلة بين ذراعيّ. استرجعتُ حلمي في تلك الليلة، وكيف كان خوفي عارماً حين رأيتُ هاربر تحاولُ إلحاق الأذى بها. ساورني البكاءُ لمجرّد التفكير بأني قد أفقدُها ذات يوم. أو لمجرّد التفكير بأنّ ذاك اليوم آتٍ، لا مناصّ منه.

ربّما هو حدسُ الأمّ فحسب. ربّما كنتُ أهجسُ في قرارة نفسي أنّ مكروهاً ما سوف يقع لتشاستين، ولهذا السبب شعرتُ بذاك الحبّ المفاجئ والجارف تجاهها. لماذا لا تكون تلك طريقة الكون في دفعي إلى حبّ تلك الطفلة الصغيرة بكلّ ما أوتيت من قوّة وعاطفة، فالوقت الذي سأعيشُه معها سيكون على الأرجح أقصر بكثير من الوقت الذي سأعيشُه مع هاربر؟

قد يفسّر ذلك غياب المشاعر تجاه هاربر حتى تلك اللّحظة. لأنّ تشاستين هي التي ستموتُ قبل الأوان. سوف ترحلُ وتبقى هاربر هي الوحيدة معنا.

كنتُ أدركُ في أعماقي أنني كنتُ أدفنُ حبّي لهاربر. أخبّئهُ في مكانٍ ما، إلى حين أن ينفدَ وقتي مع تشاستين.

أغمضُ عينّي بإحكام، وأقاومُ الصداعَ الذي بدأ ينتابني بسبب زعيقِ هاربر. **هيا، اخرسي! تبكين، تبكين، تبكين! إنّي مع طفلتي الصغيرة هنا.**

حاولتُ تجاهلَ بكائها لبضع دقائق أخرى، لكنني خشيتُ أن يسبّبَ ذلك قلقاً لجيرمي. وضعتُ تشاستين في سريرها من جديد، وكانت ما تزالُ نائمةً، وهذا ما أثار دهشتي. إنّها حقّاً **طفلة طيّبة**. انتقلتُ إلى سرير هاربر، وبغضبٍ عارمٍ نظرتُ إليها في الأسفل. كأنّما كانت غلطتُها أنني رأيتُ ذاكَ الحلم.

قد أكون فسّرتُ منامي تفسيراً خاطئاً. ربّما لم يكن حدْساً لأشياء قادمة. ربّما كان مجرّد **تحذيرٍ فقط**. إذا لم أفعلْ شيئاً حيال هاربر قبل فوات الأوان، فإنّ تشاستين ستموت.

فجأةً انتابني دافعٌ قويٌّ لاستدراك ما سوف يحدثُ. لم أرَ في حياتي كلّها حلماً ساطع الدلالة بالنسبة لي كذاك الحلم. شعرتُ أنّني إذا لم أقمْ بفعلٍ ما في هذه اللّحظة فالمنامُ سوف يتحقّقُ في أيّ يوم قادم. للمرّة الأولى لم أستطعْ تحمّلَ فكرةِ فقدان تشاستين. بل إنّ فقدانها يسبّبُ لي الوجعَ نفسه الذي يسبّبهُ فقدانُ جيرمي.

لا أعرفُ الكثير عن إنهاء حياة شخص آخر، فما بالكَ بحياة طفلة رضيعة هنا. في المرّة الوحيدة التي حاولتُ فيها ذلك، لم تكن النتيجة سوى وشمٍ بسيطٍ. لكنني كنتُ قد سمعتُ بمتلازمة موت الطفل المفاجئ. لقد جعلني جيرمي أقرأُ عنها. إنها معروفة على نطاق لا بأس به. لكنني لم أكن أعرف

عنها ما يكفي لكي أستطيع تمييز الاختلاف بين الخنق المتعمّد ومتلازمة الموت المفاجئ للطفل.

لكنني سمعتُ عن حالات أناسٍ اختنقوا في نومهم في أثناء التقيؤ. سيكونُ من الصّعب تسمية ذلك بالفعل المتعمّد.

وضعتُ إصبعي على شفتيّ هاربر. رأسُها تحرّكَ سريعاً يمنةً ويسرةً، بعدما ظنّتْ أنها زجاجة الحليب. تناغمتِ البنتُ معي وبدأتْ تمصّ رأسَ إصبعي، لكنّ هذا لم يلبِّ رغبتها. تركتْ إصبعي وبدأت تزعقُ من جديد. وبدأتْ ترفسُ وتخبّطُ بيديها. أدخلتُ أصبعي أعمقَ إلى فمها.

لكنها ظلّت تبكي، وتابعتُ إدخالَ إصبعي. تنهّدتْ بعد غصّةٍ، لكنّها ظلّتْ تبكي. **قد تكون إصبعٌ واحدةٌ غير كافية.**

أدخلتُ اصبعين اثنتين إلى فمها وحنجرتها، وضغطتُ أكثر حتى لامستْ عقدةُ أصابعي لثّتها، وهنا توقّفتْ هاربر عن البكاء. راقبتُها للحظة حين بدأ ذراعاها يتخشّبان، مع كلّ رجفةٍ من جسدها الصغير. ساقاها أقفلتا على بعضهما.

هذا ما كانتْ ستفعلُه بأختها لو لم أفعلْ هذا بها. إنّي أنقذُ حياةَ تشاستين.

- «هل هي بخير؟» سأل جيرمي.

اللعنة، اللعنة، اللعنة، اللعنة.

أخرجتُ أصابعي من فم هاربر، وحملتُها بين ذراعيّ، ورحتُ أضغطُ وجهَها على صدري كي لا يسمعَ جيرمي أنفاسَها السّريعة، المتقطّعة. «لا أعرفُ»، قلتُ وأنا أستديرُ نحوه. غادرَ سريره ومشى باتجاهي. نبراتُ صوتي قلقة، مجنونة. «لا أستطيعُ أن أهدّئ من روعها. فعلتُ لها كلّ شيء». كنتُ أربّتُ بيدي على رأسها كي أُظهرَ له مدى قلقي واهتمامي بها.

في تلك اللّحظة تقيأتِ الطفلةُ على ثيابي. وحين تقيّأتْ صرختْ بصوتٍ عالٍ. ندَبتْ وأنّتْ. اخشوشنَ صوتُها، وازدادتْ شهقاتُها. إنه الصّراخ الذي لم يعهدْ كلانا مثيلاً له. اندفعَ جيرمي نحوي واختطفها من بين ذراعيّ، وراحَ يهدّئ من روعها.

لم يأبهِ البتّة لتقيّئها على ملابسي. لم يُتحفْني ولو بنظرةٍ صغيرة. بدا شديدَ القلق عليها. حاجباه مقطّبان قريبان من بعضهما، وجبينه متغضّنٌ فيما كان يتفحّصُ طفلتَه الصغيرة. كلّ هذا القلق العارم لا حصّة لي فيه، وينصبّ برمّته على هاربر.

حبستُ أنفاسي خشيةَ أن أشمّ رائحة التقيؤ وهرعتُ إلى غرفة الحمّام كان ذلك أشدّ ما أكرهه في مصيري كأمّ. ذاك التقيؤ اللّعين.

خلال غيابي في الحمّام كان جيرمي يحضّرُ زجاجةَ الحليب لهاربر. وحين انتهيتُ من الاستحمام، وخرجتُ إلى غرفتها، وجدتُها تغطُّ في النّوم. جيرمي كان قد عاد أدراجه إلى سريرنا بعد أن أعاد وصلَ الإبريز الكهربائي إلى جهاز فيديو المراقبة.

تجمّدتْ مفاصلي وأنا أصعدُ إلى السرير. حدّقتُ مليّاً بشاشة الفيديو، وبسرير هاربر وتشاستين الواضحين أشدّ الوضوح في الصورة.

كيف حدثَ ونسيتُ جهازَ الفيديو اللّعين؟

لو كان قد رأى ما كنتُ أحاولُ فعلَه لهاربر لأنهى علاقتَنا على الفور.

لماذا هذا الإهمال العجيب؟

لم أنمْ في تلك الليلة إلّا لماماً. رحتُ أفكّر كيف يمكن أن تكونَ ردّة فعلِ جيرمي لو أنه رأى ما كنتُ أفعله وأنا أحاولُ إنقاذَ تشاستين من براثن أختها.

-15-

آهٍ، يا إلهي! أشعرُ بالدوار وأنا جالسةٌ على الكرسيّ، فأمسكُ بمعدتي. «من فضلكم... من فضلكم»، أقولُ بصوتٍ عالٍ. على الرّغم من أنني لا أعرفُ لمن أتحدّث أو لماذا أقولُ ما أقولُ.

عليّ الخروج من هذا المنزل. أشعرُ أنّي غير قادرة على التنفّس. يجب أن أجلسَ في الخارج وأصفّي رأسي من كلّ ما قرأته.

في كلّ مرّة أقرأُ المخطوطة، تُصاب معدتي بحالات التقلّص من فرطِ ما أُمسكُ بها وأنا جالسة أقرأ تلك الصفحات. لاحقاً تصفحّتُ المزيد من الفصول، ولكن لا شيء كان يضاهي رعباً في تفاصيله محاولتَها القيامَ بخنقِ ابنتها الرّضيعة.

في الفصول التي تلتْ، كانت فيريتي تركّز بشكلٍ رئيسي على جيرمي وتشاستين، ونادراً ما أتتْ على ذكرِ هاربر، وهذا ما بدا مقلقاً مع كلّ صفحة. تحدّثتْ عن اليوم الذي بلغتْ فيه تشاستين عاماً واحداً من العمر، وعن اليوم الذي أمضت فيه تشاستين ليلتها الأولى في منزلِ أمّ جيرمي حين بلغت الثانية من العمر. وهكذا تقلّص كلّ حديث عن «التوأمين» في المخطوطة إلى حديثٍ عن «تشاستين» وحدها.

لو لم أكنْ على علمٍ بما حصل لاحقاً، لظننتُ أنّ مكروهاً ما قد حدثَ لهاربر قبل أن يحدثَ هذا المكروه بوقتٍ طويل.

انتظرتْ فيريتي حتّى بلغت الفتاتان الثالثة من العمر قبل أن تتحدّثَ ثانيةً عنهما معاً. ولكن قبل أن أبدأ بقراءةِ الفصل سمعتُ طرقاتٍ حادّة على بابِ المكتب.

أفتحُ بسرعة درجَ طاولة المكتب وأرمي المخطوطةَ في داخله. «ادخلْ».

يفتحُ جيرمي البابَ. يدي اليمنى تقبضُ على فأرة الحاسوب، والأخرى ترتاحُ عفوياً على حضني.

- «أعدْدتُ الدجاجَ المكسيكي».

أبتسمُ في وجهِهِ. «هل حان وقتُ تناولِ الطعام؟».

يضحكُ جيرمي. «إنها العاشرة مساءً. كان ينبغي تناول الطعام منذ ثلاث ساعات».

أنظرُ إلى ساعة الحاسوب. كيف حدَثَ ونسيتُ مرورَ الوقت؟ أظنّ أنّ هذا يحدثُ حين نجد أنفسنا نقرأُ عن امرأةٍ مريضةٍ نفسياً تعذّبُ أطفالهَا. «ظننتُ أنّ السّاعة لم تتجاوز الثامنة».

- «مضى على وجودِكِ هنا اثنتا عشرة ساعة»، يقول. «خذي استراحة. سوف تُمطرُ شُهباً الليلةَ. ينبغي أن تأكلي. أحضرتُ لكِ مارغريتّا أيضاً».

دجاج مكسيكي ومارغريتّا. وجبتان سريعتان لا تأخذان الكثير من الوقت.

***

تناولتُ الطعامَ على الشرفة الخلفية فيما كنّا نجلسُ على كرسيين هزّازين نراقبُ تساقطَ الشُّهب. لم يظهر الكثيرُ منها في البداية، لكننا سرعان ما بدأنا نرى شهاباً واحداً في كلّ دقيقة على الأقلّ.

مع مرور الوقت، أنتقلُ من الشرفة إلى الباحة الخارجية. أستلقي على العشب، وأنظرُ إلى السماء. جيرمي يستسلمُ أخيراً ويأخذُ مكانَه بالقرب منّي.

- «كدتُ أنسى منظرَ السماء»، أقولُ بنبرةٍ هادئة. «مضى عليّ وقتٌ طويلٌ وأنا أعيشُ في مانهاتن».

- «لهذا السبب تركتُ أنا نيويورك»، يقولُ جيرمي. يشيرُ بيده إلى الجهة اليسرى. نراقبُ معاً ذيلَ شهابٍ ساقطٍ. نظلّ ننظرُ حتى يختفي ويتلاشى.

- «متى اشتريتما، أنتَ وفيريتي، هذا المنزل؟».

- «حين بلغتِ البنتان الثالثة من العمر. كان الكتابان الأوّلان لفيريتي قد نُشرا وحظيا بنجاحٍ منقطع النظير، ما شجّعنا على أخذ المغامرة».

- «لماذا اخترتما فيرمونت؟ هل لأحدكما أقارب هنا؟».

- «كلّا. والدي توفي وأنا في سنّ المراهقة. أمّي توفيت منذ ثلاث سنوات. لكنّني ترعرعتُ في ولاية نيويورك، وتحديداً في مزرعة صغيرة لتربية خراف (الألبكَة)، صدّقي أو لا تصدّقي».

أضحكُ، وأستديرُ لأنظرَ إليه. «أنتَ لا تمزح؟ خرافُ الألبكَة؟».

يومئُ برأسِهِ.

- «كيف يمكن للمرء بالضبط أن يجني الأموال من خلال تربية خراف الألبكَة؟».

يضحكُ جيرمي على هذا السؤال. «لا تجني أموالاً أبداً. ولهذا السبب حصلتُ على شهادة في إدارة الأعمال، وانتقلتُ إلى مجال العقارات. لم تكن لديّ الرغبة في الاستمرار في مزرعة غارقة بالديون».

- «هل تظنّ أنكَ ستعودُ إلى العمل في القريب العاجل؟».

سؤالي يدفعُ جيرمي لأن يفكرَ قليلاً. «أتمنّى ذلك. ما زلتُ أنتظرُ الوقت المناسبَ. لا أريدُ أن يشعر ابني كرو بتغييرٍ جذريّ. الوقتُ المناسبُ لم يحنْ بعد».

لو كنتُ صديقتَه لفعلتُ شيئاً ما لكي أواسيه. كأن أُمسكُ يدَه وأربّتُ عليها. لكن في أعماقي نداءٌ يتمنّى أن أكونَ أكثر من صديقةٍ، وهذا يعني أنّنا لا نصلح أن نكون صديقين على الإطلاق. إذا كان ثمة من إعجابٍ متبادلٍ بين شخصين، فإنّ أمامهما خياران اثنان: إمّا أن يكونا على علاقة أو لا يكونا على علاقة. لا يوجد حلٌّ وسطٌ هنا.

وبما أنّه متزوّج... أُبقي يدي على صدري، ولا ألمسه أبداً.

- «وماذا عن والد ووالدة فيريتي؟» أسألُه على أمل أن تظلّ المحادثةُ مستمرّةً، ولا يسمعُ أنفاسي التي بدأتْ تتسارعُ مع كلّ خفقةٍ.

يرفعُ يدَه عن صدره كمن يريدُ القولَ لا أعرفُ عنهما شيئاً. «بالكاد أعرفهما. لم أرهما كثيراً قبل قطع علاقتهما مع فيريتي».

- «قَطَعا علاقتهما؟ لماذا؟».

- «من الصعب فهمهما»، يقولُ. «أطوارهما غريبة. فيكتور ومارجوري أبوان متديّنان حتى العظم. حين اكتشفا أن ابنتهما تكتبُ روايات الغموض والإثارة، تصرّفا حيالها وكأنّها قطعتْ كلّ علاقة لها بالدين وانضمّت إلى عَبَدة الشيطان. قالا لها إذا لم تتوقّف فإنّهما لن يكلّماها ثانيةً».

هذا أمرٌ لا يُصدّق. إنه ضربٌ من... البرودة. للحظة تعاطفتُ مع فيريتي وتساءلتُ ما إذا كان افتقارها لشعور الأمومة قد جاء إليها غريزياً بالوراثة. لكنّ تعاطفي سرعان ما تبدّد، وذهب أدراجَ الرياح حين تذكّرتُ ما فعلتْه بابنتها هاربر في سريرها.

- «كم سنة مرت على تلك القطيعة؟».

- «دعينا نرى»، يقول جيرمي. «نشرتْ كتابَها الأوّل منذ حوالي العقد من الزّمن. هذا يعني... أكثر من عشر سنوات».

- «لم يتحدّثا إليها حتّى الآن؟ هل هما على دراية بما حدث لها؟».

يهزّ جيرمي رأسه. «اتصلتُ بهما حين توفيت تشاستين. تركتُ لهما رسالة صوتية. لكنّهما لم يجيبا ولم يتّصلا. ولكن حين وقع الحادثُ مع فيريتي قام والدها بالاتصال بي. حين أخبرته عمّا حدث للطفلتين، ثم لفيريتي، لزمَ الصمتَ قبل أن يقول إنّ الله يعاقبُ الضالّين، يا جيرمي. أغلقتُ الخطَّ في وجهه. لم نتواصل منذ ذلك الحين».

أضعُ يدي على صدري وأنظرُ إلى السماء غير مصدّقة. «يا للعجب!».

- «أجل»، يقولُ هامساً.

يخيّمُ الهدوءُ على سهرتنا فوق العشب الناعم. نرى شهابين اثنين، واحداً من الجهة الجنوبية وآخر من الجهة الشرقية. يشيرُ جيرمي بإصبعه إليهما في وقتٍ واحد، لكنّه لا يقولُ شيئاً. حين مرّتْ هدنةٌ لم تسقطْ خلالها الشهبُ ولم نتبادلْ أطرافَ الحديث، نهضَ جيرمي مستنداً إلى كوعه بالقرب منّي وألقى نظرةً إلى الأسفل باتجاهي.

- «هل تظنّين أنه ينبغي أن أُرسلَ كرو للعلاج؟».

أستديرُ برأسي لكي أنظرَ إليه. لم يكن يفصلُ بيننا سوى قدمٍ واحدة. وربّما قدم ونصف. المسافةُ قريبةٌ جداً حتى إنّني أشعرُ بالحرارة تنبعثُ منه.

– «نعم».

بدا وكأنه يقدّر صراحتي تلك. «حسناً»، يقولُ، لكنه لا يعودُ ليستلقي على العشب. ظلّ يحدّق بي، وكأنّه يريدُ أن يسألني عن أمرٍ آخر. «هل سبقَ وخضعتِ للعلاج؟».

– «نعم. وكانت أفضل تجربة أمرّ بها على الإطلاق». أعودُ وأنظرُ إلى السماء غير راغبة برؤية تعبيرات وجهه بعد سماعه جملتي التالية. «بعدما رأيتُ صورتي وأنا واقفة على الحافّة، شعرتُ في قرارة نفسي أنّها كانت تعني شيئاً واحداً وهو أنّني كنتُ أريدُ أن أموتَ. مرّتْ عدّة أسابيع وأنا أحاولُ مقاومة النّوم. كنتُ خائفة أن ألحق أذًى بنفسي عن سابق قصد. لكنّ طبيبي أقنعني أنّ المشي في أثناء النّوم ليس مرتبطاً بنيّة معيّنة. وبعد مرور سنواتٍ رأيتُ نفسي أصدّقُ ما قيل لي».

– «هل رافقتكِ أمّكِ في رحلة العلاج؟».

أضحكُ. «كلّا. بل إنّها لم تتحدّثْ معي عن العلاج أبداً. شيءٌ ما حدث في تلك اللّيلة حين كسرتُ معصمي، وجعل أمّي تتبدّلُ جذرياً. أقصد على صعيد علاقتنا على الأقلّ. بقينا نشعرُ بالجفاء دائماً فيما بيننا. في الحقيقة أمّي تذكّرني كثيراً بـ...» هنا أحجمُ على الكلام بعدما كنتُ على وشك أن أقولَ فيريتي.

– «تذكّركِ بمن؟».

– «بالشخصية الرئيسية في سلسلة فيريتي».

– «أكانت شخصية سيئة؟» يسألُ.

أضحكُ. «حقّاً لم تقرأ أياً من كتبِ السلسلة؟».

يعودُ ويستلقي على العشب، واضعاً حدّاً لتبادل النظرات معي. «قرأتُ الجزءَ الأوّلَ فقط».

– «لماذا لم تُكملِ القراءة؟».

– «لأنّه من الصعبِ عليّ أن أستوعبَ أنّ كلّ تلك الأفكار تصدرُ عن مخيلتها».

أريد أن أقولَ له من حقّكَ أن تشعر بالقلق، لأنّ أفكار زوجته متشابهة

كثيراً –وعلى نحوٍ يثير الغرابة– مع أفكار شخصياتها. لكنّني لا أرغبُ بأن يتشكّل لديه هذا الانطباع عنها في اللّحظة الراهنة. إذ بعد كلّ ما مرّ به يستحقّ على الأقلّ أن يحتفظ بذكرى إيجابية عن زواجه.

– «لطالما عبّرت عن غضبها لأنني لا أقرأُ مخطوطاتها. كانت تتوقُ لنيل استحساني بالرغم من أنها كانت تحصل عليه من كلّ مكانٍ آخر، ومن كلّ حدبٍ وصوب. من قرائها، ومن نقّادها، ومن محرّري كتبها. لكن، ولسببٍ ما، كان استحساني هو الاستحسان الوحيدُ الذي تسعى إليه».

لأنّها كانت ممسوسة بك إلى درجة الهوس.

– «من أين تتحصّلين على الاستحسان بكِ؟» يسألُ.

أستديرُ برأسي نحوه من جديد. «لا أحصلُ على شيءٍ من هذا في الحقيقة. كتبي ليست رائجة. حين أقرأُ مراجعة نقدية عنّي، أو حين تصلني رسالة نصّية من أحد القرّاء المعجبين لا أشعر أنّ هؤلاء يتحدّثون إليّ. ربّما لأنني أعيشُ في عزلة كالنسّاك ولا أحضرُ حفلات توقيعٍ أبداً. لا أسوّقُ صورتي، وبالتالي حتى لو كان ثمة من قرّاء يحبّون حقاً ما أكتبه، فإنني أفتقر لمن يقول لي وجهاً لوجه أنّ ما أكتبه يعني شيئاً ما لهم». هنا أتنهّدُ بعمقٍ. «لا بدّ أنها تجربة ممتعة كما أتخيّل. أن ينظر إليّ شخص مباشرةً ويقول في وجهي: أحبُّ ما تكتبينه يا لوين».

حالما أنطقُ بتلك الجملة يعبرُ شهابٌ قوسَ السماء. كلانا يتتبعُ أثره ويراقبُ انعكاسَ أشعته فوق سطح البحيرة. أنظرُ إلى البحيرة التي تشكّلُ إطاراً خلفياً لرأس جيرمي.

– «متى ستبدأُ العملَ على الرّصيف الجديد للبحيرة؟» أسأله. كان قد انتهى من خلع أوتاد الرّصيف القديم بشكل كاملٍ اليوم.

– «لن أقوم ببناء رصيفٍ جديد»، يقولُ بنبرةٍ مباشرةٍ. «كلّ ما في الأمر أنني سئمتُ النظرَ إلى الرّصيف القديم».

كنتُ أتمناه أن يتوسّعَ في الموضوع لكنني لاحظتُ عدم وجود الرّغبة لديه.

إنه يراقبُني اللّيلة. ورغم أننا تبادلنا النظرات كثيراً خلال هذه السهرة،

لكنّني أشعرُ أنّ اللّحظة مختلفة هذه المرة. وأكثر ثقلاً. ألاحظُ أنّ نظراته البراقة تحومُ حول شفتيّ. أريدهُ أن يقبّلني. إذا بادَرَ، لن أمانعَ. بل لستُ متأكّدة أنّني سأشعرُ بارتكاب إثم إذا فعل ذلك.

يتنهّدُ بعمقٍ ويتركُ رأسَه فوق العشب ناظراً إلى النجومِ من جديد.

– «ما الذي تفكّر به؟» أهمسُ له.

– «أفكّرُ أنّ الوقتَ قد تأخّر وينبغي أن أحبسكِ في غرفتكِ الآن».

أضحكُ من طريقة اختياره للمفردات. أو أضحكُ ربّما لأنني تناولتُ وجبتي مارغريتا. ومهما يكن السبب فقد جعلَتْه ضحكتي يضحكُ أيضاً. وما بدا أنه كان يتصاعدُ إلى لحظة خاصّة بيننا، قد يوبّخُ عليها نفسه كثيراً فيما بعد، انتهى إلى لحظةٍ راحةٍ يتنفّسُ من خلالها الصعداء.

أتوجّهُ إلى المكتب لإحضار حاسوبي الشخصي، واستكمالِ العمل بعدما يذهب جيرمي إلى النّوم. حين يقومُ بإطفاء الأنوار في المطبخ، أفتحُ الدرجَ وآخذُ رزمةً من أوراق المخطوطة كي أقرأها في غرفتي. أُخفي الأوراق بين الحاسوب وصدري.

يوجدُ قفلٌ جديد في الخارج لم أره من قبل. لا أحاولُ تفحّصه، أو اكتشاف ما إذا كان قابلاً للفتحِ من الداخل فأنا متأكدة أنّ عقلي الباطن قد يقوم بتخزين ذلك والسماح لي بالمرور أثناء النوم.

جيرمي يمشي خلفي في الطريق إلى غرفة النّوم، قبل أن أضع أشيائي على السرير.

– «هل لديكِ كلّ ما تحتاجين إليه؟» يسألُ أثناء وقوفه خارج ردهة الباب.

– «أجل»، وأمشي باتجاه الباب كي أقوم بقفله من الداخل بعد أن أوصده.

– «حسناً إذن. طابت ليلتكِ».

– «حسناً»، أكرّرُ، والابتسامة تعلو شفتيّ. «ليلة سعيدة».

أذهبُ لكي أُغلق البابَ، لكنّه يرفعُ يدَه ويمنعني من إغلاقه تماماً. أفتحُ البابَ من جديد، وفي أقلّ من لحظة، بعدما كدتُ أن أوصد الباب، رأيتُ تبدّلاً في ملامحه.

– «لوين»، يقولُ. صوتُه هادئٌ تماماً. يسندُ رأسه على إطار الباب، وينظر نحوي. «لقد كذبتُ عليكِ».

أحاولُ ألّا أبدو مذعورةً، لكنني كنتُ كذلك. كلماتُه تخترقني كالنبال، فأعودُ بذاكرتي إلى حديثنا معاً هذه الليلة، وإلى الأحاديث التي سبقَتْها. «كذبْتَ بخصوص ماذا؟».

– «فيريتي لم يسبق لها أن قرأتْ كتابكِ».

أحاولُ أن آخذ خطوةً إلى الوراء من أجلِ أن أخفي خيبتي في الظّلام. لكنني أحافظُ على رباطة جأشي، وظللتُ واقفةً أعصرُ قبضة الباب بيدي اليسرى. «لماذا قلتَ ما قلْته طالما أنّه لم يكنْ صحيحاً؟».

يُغمضُ عينيه لبرهة وهو يحاولُ أن يتنهّدَ. حين يفتحهما يستقيم جسدَه مع زفير الهواء. يرفع ذراعيه ويُمسكُ بأعلى نقطة من إطار الباب. «أنا من قرأ كتابَكِ. إنّه كتابٌ جيّد. استثنائي. ولهذا السبب اقترحتُ اسمكِ على النّاشر». يُخفضُ رأسَه قليلاً، وينظرُ مباشرةً إلى عينيّ. «كتابتُكِ تعني لي الكثير يا لوين».

يُنزلُ ذراعيه، ويمسكُ قبضة الباب، ثم يوصدُ الدرفةَ المفتوحةَ خلفه. أسمعه يقفلُ البابَ قبل أن تتلاشى خطواته على الدَّرَجِ في الأعلى.

أتكئ على الباب، وأضغطُ بجبهتي على الخشب.

ثمّ أبتسمُ لأنها كانت المرّة الأولى التي أسمعُ فيها استحساناً مباشراً من خارج دائرة أسرة التحرير.

أعودُ إلى السرير وأبدأ بتصفّحِ الفصل الذي أحضرْته معي. لقد رفع جيرمي من معنوياتي، ولن أكترثَ الآن لما يمكن أن تسبّبه لي زوجته الآن من منغّصات قبل الذهاب إلى النّوم.

الفصل التاسع

دجاجٌ وزلابية.

كانت تلك هي المرّة الخامسة التي أطهو فيها بعد انتقالنا للعيش في بيتنا الجديد قبل أسبوعين.

وكانت تلك هي الوجبة الوحيدة التي يقذفُ بها جيرمي إلى حائطِ المطبخ.

أعلمُ أنّه كان منزعجاً منّي في الأيام الماضية. لكنّني لم أكنْ أعرفُ لماذا. كنّا ما نزالُ على علاقة جنسية نشطة، وكان يضاجعني كلّ يومٍ تقريباً، لكن حتّى الجنس بدا مختلفاً. بدا الأمرُ وكأنّه كان يعاني من فقدان التركيز. يضاجعني بفعل العادة، وليس لأنّه يشتاقُ لي.

هذا هو السبب الذي جعلني في المقام الأوّل أحضّرُ له الزلابيةَ اللّعينة. كنتُ أحاولُ أن أبدو مهتمّةً، وأطهو له وجبتَه المفضّلةَ. كان يجدُ وقتاً صعباً في التأقلم مع عمله الجديد. وما زاد في الطين بلّة أنّني وضعتُ الطفلتين في مركز للحضانة النّهارية من دون أن أستشيره.

في نيويورك استقدمنا مربّية للأطفال حين بدأت تزدادُ مبيعات كتبي. اعتادتِ المرأةُ أن تأتي كلّ صباح بعد أن يغادر جيرمي إلى عمله، وهذا ما سهّلَ عليَّ الانزواءَ في مكتبي واستئنافَ الكتابة يومياً. كانت تغادرُ كلّ مساءٍ حين يرجعُ جيرمي من عمله. عندئذٍ كنتُ أخرج من المكتب لكي نحضّر العشاءَ سويةً.

كان تدبيراً عظيماً، ينبغي أن أعترف. إذ بسبب وجود المربيّة، لم يكن عليّ الاعتناء بالطفلتين حين يكون جيرمي غائباً. ولكن هنا، في وسط هذا المكان المجهول، كان من الصعب العثور على مربّية. حاولتُ الاعتناء بهما

في اليومين الأوّلين، لكنّ ذلك كان عملاً مرهقاً، فضلاً عن أنّني توقّفتُ عن الكتابة تماماً. هكذا ذاتَ صباح من الأسبوع الماضي، وبعد أن طفح بي الكيلُ، نقلتهما بالسيارة إلى المدينة وسجّلتهما في أوّل دارٍ للحضانة صادفتُها في طريقي.

أعلمُ أنّ جيرمي لم يحبّذ ذلك، لكنّه كان أيضاً يدركُ أنّ شيئاً ما ينبغي فعله إذا كان لا بدّ لكلينا بأن يستمرّ في العمل. كنتُ الأكثر تحقيقاً للنجاح، وبالتالي إذا كان لا بدّ لأحدٍ ما أن يمكثَ في المنزل ويعتني بهما خلال النّهار، فبالتأكيد هذا الشخص لن يكون أنا.

لم يكن ما يزعجهُ وجود البنتين في دار الحضانة، فقد بدا أنه أحبّ تفاعلهما مع أطفالٍ آخرين، ولم يكن يتعبُ من الحديثِ عن الموضوع. لكنّنا كنا قد اكتشفنا أنّ تشاستين تعاني من تحسّسٍ مزمنٍ من زبدة الفستق، ما جعل جيرمي شديدَ الحَذر. لم يكن يريدُ لأيّ شخصٍ آخر أن يعتني بها سوانا. كان يخشى أن تكون الحضانةُ مهمِلةً، مع أنّ تشاستين هي الطفلة التي أحببتُها حقاً. لم أكن غبيّةً. لقد جعلتُ الجميعَ يعلم أنّها تعاني من التحسّس.

بغضّ النظر عن السبب الذي جعله ينزعجُ منّي، كنتُ متأكّدة أن صحناً من الزلابية، تعقبُهُ مضاجعة مثيرة في السرير، سوف تجعلُه ينسى.

تعمّدتُ أن أبدأ العشاء متأخّرةً في تلك اللّيلة كي أضمنَ أن تكونَ الطفلتان نائمتين أثناء تناولنا للطعام. لحسن الحظّ لم تكونا قد تجاوزتا الثالثة من العمر، وبالتالي كانتا تذهبان إلى الفراش في السابعة. كانت الساعة قد بلغت الثامنة تقريباً حين جهّزتُ الطاولة وناديتُ جيرمي للمجيء وتناول الطّعام.

حاولتُ أن أجعلَ الجلسةَ رومانسيةً قدر المستطاع، لكن من الصعب جعل الزلابية وقطع الدّجاج جزءاً من ذاك الإغواء. أضأتُ الشموع على الطّاولة، وجهّزت قائمتي المفضلة من الأغاني عبر المكبّرات اللاسلكية. ثم ارتديتُ ملابسي، ولبستُ تحتها ملابسَ داخلية شفّافة. وهذا ما لا أفعلُه كثيراً.

حاولتُ البدءَ بحديثٍ صغيرٍ معه في أثناء تناولنا للعشاء.

- «أظنّ أنّ تشاستين تلقّتْ تدريباتٍ متقنةً في الآونة الأخيرة»، قلتُ لهُ. «يبدو أنهم بذلوا جهداً مثمراً معها في دار الحضانة».

– «هذا جيّد»، قال، لكنّه ظلّ ينظرُ إلى هاتفه. يقلّبُ فيه بيد، وبالأخرى يتناولُ الطعام.

انتظرتُ للحظةٍ على أملِ أن يتراجعَ اهتمامَه بذاك الشّيء على هاتفه، ويعودَ إلينا. حين لم يحدثْ هذا، حاولتُ التنحنحَ في مقعدي ولفتَ انتباهه. كنتُ أعرفُ أن الحديثَ عن البنتين هو موضوعه المفضّل.

– «حين ذهبتُ لأحضرهما هذا اليوم قالت لي المعلمة إنّ البنتَ تعلّمتْ سبعةَ ألوانٍ هذا الأسبوع».

– «من؟» قال، مصوباً نظراته إلى عينيّ أخيراً.

– «تشاستين».

حدّقَ بي، ورمى جوّالَه على الطّاولة، وأخذ لقمةً أخرى.

اللعنة! ما عساها تكون مشكلته!

كان بوسعي أن أرى الغضبَ الذي يحاول كتمانَه، وهذا ما زادَ في قلقي. لم يسبقْ لجيرمي أن كان منزعجاً بهذه الطريقة. وحتّى عندما كان يغضب كنتُ أعرف على الفور السبب وراء غضبه. لكنّ الأمر مختلفٌ هذه المرّة. إنّ مصدر انزعاجه مازال مجهولاً تماماً بالنسبة لي.

لم أستطع التحمّلَ أكثر. استندتُ إلى الوراء في مقعدي، ورميتُ منديلَ الطعام على الطاولة. «لماذا أنتَ غاضبٌ مني؟».

– «لستُ غاضباً منكِ». قالها بسرعة غير اعتيادية.

ضحكتُ. «أنتَ مثيرٌ للشفقة».

ناستْ عيناهُ، وأمالَ رأسَه إلى جهةٍ واحدةٍ. «عفواً!».

مددتُ جذعي إلى الأمام. «أخبرني فقط يا جيرمي. كفى صمتاً رديئاً. كنْ رجلاً وقلْ لي ما هي مشكلتكَ؟».

تكوّرتْ قبضةُ يدِهِ ثم انبسطتْ. نهض بعدئذٍ، وبيده ضربَ آنية الطعامِ أمامه، فطارت عبر الطّاولة، باتجاه حائط المطبخ. لم أره يفقدُ أعصابَه بهذه الطريقة من قبل. تيبّسَ جسدي، وجحظتْ عيناي، فيما كان يهرعُ إلى خارج المطبخ.

سمعته يوصدُ غرفة نومنا وراءه بكلّ قوّة. نظرتُ إلى هذه الفوضى من حولي، وأدركتُ أنّ عليّ أن أنظّفَ المكان، وأصلحَ ذاتَ البين بعد هذه الجلسة، لعلّهُ يشعرُ كم أكنُّ له من مشاعر الحبّ. **حتى عندما يتصرّف تماماً كأحمق.**

أعدتُ الكرسيّ إلى الطّاولة، ومشيتُ باتجاه غرفة النّوم. كان يزرعُ الحجرة ذهاباً وإياباً. حين أغلقتُ البابَ، نظر إلى الأعلى، وتوقّفَ عن المشي. كان يحاولُ جاهداً في تلك اللّحظةِ وضعَ مفرداتِه ضمن سياقٍ معيّن؛ كلّ ما يريدُ قوله لي. ورغم غضبي منه لأنه رمى الأكل جانباً، وتفهّمي لحالته، لكنّني شعرتُ بالضيق لأنه كان غاضباً.

- «صارت عندكِ بمثابة العادة، يا فيريتي»، قال. «تتحدثين عنها باستمرار. لكنّك لا تذكرين هاربر بحرفٍ واحد. لا تقولينَ شيئاً لي عمّا تعلّمتْه هاربر في الحضانة، خلال دروس التدريب، ولا تذكرين لي شيئاً عن أشياء حلوة قد تقولها. تشاستين فقط هي الحاضرة طوال الوقت، وكلّ يوم».

اللعنة. رغم جميع محاولاتي إخفاء الأمر، لكنّه استطاع اكتشافَ مشاعري.
«هذا ليس صحيحاً»، قلتُ.

- «بل هذا صحيح. حاولتُ أن أظلّ ساكتاً وأقفلَ فمي، لكنهما تكبران. وسوف تكتشف هاربر بعد حين أنكِ تعاملينها بشكلٍ مختلف. وهذا ظلمٌ كبير لها».

لم أكن متأكّدة كيف أخرج من هذا المأزق. كان باستطاعتي اللجوء إلى الدفاع، واتهامه بأمورٍ لم أكنْ أحبُّها. ولكن أعرف أنه على حقّ، وكان ينبغي أن أجدَ طريقة تجعله يشعر أنّه لم يكن على صواب. لحسن الحظّ أنه أشاح بوجهه عني، ما أعطاني وقتاً إضافياً للتفكير. نظرتُ إلى الأعلى كأنمّا أتوسّلُ إلى الربّ كي يسعفني بمشورةٍ ما. **يا لكِ من امرأةٍ حمقاء، لن يساعدك الربُّ في الخروج من مشكلة كهذه.**

خطوتُ إلى الأمام بحذرٍ بالغ. «حبيبي. هذا لا يعني أنّني أحبّ تشاستين أكثر منها. كلّ ما في الأمر هو أنّها... أذكى من هاربر. ولهذا تحرزُ تقدّماً قبل غيرها».

استدارَ باتجاهي أكثر غضباً منه قبل أن أفتحَ فمي. «ليست تشاستين أذكى من هاربر. كلّ ما في الأمر أنّهما مختلفتان. هاربر ذكيةٌ جدّاً».

– «أعرفُ ذلك»، قلتُ، قبل أن آخذَ خطوةً إضافيةً باتجاهه. أبقيتُ صوتي منخفضاً. عذباً. مسالماً. «ليس هذا ما كنتُ أعنيه. عنيتُ... من السّهل أكثر عليّ التفاعل مع ما تحرزهُ تشاستين من تقدّم لأنّ تشاستين تحبّ ذلك. إنها مثلي، أكثر حيويةً. هاربر ليست كذلك. أنا أُظهِرُ لها استحساناً صامتاً فحسب. ولا أبالغُ في ردّة فعلي. هي تشبهكَ كثيراً، من هذا المنظور».

لم تتزحزحْ نظرتَه عنّي قيدَ أنملة، لكنّني كنتُ أعلمُ أنه بدأ يستوعبُ وجهةَ نظري، فقررتُ الاستمرار.

– «لا أضغطُ على هاربر حين يكون مزاجُها سيئاً، وبالتالي، نعم، أنا أتحدّثُ عن تشاستين أكثر. أحياناً أركّز عليها أكثر. وهذا مردّهُ أنّهما طفلتان مختلفتان، ولكلّ منهما حاجياتها المختلفة. ينبغي أن أكون أمّاً مختلفة في كلّ مرّة أتعاملُ مع كلٍّ منهما على حدة».

كنتُ ماهرةً في صياغة هراءٍ كهذا، ولهذا السبب اخترتُ أن أصبحَ كاتبةً.

بدأ غضبُ جيرمي يتلاشى بالتّدريج. لم يكن فكّاه متوتّرين حين راح يمرّرُ أصابعه فوق خصلاتِ شعره، بعد أن استوعب بعضاً مما قلتهُ له. «أنا قلقٌ على هاربر». قال. «قلق أكثر مما يجب، أنا متأكّد. لكنني أعتقدُ أنّ التعامل معهما بشكلٍ مختلفٍ ليس بالشّيء الصحيح للمضي قدماً إلى الأمام. قد تلحظُ هاربر هذا الاختلاف في أية لحظة».

منذ حوالي الشهر، عبّرتْ لي إحدى عاملات دار الحضانة عن قلقها تجاه هاربر. كنتُ قد نسيتُ الموضوع حتى أتتْ تلك اللّحظة –حين عبّر جيرمي عن قلقه تجاهها– فتذكّرتُ كلامَها. قالت إنه يجب أن نُجري لها فحصاً يتعلّق بمرض التوحّد. كنتُ قد نسيتُ الموضوع بكلّيته إلى أن جاءت لحظةُ الشجار مع جيرمي. أشكرُ الله على أنّني تذكّرتُ الآن لأنّها الطريقة المثلى لتعزيز دفاعي عن نفسي.

– «لم أكن أريدُ أن أذكر هذا لأنني لا أريدكَ أن تقلق». قلتُ له. «ولكن قالت لي إحدى المعلّمات في دار الحضانة إنه ينبغي أن نُجري فحص التوحّد لهاربر».

ازداد قلقُ جيرمي في تلك اللّحظة عشرات المرّات. حاولتُ أن أخفّفَ من وطأةِ قلقهِ قدرَ المستطاع.

– «لقد اتصلتُ باختصاصي». على الأقلّ أُجري المكالمةَ غداً. «قالوا سيتّصلون بنا حين يتوفّر لديهم الشاغر».

أخرجَ جيرمي جوّاله من جيبه بعدما تفاقم خوفه من نتائج التشخيص المحتملة. «يظنّون أنّ هاربر في طريقها إلى طيفٍ جديدٍ من مرضٍ التوحّد؟».

أخذتُ هاتفَه من يده.

– «لا تفعل. لا تبحث عن معلومات على الشبكة. سوف تظلّ قلقاً حتى يوم الموعد. دعنا نطلبُ مشورة اختصاصي أوّلاً لأنّ الإنترنت ليست المكان المناسب الذي ينبغي أن نبحثَ فيه عن أجوبة تتعلّقُ بابنتنا».

هزّ رأسه ثم شدّني باتجاهه وتعانقنا. «أنا آسف»، همسَ قائلاً من خلف رأسي. «مررتُ بأسبوعٍ رديءٍ جدّاً. خسرتُ زبوناً كبيراً في العمل هذا اليوم».

– «ليس عليكَ أنْ تعملَ يا جيرمي. أجني ما يكفي من المال لكي تبقى في المنزل مع البنتين إذا كان هذا أسهلَ عليك».

– «قد أفقدُ صوابي إذا لم أعملْ».

– «قد يكون الأمرُ كذلك، لكن نفقاتنا سوف تزدادُ حتماً إذا وضعنا ثلاثة أطفالٍ في دار الحضانة».

– «يمكننا أن نقوم....» ثمّ أحجمَ للحظةٍ عن الكلام. «هل قلتِ... ثلاثة؟».

هززتُ رأسي بالإيجاب. كنتُ أكذبُ، بالطّبع، لكنني كنتُ أريدُ لمزاج تلك اللّيلة أن يتبدّل. أردته أن يكون سعيداً. وقد غمرته السعادةُ بعد أن قلتُ له إنني حبلى.

– «هل أنتِ متأكّدة؟ ظننتُ أنّكِ لا تريدين المزيد».

– «أخطأتُ في أخذ حبوب منع الحمل بالترتيب، منذ عدّة أسابيع. مازال الوقتُ مبكّراً. مبكّراً حقّاً. عرفتُ فقط هذا الصباح». قلتُ مبتسمةً.

ثم رسمتُ ابتسامةً عريضةً.

– «هل أنتِ سعيدة بذلك؟».

– «بالطبع سعيدة. وأنتَ، ألستَ سعيداً؟».

ضحكَ قليلاً، ثمّ قبّلني. وسرعان ما عادتِ المياهُ إلى مجاريها بيننا. شكراً لله.

أمسكتُ قميصَه بأصابعي، وقبّلتهُ بكلّ ما أوتيتُ من قوّة، أملاً في أن يمحو من ذاكرته الشجارَ الذي حصلَ بيننا. كان بوسعه أن يدركَ من طريقة تقبيلي له أنني كنتُ أريدُ أكثر من مجرّد القُبلات. خلعَ لي قميصي، وخلعَ قميصَه. وراح يقبّلني متراجعاً إلى الخلف باتجاه السرير. حين خلعَ لي بنطلوني، رأى ملابسي الداخلية التي لبستُها من أجله.

– «ترتدين الحرير الشفّاف؟» سأل. أراحَ رأسَه على عنقي. «وتحضّرين لي وجبتي المفضّلة؟» قال بخيبةِ أمل. لم أستوعبْ لماذا خيبة الأمل، حتى قام بالتراجع، وإزاحة خصلة شعرٍ عن وجهي، قائلاً: «أنا آسف يا فيريتي. كنتِ تحاولين أن تجعلي من هذه اللّيلة حدثاً خاصاً لكنّني أفسدتُها لكِ».

إن الذي لا يفهمه جيرمي هو أنه لا يمكنُ أن يفسدَ عليّ ليلتي إذا انتهتْ دوماً بين أحضانه. وأن أكون أنا مركزَ اهتمامه الأوّل.

أهزّ رأسي بالنفي. «لم تفسدْها عليّ».

– «بل هذا ما فعلتُه. رميتُ آنيةَ الطّعام جانباً. وصرختُ في وجهكِ». ثمّ قرّبَ فمَه من فمي. «سوف أعوّضُ لكِ كلَّ هذا».

وهذا ما فعلَه. ضاجعني ببطءٍ. وأمطرَ جسدي بقبلاتِه، ومصّ حلمتيّ بالتناوب. لو كنتُ مرضعةً تستخدمُ ثدييها، هل كان سيجدُ المتعةَ نفسها؟

أشكُّ في ذلك. حتى بعد ولادةِ التوأمين ظلَّ جسدي مثالياً تقريباً. وباستثناء وشمِ الجراحة فوق بطني، ظلّ جسدي في هيئتِه الأولى، قوياً، فتياً، لم يمسَسْهُ وهنٌ. وظلّ معبدُ جيرمي بين فخذيّ مشدوداً، موّاراً بالشّهوةِ.

حين أوصلني إلى حافّة الرّعشةِ سحَبَ قضيبَه منّي. «أريدُ أن أتذوّقَ جسدكِ»، قال، موغلاً بلسانِه إلى الأسفلِ حتى قسمَني نصفين.

بالطبع تريدُ أن تتذوّقَ جسدي. قلتُ في نفسي. حافظتُ عليه فتيّاً من أجلكَ. أهلاً وسهلاً.

ظلّ ماكثاً بلسانِهِ بين فخذيّ حتى جاءتْني الرّعشةُ. مرّتين متتاليتين. حين عادَ ليزحفَ من فوقي، تمهّل قليلاً، وقبّلَ معدتي. ثم غرزَ قضيبَه فيَّ من جديد، وألصقَ فمَه على فمي. «أحبّكِ»، قال هامساً بين القبلة والقبلة. «شكراً».

كان يشكرني لأنني أصبحتُ حاملاً بمولود آخر.

مارسَ الجنسَ معي بكلّ حذرٍ وحيطة. بكلّ حنانٍ وشغف. لم أندم قطّ على التظاهر بالحمل بعد أن أغرقني بكلّ ذاك الحبّ. كنتُ أريدُ لعلاقتنا أن تعودَ إلى سابق عهدها.

إذا كان ثمة من أمرٍ جيدٍ واحدٍ جلبته الطفلتان إلى حياتنا، هو أنّ جيرمي بات يحبّني أكثر وأنا حامل. الآن، وبعد أن اعتقدَ أنني سأنجبُ له المولود الثالث، أشعرُ أن حبّه لي بدأ يتضاعفُ أكثر فأكثر.

ثمة جزءٌ مني ظلّ قلقاً بسبب ادعائي الحمل، لكن كانت لديّ خيارات أخرى في حال لم أصبح حاملاً بعد تلك اللّيلة. إذ من السّهل ادّعاء حالات الإجهاض بالسهولة ذاتها التي ندّعي فيها حالات الحمل.

-16-

مرّ أسبوعٌ آخر من القراءة في مذكّرات فيريتي، ووصلتُ تقريباً إلى حافّة الضجر. بدأتُ ألحظُ وقوعها في التكرار. فصلٌ بعد آخر من التفاصيل الحميمة عن علاقتها الجنسية بجيرمي. والنزر اليسير عن طفلتيها. كتبتْ مقطعين اثنين عن ولادة كرو، ثم أسهبت في الحديث عن المرّة الأولى التي ضاجعتْ فيها جيرمي بعد ولادة ابنها.

وصلتُ إلى نقطة بدأتُ أشعرُ فيها بالغيرة. لا أحبّ القراءة عن حياة جيرمي الجنسية. تصفحّتُ فصلاً هذا الصباح، لكنني سرعان ما رميتُ المخطوطة جانباً وانصرفتُ إلى العمل. أنهيتُ الخطوط العريضة الأولى للكتّاب الأول هذا اليوم وأرسلتها إلى كوري طلباً للنصيحة. قال سيقومُ بإرسالها إلى المحرّر في دار النشر لأنه لم يقرأ بعد أياً من كتب فيريتي، ولا يعلمُ ما إذا كانت نقاطي الرئيسية منسجمة مع أسلوبها. قررتُ بأن لا أبدأ العمل على النقاط الرئيسية للكتاب الثاني حتى يصلني جوابٌ منهم. إذا طلبوا مني إجراء بعض التعديلات سأكونُ قد ضيّعتُ وقتي هباءً.

مرّ على وجودي هنا أسبوعان كاملان. يقولُ كوري إنّهم أرسلوا لي السلفة المالية، ومن المتوقّع أن تصل إلى حسابي المصرفي في أيّ وقت. وفي اللحظة التي يصلني فيها ردُّ دار بانتيم على تصوراتي الأولية، سيكون قد حان الوقتُ بالنسبة لي للانتقال. لقد فعلتُ كلّ ما بمقدوري فعله في مكتب فيريتي. لو كنتُ أملك مكاناً آخر للذهاب إليه، والسلفة المالية بحوزتي، لما مكثتُ هنا دقيقة واحدة، ولكنتُ غادرتُ توّاً.

اصطدمتُ بحائطٍ هذا اليوم. لقد نال التعبُ من جسدي بعد أسبوعين من

العمل الشاقّ. بمقدوري أن أقرأ المزيد من مذكرات فيريتي، لكنّني لا أتشوّقُ أبداً لقراءة تفاصيل عن أساليب فيريتي في مصّ قضيبِ زوجِها.

أشتاقُ إلى مشاهدة التلفزيون. لم أخطُ خطوةً واحدة إلى غرفة جلوسهم منذ أن وصلتُ إلى هنا قبل أسبوعين. أستحقُّ شيئاً من الكسل اليوم فغداً يوم ميلادي وليست لديّ نيّة بإخبار جيرمي.

ما زلتُ أحاول استراق النظر إلى الدَّرَج العلوي الذي يقع في مرمى بصري، لكنّني لا أجدُ أثراً لجيرمي. لم أره كثيراً خلال الأيام القليلة الماضية. أظنّه يعرف بأننا اقتربنا من تبادل القُبلات في تلك اللّيلة، ولو أنّ هذا حدث بالفعل، لكنّا في موقف حرجٍ الآن، ولهذا يحاول كلّ منّا تجنّبَ رؤية الآخر.

أديرُ جهاز التلفاز على إحدى المحطّات وأسترخي على الكنبة. كنت قد شاهدتُ ما يقرب الرّبع ساعة من برنامجٍ منزليّ حين سمعتُ خطوات جيرمي تنزلُ الدَّرَج. حين رمقني جالسةً في غرفة الضيوف تمهّل في خطوته، ثم ما لبث أن تابع سيره متجهاً نحوي. جلس قربي، ولكن في منتصف الكنبة، وعلى بعدٍ يسمح له بأن يشاركني حبات الذرة المحمّصة، لكن على مسافة تحول دون تبادل اللمسات فيما بيننا.

- «برنامج بحثيّ؟» يقولُ، واضعاً قدميه على طاولةِ البنّ أمامَه.

أضحكُ. «بالطبع. أنا دائماً أعمل».

يأخذُ حفنةً أكبر من حبّات الذرة، ويضعُ بعضاً منها في يده. «كانت فيريتي تدمنُ مشاهدة التلفاز حين تجد نفسها عاجزة عن الكتابة. كانت تقول إنّ هذا يولّدُ أفكاراً جديدة في رأسها».

لا أريدُ أن أتحدّث عن فيريتي ولهذا أغيّرُ دفّةَ الموضوع. «انتهيتُ من كتابة الخطوط العريضة هذا اليوم. إذا حصلتُ على الموافقة غداً، فإنني سأغادرُ على الأرجح في غضون أيام».

يتوقّف جيرمي عن المضغ وينظرُ إليّ «نعم؟».

أحببتُ شعورَه بعدم الارتياح لدى سماعه ما قلتهُ عن مغادرتي المحتملة. «أجل. وشكراً لأنّك أتحتَ لي فرصة المكوثَ أطول مما كان ينبغي».

يحدّق بي بنظراتٍ ثابتة. «أطول مما كان ينبغي؟» عادَ إلى المضغ ثانيةً ومشاهدةِ التلفاز. «لا أظنّه وقتاً طويلاً كافياً».

لا أعلمُ ماذا يعني بقوله هذا. هل يعني أنني لم أقمْ بعملٍ كافٍ هنا، أم إنه يعبر عن أنانيةٍ من نوع ما كأنه يقول إنه لم يرني مدّةً كافيةً خلال هذه الفترة.

في بعض الأحيان، وخاصة الآن، أشعرُ كم هو منجذبٌ إليّ، ولكن في أحايين أخرى أراه يعملُ جاهداً لإنكار كلّ انجذابٍ ينشأ بيننا. وأنا أفهم ذلك. أفهمُهُ حقاً. ولكن أهذه هي الطريقة التي سيقضي فيها بقية عمره؟ يتخلّى عن جزءٍ كبيرٍ من نفسه من أجل العناية بامرأة ليست سوى صدًى للمرأة التي تزوّجها؟

أعلمُ أنّ ثمة أعرافاً بين البشر، وأعلمُ أنّ جيرمي حلَفَ الأيمانَ وقدّمَ الوعودَ، ولكن بأيّ ثمن؟ يتزوّج الناسُ أملاً بأن يعيشوا معاً فترةً طويلةً وهم سعداء. ولكن ماذا يحدُثُ إذا أصاب أحدَ الشريكين مكروهٌ مفاجئ، هل نتوقّع من الشريك الآخر أن يمضي بقية حياتِهِ ملتزماً بتلكَ الأعراف؟

هذا ليس عدلاً. أعلمُ أنني لو كنتُ متزوّجةً، ومررتُ بمحنة جيرمي، فإنني قطعاً لا أريدُ لزوجي أن يشعرَ بأنّ قدَره هو أن يظلّ كما هو، ولا يحقّ له البحث عن بدائل أخرى. لكنني لا أظنّ أنني سأصبحُ يوماً مهووسةً برجلٍ مثلما كانت فيريتي مهووسةً بجيرمي.

مشهدٌ ينتهي، وآخر يبدأُ. لا أحدَ منّا يتحدّث لأكثر من دقائق معدودة. هذا لا يعني أنني لا أملكُ شيئاً أقوله؛ لديّ الكثير مما أقوله.

– «لا أعرفُ الكثير عنكِ»، يقول جيرمي مائلاً برأسه إلى الخلف، وناظراً إليّ بطريقة تلقائية. «هل سبق وكنتِ متزوجة؟».

– «كلّا». أقولُ. «كنتُ على وشك الزواج في أكثر من مرّة. لكنني فشلتُ فيها جميعاً».

– «كم عمركِ؟».

بالطبع سوف يوجّه لي سؤالاً من هذا النّوع لأنني سأكبرُ عاماً بعد ساعات. «لن تصدّقني أبداً إذا قلتُ لكَ».

يضحك جيرمي. «ولماذا لا أصدّقكِ؟».

– «لأنني سأبلغُ الثانية والثلاثين غداً».

– «كذّابة».

– «أنا لا أكذبُ. إذا أردتَ أريكَ شهادة السياقة».

– «جيّد، لأنّني لا أصدّقكِ».

أحرّكُ عينيّ إلى الأعلى، وأتوجّهُ إلى غرفة النّوم الرئيسية لأجلبَ حقيبةَ يدي. أحضر شهادة السياقة وأناوله إياها.

يحدّقُ بها ويهزُّ رأسَه. «يا له من تاريخِ ميلادٍ عجيب»، يقول. «تتواجدين مع أناسٍ بالكاد تعرفين عنهم شيئاً. وتعملين طوال النّهار».

أحرّك كتفيّ. «لو لم أكنْ هنا، سأكون في شقتي أجلسُ وحيدةً».

يعودُ للتحديق وقتاً أطول في بطاقة السياقة. حين يمرّرُ إصبعَه فوق صورتي، تنتابني رعشات حقيقة. هو لم يقم حتى بلمسي –بل لمسَ البطاقة اللعينة– وهذا كان كافياً لتأجيج الرّغبة في أوصالي.

يا لي من شخصٍ مثيرٍ للشفقة.

يعيدُ لي البطاقة وينهض عن الكنبة.

– «إلى أين أنتَ ذاهب؟».

– «كي أحضّر لكِ كعكةً»، يقولُ خارجاً من غرفة الجلوس.

أبتسمُ وأتبعُهُ إلى المطبخ. كيف لي أن أفوّت هذه الفرصة؛ جيرمي كروفورد يقوم بتحضيرِ كعكة لي.

***

أجلسُ على كرسيٍ صغيرٍ وسط المطبخ، أراقبهُ وهو يضعُ المنكّهات فوق الكعكة. منذ أن وصلتُ إلى هنا، كانت هذه هي المرة الثانية فقط التي أشعرُ فيها ببعض التسلية. لم نتحدّث عن فيريتي أو عن مآسينا أو عن العقد خلال السّاعة الماضية. وبينما كانت الكعكة تنضج في الفرن، جلستُ على حافّة المغسلة، ساقاي تتدلّيان نحو الأسفل. جيرمي وقف قبالتي، مستنداً إلى الطّاولة، واستفضنا في الحديث عن الأفلام والموسيقا، وعن أشياء نحبّ ولا نحبّ.

وبدأنا في الحقيقة نعرفُ الكثيرَ عن بعضنا بعضاً خارج شبكة العلاقات التي جمعتنا في الأصل. نعم، كان قد شعرَ بالارتياح خلال تواجدنا معاً على العشاء حين خرجنا برفقة كرو في تلك اللّيلة، لكنني لم أره قطّ بهذه التلقائية والأريحية تحت سقف هذا المنزل مثلما أراه الآن.

أستطيعُ الآن أن أفهم تقريباً -تقريباً- إدمان فيريتي على هذا الرجل.

- «عودي إلى غرفة الجلوس»، يقول فيما كان يسحب بعض الشموع من درج الخزانة.

- «لماذا؟».

- «لأنني أريدُ ان أدخلَ حاملاً الكعكة وأنا أقول لكِ عيد ميلاد سعيد، وأمنحكِ الانطباع كلّه».

أحرّك مقلتيّ إلى الأعلى، وأقفز عن حافّة المغسلة، وأعودُ إلى الأريكة في غرفة الضيوف. أُخفضُ صوت التلفاز لأنني أريدُ أن أسمعه يغنّي لي أغنيةَ ميلادي من دون أن يقاطعَه صوتٌ آخر. أستمرُّ في الضّغط على زرّ المعلومات لمعرفة الوقت. يبدو أنّ جيرمي يصرّ على أن تدقّ الساعة الثانية عشرة منتصف اللّيل لكي تكون المناسبة رسميةً.

حين تدقّ الساعة معلنةً منتصف اللّيل أرى أضواء الشّموع المرتجفة تنعكسُ على زاوية الحائط. أضحكُ حين يحاول أن يغني بصوتٍ خفيضٍ كي لا يوقظ كرو.

- «عيد ميلاد سعيد»، يهمسُ قائلاً. يقطعُ جزءاً من الكعكة ويزرعُ شمعةً واحدةً في الأعلى. «عيد ميلاد سعيد».

ظللتُ أضحكُ وهو يقتربُ من الأريكة، وينحني ببطءٍ على ركبتيه خشية أن تنطفئ الشمعة أو تقع الكعكة من يده، ويجلسُ أخيراً بالقرب منّي.

- «عيد ميلاد سعيد، عزيزتي لوين. عيدكِ سعيد».

نجلسُ على الأريكة، قبالةَ بعضنا، من أجل أن أتمنّى أمنيةً، وأطفئَ الشمعة، لكنّني لا أعرفُ بالضبط ما هي الأمنية. أنا محظوظة جدّاً لأنني عثرتُ على عملٍ عظيمٍ. أنا على وشك الحصول على مبلغٍ كبيرٍ من المال لم

أعهده في حسابي المصرفي دفعةً واحدةً من قبل. الشّيء الوحيدُ في حياتي الذي أتمنّاه الآن ولا أملكه هو جيرمي. أنظرُ مليّاً في عينيه ثم أطفئُ الشّمعةَ.

– «ماذا كانت أمنيتكِ؟».

– «إذا قلتُ لك فإنّها لن تتحقّق».

الطريقة التي يبتسمُ فيها لي تبدو مليئةً بالغزل. «ربما تخبرينني بها بعد أن تتحقّق».

لا يناولني الكعكة. يتفنّنُ بها، ويقطعُها بالشّوكة. «هل تعرفين السرّ وراء تحضير كعكة بهذه الطراوة؟».

يناولني الشّوكة فآخذها من يده. «ما السرّ؟».

– «الحلوى».

أتذوّقُ نثرةً من الكعكة وأبتسم. «إنّها لذيذة حقاً»، أقولُ والحلوى في فمي.

– «**الحلوى**»، يقولُ ثانيةً.

أضحكُ.

يرفعُ الصحنَ، فآخذُ قطعةً أخرى، وأعطيه الشوكةَ. يهزّ رأسَه. «أكلتُ قطعةً في المطبخ».

لا أعلمُ لماذا، لكنّني كنتُ أتمنّى أن أرى ذلك. كنتُ أتمنّى أيضاً أن أعرف إذا كان الطعم يشبه نكهةَ الشوكولا.

يرفعُ جيرمي يده. «توجدُ بقايا فوق...» ثم يشيرُ إلى فمي. أمسحُها بيدي، لكنّه يهزّ رأسه. «إنّها هنا». يضعُ إصبعَه فوق شفتي السفلى.

أبلعُ ريقي.

اصبعُه لا تغادرُ شفتي. تظلُّ ماكثةً هناك.

اللّعنة! لا أستطيعُ أن أتنفّسَ.

جسدي يوجعني في كلّ زاوية منه لأنّ جيرمي يقترب منّي أكثر، ولا أعلم ماذا ينبغي أن أفعل الآن. أريدُ أن أرمي الشّوكةَ جانباً، وأريده أن يضع صحنَ الكعكة جانباً، وأريده أن يقبّلني. لكنني لستُ الطرفَ المتزوّج هنا. لا أريدُ أن أبادرَ بالحركة الأولى، ولا ينبغي أن يبادرَ هو بالحركة الأولى، لكنني أتضوّر شوقاً إليه.

لا يضعُ الكعكة جانباً. عوضاً عن ذلك، ينحني فوقي، ويضعها في أقصى زاويةٍ على الطّاولة. وبالحركة الرشيقة ذاتها يضع يده على رأسي ويضغطُ بشفتيه على شفتيّ. ورغم كلّ الانتظار الذي عشتُهُ، والتوقّع الذي جهّزتُ نفسي له، ظلّت خطوته هذه مفاجئةً تماماً بالنسبة لي.

أغمضُ عينيّ. تسقطُ الشوكةُ من يدي على الأرض. جذعي يرجعُ إلى الخلف، مستنداً إلى ذراع الأريكة. يتبعُني جيرمي بجسده، وينامُ فوقي، وتظلّ شفتاهُ ملتصقتين بشفتيّ. أباعدُ بين شفتيّ، فيُدخِلُ لسانَه إلى فمي. البطءُ في القبلةِ لا يستمرُّ طويلاً. ما إن يتذوّقُ أحدُنا الآخر حتى يُجنّ جنونُ القبلةِ. قبلةٌ كالتي كنتُ أتخيّلُها معه. إشعاعٌ، ومتفجّراتٌ، وديناميتٌ. كلُّ شيءٍ، وأيُّ شيءٍ، يسبّبُ الخطر.

كان لكلّ منّا طعم الشوكولا ونحن نتبادلُ القُبَل، كرّاً وفرّاً، دفعاً وسحْباً. يده تشتبكُ مع شعري، ومع كلّ ثانيةٍ تطولُ فيها القبلةُ نصبح متوحّدين أكثر بالأريكة، هو فوقي ينامُ بكلّ ثقله، وأنا تحته أذوبُ بين الوسائد.

شفتاهُ تتركُ شفتيّ بحثاً عن جزءٍ آخر في جسدي يبدو متشوّقاً لتذوّقه، ذقني، عنقي، حلمتيّ. بدا وكأنّه يتضوّرُ توقاً إليّ. يقبّلني ويلمسني بجوعِ رجلٍ أمضى كلَّ حياتِهِ صائماً.

يدهُ تزحفُ تحت قميصي، وأصابعُه الدافئة تدغدغُ جسدي كقطرات ماءٍ ساخنة.

يعودُ ثانيةً إلى شفتيّ ولكن فقط لبعض الوقت. يظلّ لسانه داخل فمي للحظات قبل أن يتراجعَ إلى الخلف، ويخلعَ قميصه. يداي تذهبان إلى صدره كأنّهما تألفانه، وتضغطان على انحناءات بطنه. أريدُ أن أقول له هذا تمنّيته حين اطفأتُ الشمعة، لكنني خشيتُ أن يتشتّتَ ذهنه، ويلهيه أيُّ حديثٍ جانبيّ عمّا يفعله، وربّما يستدركُ ويقولُ لا يجب أن نفعلَ ما نفعلُه، ما جعلني أبقى ساكتةً.

أزيحُ ظهري إلى الوراء، وأسندُ رأسي إلى ذراع الأريكة، وكلّي رغبةٌ بأن يستكشف مناطق أخرى في جسدي.

وهذا ما يفعله. ينزعُ قميصي عنّي ويكتشفُ أنّني لا أرتدي حمالة النهدين

تحت بيجاما النّوم. يئنّ لذّةً فأشعرُ بالمتعة، ثم يأخذُ حلمتي بين شفتيه، ويجبرُني على شهقةٍ تهربُ من بين شفتيّ.

أرفعُ رأسي كي أشاهدَ ما يفعل، لكن الدم سرعان ما يبردُ في عروقي حين ألمحُ هيئةَ امرأةٍ تقفُ أعلى الدرَج. إنها تكتفي بالوقوف ومشاهدة فمِ زوجها يتنقّلُ حرّاً على سجيّته بين نهديّ.

جسدي يتخشّبُ وأنا ممدّدة تحت جسدِ جيرمي.

قبضتا فيريتي مضمومتان على جانبيها قبل أن تهرعَ عائدةً إلى غرفة نومها.

أحبسُ أنفاسي وأنا أدفعُ جيرمي بعيداً عنّي. «فيريتي»، أقولُ، لاهثةً. يتوقّفُ عن تقبيلي، ثمّ يرفعُ رأسه، لكنه لا يتحرّك. «فيريتي»، أقولُ ثانيةً. أريده أن يفهم أنّ عليه النهوض في الحال، وتركي وشأني.

ينهضُ مصعوقاً مستنداً إلى ذراعيه.

– «فيريتي!» أردّدُ من جديد ولكن بنبرةٍ أكثر يأساً. هذا كلُّ ما يمكنني قوله. الخوفُ يستحوذُ عليّ وأجدُ صعوبةً في الشّهيق والزّفير.

يا للعنة!

جيرمي يحبو على ركبتيه الآن ممسكاً بإطار الأريكة الخشبي محاولاً النهوض. «أنا آسف».

أضمّ ركبتيّ إلى بعضهما، وأنزوي بعيداً عنه إلى أقصى الأريكة. أغطّي فمي بيديّ. «آهٍ، إلهي». تنزلقُ الكلمات من بين أصابعي.

يحاولُ أن يلمس كتفي مهدّئاً، لكنّني أجفلُ عنه أكثر.

– «أنا آسف»، يقولُ ثانيةً. «ما كان ينبغي أن أقبّلكِ».

أهزّ رأسي يمنةً ويسرةً لأنه لم يفهمْ بعد. ما زال يظنّ أنّني منزعجة، وأشعر بالذّنب لأنه متزوّج، وما كان علينا أن نفعل هذا، لكنّني رأيتُها واقفةً. كانت تقفُ هناك. أشيرُ بإصبعي إلى أعلى الدرج. «لقد رأيتُها»، أهمسُ بصوتٍ خفيضٍ لأنّني أخافُ أن أتكلّمَ بصوتٍ عالٍ. «كانتْ تقفُ في أعلى الدرج».

أستطيع رؤية الحيرة على وجهه وهو يلتفتُ وينظرُ باتجاه الدرج. ثمّ يعودُ وينظرُ إليّ. «لكنّها لا تستطيعُ أن تمشي، يا لوين».

أنا لستُ مجنونةً. أنهضُ، وأقفُ بعيداً، أغطّي صدري العاري بكلتا يديّ.

أشيرُ ثانيةً إلى الدَّرَج بعد أن وجدتُ صوتي هذه المرّة. «زوجتُك اللعينةُ كانت تقفُ في أعلى ذاك الدَّرج اللّعين، يا جيرمي! وأنا أعرفُ ما رأيت!».

يلمحُ في عينيّ إصرارَ الحقيقة. تمضي ثانيتان اثنتان قبل أن ينهضَ عن الأريكة، ويندفعَ راكضاً صوبَ الدَّرج الصّاعدَ، باتجاه غرفة نومِها.

لن أسمحَ له بأن يتركني وحيدةً هنا.

ألتقطُ قميصي، وأضعُه على رأسي محاولةً ارتداءَه، وأركضُ خلفه. أرفضُ أن أبقى وحيدةً في هذا المنزل ولو لثانيةٍ أخرى.

حين أصلُ إلى أعلى الدرج، أراه يقفُ في الرّدهة خلف الباب، ويحدّقُ باتجاهها. يسمعُ خطواتي تقتربُ. لا يفعلُ شيئاً سوى أن... يغادرَ. يمرُّ قربي ولا ينظرُ إليّ، ويهرعُ نازلاً الدرج نفسه إلى غرفة الجلوس.

آخذُ بضع خطواتٍ إلى الأمام تسمحُ لي باستراق النظر إلى غرفتها. أحدّقُ باتجاهها لمدّة ثانية فقط. هذا الوقتُ كان كافياً لأن أراها في سريرها، تحت الشّرشف، تغطّ في النّوم.

أهزّ رأسي، وأشعرُ أنّ ركبتَي على وشكِ الانهيار. **لا يمكنُ لهذا أن يحدث.** أتدبّرُ المشي بصعوبة باتجاه الدرج. لم أقطعْ سوى نصف المسافة حتّى وجدتُ نفسي أجلسُ على الأرض، غير قادرةٍ على أن أتحرّك. بل بالكاد أستطيعُ أن أتنفّس. وقلبي يخفقُ بسرعة جنونية.

جيرمي يقف أسفل الدرج، ناظراً إلى الأعلى، باتجاهي. ربّما لا يعرفُ كيف يفسّر كلّ ما حدث للتوّ. وأنا بدوري لا أفقهُ أيضاً ما يحدثُ. يمشي جيئةً وذهاباً أمام الردهة، ناظراً إليّ بين الحين والآخر، منتظراً ربّما ضحكةً منّي على هذه النكتة السمجة. **لكنّها لم تكن نكتةً.**

- «لقد رأيتُها»، أقولُ همساً.

يسمعني فينظرُ إليّ نظرةً يشوبُها الاعتذارُ وليس الغضب. يصعدُ الدرجَ ويساعدني على النهوض، مبقياً ذراعَه حول خصري. معاً نمشي باتجاه غرفة النّوم. يوصدُ البابَ ويحضنني. أدفنُ رأسي تحت عنقه، وأجهدُ لمحو صورتها من ذاكرتي. «أنا آسفة»، أقولُ له. «أنا فقط... ربّما لم أنمْ جيّداً... ربّما أنا...».

- «إنّها غلطتي»، يقاطعُني جيرمي. «مضى أسبوعان وأنت تعملين بلا انقطاع ومن دون استراحة. أنتِ مرهَقة. ثم أنا -نحن- وتلك الهلوسة. والشعور بالذّنب. لا أعرف». ينسحبُ إلى الوراء ممسكاً وجهي بكلتا يديه. «أعتقدُ أنّ كلانا يحتاج إلى اثنتي عشرة ساعة على الأقلّ من النّوم العميق».

أنا مقتنعة بما رأيت. يمكن أن نلومَ الإرهاقَ أو الشعور بالذّنب. لكنني رأيتُها. رأيتُ كلَّ شيءٍ. قبضتا يديها مضمومتان، مسبلتان على جانبي جسدها. غضبٌ يرتسمُ على محياها قبل أن تهرع عائدةً إلى غرفتها.

- «هل تريدين بعض الماء؟».

أهزّ رأسي بالنفي. لا أريدهُ أن يغادر. لا أريدُ أن أكون وحيدة. «أرجوكَ لا تتركني وحيدة في هذه اللّيلة»، أتوسّلُ إليه.

تعبيرات وجهه لا تعكسُ أبداً ما يجول في فكره. يومئُ قليلاً برأسه ثمّ يقول، «لن أفعل. لن أتركك وحيدة. فقط أريدُ أن أطفئ التلفاز، وأقفلَ الأبواب. وأعيدُ الكعكة إلى الثلاجة». يتّجه إلى الباب. «سوف أعودُ في غضون دقائق قليلة».

أذهبُ إلى غرفة الحمّام وأغسل وجهي على أمل أن يخفّف الماءُ الباردُ من قلقي. ولكن عبثاً أفعلُ ذلك. حين عدتُ إلى غرفة النوم رأيتُ جيرمي يضعُ القفلَ في الأعلى. «لا أستطيعُ المكوث طوال الليل. لا أريدُ أن يفزعَ كرو إذا استيقظَ ولم يجدْني».

أصعدُ إلى السرير وأواجهُ النّافذة. يصعدُ جيرمي وينامُ خلفي واضعاً ذراعيه حولي. أستطيعُ أن أسمعَ خفقانَ قلبِهِ الذي لا يقلّ سرعةً عن خفقانِ قلبي. يشاطرني الوسادة نفسها، وحين يجد يدي، يشبكُ أصابعه بأصابعي.

أحاول أن أقلّد إيقاع زفيره وشهيقه لعلّ أنفاسي تهدأُ قليلاً. إنّي أتنفّسُ من أنفي لأنّ فكّي متوترٌ جدّاً ولا يصلحُ لاستنشاق الهواء في هذه اللّحظة. يطبعُ جيرمي قبلةً على رأسي.

- «هدّئي من روعكِ»، يهمسُ. «أنتِ بخير».

أحاول أن أهدأ. وأنجح لا لشيء سوى لأنّنا هنا معاً منذ وقتٍ طويلٍ، ومن الصّعب على العضلات أن تستقبل المزيدَ من التوتّر. «جيرمي»، أهمسُ.

يدغدغ يدي بإصبع إبهامه ليقول لي إنّه يسمعني.

– «هل ثمة من احتمالٍ ولو ضئيلٍ جدّاً،... أن تكونَ فيريتّي تدّعي الإصابة؟».

لا يجبني على الفور. وكأنه يريدُ أن يعطي السؤالَ المزيدَ من التفكير. «كلّا»، يقولُ أخيراً. «رأيتُ الصور الشعاعية».

– «لكن النّاس تتحسّن. والإصابات تشفى».

– «أعرف»، يقولُ. «لكن فيريتي لا يمكن أن تلعبَ هذا الدور. لا أحدَ يلعبُ دوراً كهذا. سيكونُ هذا مستحيلاً».

أغمضُ عينيّ لأنّه يحاول أن يطمئنني بأنّه يعرفها جيّداً، وأنّها لن تقومَ بهذا الدور. لكن إذا كان ثمة من شيءٍ واحد أعرفه ولا يعرفه جيرمي... هو أنه لا يعرفُ فيريتي إطلاقاً.

-17-

أذهبُ إلى السّرير وأنا على قناعة تامّة بأنّني رأيتُ فيريتّي واقفةً أعلى الدرج في الليلة الماضية.

استيقظتُ والشكّ يعتصرُ فؤادي.

أمضيتُ الشّطرَ الأعظم من حياتي لا أثقُ بنفسي وأنا نائمة. الآن بدأتُ لا أثقُ بنفسي وأنا مستيقظة. **هل حقّاً رأيتُها بأمّ عيني؟ أم هي الهلوسة تحت ضغط الإرهاق؟ أهو الشعور بالذنب لأنني كنتُ أنام مع زوجها؟**

أستلقي في الفراش لمدّة أطول هذا الصباح، وليس لديّ رغبة بمغادرة الغرفة. جيرمي غادر سريري في حوالي الرابعة فجراً. سمعته يقفلُ الباب، قبل أن يرسلَ لي رسالة نصّية بعد دقيقة فقط ليخبرني أن أكتب له في أية لحظةٍ حين أشعرُ بالحاجة إليه ثانيةً.

بعد الغداء بوقت قصيرٍ من هذا اليوم طرق جيرمي باب المكتب. حين دلفَ إلى الدّاخل، بدا وكأنّه لم ينمْ طوال الليلة الماضية. لم ينمْ جيّداً طوال هذا الأسبوع بسببي أنا. بالنسبة له لستُ سوى حطام امرأة مصابة بالهستيريا تستيقظُ في فراش زوجته في منتصف اللّيل وتزعمُ أنها رأتها تقف أعلى الدرج في اللّحظة التي كان يقبّلني بها بعد طول انتظار.

ظننتُ أنه أتى إلى المكتب لكي يطلبَ مني المغادرة، وأقول بكلّ صدق إنني كنتُ أكثر من جاهزة، لكنّ السلفة المالية لم تكن قد حُوّلت إلى حسابي المصرفي بعد. وأنا عالقة هنا، بشكلٍ أو بآخر، حتى تنفرج ضائقتي المالية.

كان قد أتى إلى المكتب لكي يخبرني أنه اشترى قفلاً آخر. ولكن لغرفة فيريتي هذه المرّة.

- «ظننتُ أنّ هذا قد يساعدكِ في النّوم باطمئنانٍ أكبر. ورغم أنني أعرفُ أنّها لا تستطيعُ مغادرَة غرفتها، لكنه إجراء احتياطي في حال حدث شيءٌ من هذا القبيل، أو كان ذلك ممكناً أصلاً».

كان ذلك ممكناً أصلاً!

- «سأقومُ بوضع القفل فقط خلال اللّيل، حين نكون نائمين»، يستمرّ قائلاً. «قلتُ للممرضة إبريل إن باب فيريتي يُفتَحُ لوحده ليلاً بسبب تيارات الهواء داخل المنزل. لا أريدها أن تفكّر بأيّ سببٍ آخر قطّ».

شكرتُه، لكن حين غادرَ شعرتُ بأنّ هذا لن يجلَب لي الطمأنينة. لأنّ جزءاً منّي راح يظنّ بأنّه ربّما وضع القفل هناك بسبب خوفه هو وليس خوفي أنا. بالطبع كنتُ أريده أن يصدّقني، ولكنه لو فعلَ وصدّقني، فهذا يعني أنّ ما رأيته لم يكن وهماً.

في هذه الحالة من الأفضل أن أكونَ على خطأ من أن أكونَ على صواب.

أمّا الآن فأنا محتارة جدّاً لأنني لا أعرفُ ماذا أفعلُ بمخطوطة فيريتي. أريدُ لجيرمي أن يفهم زوجتَه مثلما أفهمُها الآن. أشعرُ أنّه يستحقّ أن يعرفَ ماذا فعلتْ بابنتيه، وبخاصّة أنّ كرو يقضي وقتاً لا بأس به معها في حجرتها، هناك في الأعلى. بل مازال الشكّ يساورني منذ أن تحدّثَ عن فيريتي وقال إنّها تكلّمه. أعرفُ أنه ما يزالُ في الخامسة، وقد لا يكون على بيّنة مما يقولُ، ولكن إذا كان ثمة من احتمالٍ ضئيلٍ جدّاً بأنّها تلعبُ دوراً ما طوالَ هذا الوقت فإنّ جيرمي يستحقُّ أن يعرفَ.

لكنني لم أستجمعِ الشجاعةَ الكافية بعد لأعطيه المخطوطة، وخاصّةً أنّ احتمال تمثليها لدور المريضة ما زال بعيداً جدّاً. بل إنّ الأكثر تصديقاً للعقلِ الآن هو أنّني كنتُ أرى ما أراهُ بسبب الإرهاق الشّديد، ونقص النّوم، وليس احتمال ادّعاء هذه المرأة الشللَ على مدى أشهرٍ متعاقبة. ومن دون أيّ سببٍ ظاهرٍ.

فضلاً عن أنّني لم أنتهِ بعدُ من قراءتها. ولا أعلمُ كيف ستنتهي. لا أعلمُ ماذا حدث للتوأمين، هاربر وتشاستين، ولا أعلمُ إذا كانت هذه المذكّرات تغطّي أصلاً هذه الأحداث.

لم يتبقَّ لي الكثير من الصفحات. قد أكونُ قادرة على قراءةِ فصلٍ واحدٍ فقط الآن، قبل أن آخذَ استراحةً من رعبِ هذه المخطوطة. أتأكّدُ أنّ البابَ المؤدّي إلى المكتب موصدٌ تماماً، وأقرّر قراءة الفصل التالي، على نحوٍ متقطّع، مع مقتطفاتٍ من فصولٍ أخرى. لا أريدُ أن أقرأ شيئاً حتّى عن قبلةٍ بسيطة، ولا حتّى عن الجنس. لا أريدُ أن أُفسدَ قبلاتنا التي تبادلناها بالقراءة عن قبلاتٍ كان يتبادلُها مع امرأةٍ أخرى.

حين تجاوزتُ مشهداً ساخناً آخر بين الزّوجين، ووصلتُ إلى الفصل الذي شعرتُ بأنه يقدّم شرحاً لظروف موت الطفلة تشاستين، أنهضُ لأتأكّدَ ثانيةً بأنّ البابَ موصدٌ قبل أن أتابع القراءة.

الفصل الثالث عشر

أصبحتُ حاملاً بكرو بعد أسبوعين فقط من الكذبة التي قلتُها لجيرمي حول كوني حاملاً. بدا وكأنّ القدرَ نفسه يقفُ إلى جانبي. شكرتُ الله، وصلّيتُ له، رغم أنني أؤمنُ بأنّ الله لا يدَ له في كلّ هذا.

كرو طفلٌ صالحٌ (هذا ما أفترضُهُ). في تلك الآونة، كنتُ أكسبُ مالاً كثيراً، وكان بمقدوري الاعتماد على مربّية في بيتنا الجديد، تقومُ على راحةِ الطفل بدوامٍ كاملٍ. جيرمي كان يعتني بالبنتين بعد تركه العمل، ولم يكن يرى ضرورةً لوجود المربّية، ما جعلني أسمّي المربّيةَ مدبّرةَ منزلٍ، **لكنّها كانت مربّية.**

وقد ساعد وجودها في جعلِ جيرمي يعملُ في مزرعة البيت كلَّ يوم. كنتُ قد وضعتُ شبابيكَ جديدة لمكتبي تسمحُ بمراقبة كلّ خطوةٍ من خطواته، ومن كلّ الزوايا.

بدت الحياةُ هانئةً لوقتٍ لا بأس به. كنتُ أقومُ بدور الأمّ في الأمور البسيطة فحسب، أمّا الأمور الصعبة فكانت تقوم بها المربية وجيرمي. سافرتُ كثيراً. حضرتُ حفلاتِ توقيعٍ، وأجريتُ العديد من المقابلات الأدبية، لكنني لم أكن أعتقد أنها كانت تستحقّ منّي أن أتركَ جيرمي وحيداً في المنزل. لكنّه كان يحبّ المكوث إلى جانب الأطفال. بدأتُ أشعرُ بنكهة هذه الرحلات القصيرة. وقد لاحظتُ أنني عندما كنتُ أغيبُ لأسبوعٍ أو أكثر، كان اهتمام جيرمي بي يزدادُ مع كلّ عودةٍ لي إلى المنزل. اهتمامٌ ذكّرني بانشغاله بي قبل مجيءِ الأطفال إلى حياتنا.

في بعض الأحيان كنتُ أكذبُ وأقولُ له إنّهم يحتاجونني في نيويورك،

لكنني كنتُ أختفي في فندقٍ صغيرٍ في تشيلسي أشاهدُ التلفاز لمدّة أسبوع. ثم أعودُ بعد ذلك إلى البيت، فينامُ جيرمي معي بشوقٍ كبيرٍ، ويضاجعني كأنّني ما زلتُ امرأته العذراء. كانت الحياةُ بهيّةً، هانئةً.

إلى أن حدَثَ ما حدث، ولم تعدِ الحياةُ بهيّةً البتّةَ.

حدَثَ كلّ شيءٍ في برهةٍ خاطفة. كأنّ الشمس تجمّدتْ وسوّدتْ حياتَنا. ومهما حاولنا أن نفعل، لم تكن الأنوارُ تصلُنا بعد ذلك.

كنتُ أقفُ على المغسلة، أنظّفُ دجاجةً. دجاجة نيئة لعينة. وكان يمكن أن أكون منهمكة بأيّ شيءٍ آخر... أسقي المرجَ، أكتبُ، أنسجُ، أفعلُ أيّ شيءٍ آخر. لكنّني لن أنسى ما حييتُ تلك الدجاجة النيئة اللّعينة حين أفكّر بتلك اللحظة التي وصلنا فيها خبرُ موت تشاستين.

رنّ الهاتفَ. كنتُ أنظّفُ الدجاجةَ.

رفَعَ صوته. ما زلتُ أنظّفُ الدجاجةَ اللعينةَ.

ثمّ جاء الصوتُ... الأجشّ، المؤلم. سمعتهُ يقولُ لا، وكيف، وأين هي، وسنكون هناك في الحال. حين أنهى المكالمة رأيتُ انعكاسَ طيفه على زجاجِ النّافذة. كان يقفُ في الرّدهة، ممسكاً بإطارِ البابِ الخشبي كمن يخشى أن يخرَّ راكعاً على ركبتيه. كنتُ ما أزالُ أنظّفُ الدجاجةَ على المغسلة. الدموع تنهمرُ على وجنتيّ وقدماي تنهاران رويداً رويداً. ومعدتي بدأت تتشنّجُ.

تقيّأتُ على الدجاجة.

هكذا سوف أتذكّرُ واحدةً من أسوأ اللّحظات في حياتي.

طوال رحلتنا في السيارة إلى المشفى لم يبرحْ تفكيري كيف فعلتْ هاربر ما فعلتْه. هل قامتْ بخنقها تماماً كما رأيتُ في حلمي؟ أم إنّها ابتدعتْ طريقةً أكثر ذكاءً لقتلِ أختها؟ لقد سبق ونامتا معاً في منزلِ صديقتهما ماريا. ولم تكن المرّة الأولى التي تمضيان فيها عدّة ليالٍ خارج المنزل. ووالدةُ ماريا، واسمها كيتي -يا لهُ من اسمٍ بشعٍ- كانت على دراية تامّة بنوبات التحسّس التي تعاني منها تشاستين. ناهيك أنّ الطفلة لم تكن تغادرُ إلى أيّ مكان من دون دوائها المضادّ للتحسّس، لكنّ كيتي وجدَتها بلا حراكٍ في ذاك الصباح. اتصلتْ بقسم الإسعاف، ثم بجيرمي، وجاءت سيارةُ الإسعاف ونقلتها إلى المشفى.

هذا كلّ ما قالتهُ لنا. **لم تستيقظْ**. لم تقلْ إنّها ميتة. اكتفتْ فقط بعبارة **لم تستيقظْ**. وكأنّ تشاستين مجرّد طفلة مغناج لا تريدُ أن تصحو من نومها.

هرع جيرمي راكضاً في البهو العامّ باتجاه جناح المرضى، المؤدّي إلى غرفة الإنعاش. لم يسمحوا له بالدخول وطلبوا منّا البقاء في غرفة انتظار العائلات. الجميعُ يعرفُ أنها الغرفة التي يُطلب فيها من أفراد عائلة المتوفّى الانتظار قبل نقلِ الخبر إليهم. وهنا بالضّبط أخبروا جيرمي أنّ البنتَ قد فارقت الحياة.

لم أسمعْه يصرخُ تلك الصّرخة من قبل. رجلٌ بالغٌ يخرُّ راكعاً على ركبتيه، ويشهقُ بالبكاء كالطّفل. كان يمكنُ أن أشعرَ بالحرج بالنيابة عنه، لو لم أكنْ معه في تلك اللّحظة.

حين سمحوا لنا أخيراً بإلقاء نظرةٍ عليها، كان قد مضى على وفاتها أقلّ من يوم واحد، لكنها لم تكنْ تحملُ عبقَ تشاستين. كانت تحملُ رائحةَ الموتِ فحسب.

سألَ جيرمي العديدَ من الأسئلة. بل سألَ كلّ الأسئلة الممكنة. **كيف حصل ما حصل؟ هل كان الفستق في المنزل؟ في أيّ وقتٍ ذهبَنا إلى النّوم؟ هل قامَ أحدُهم بسرقة دواء التحسّس من حقيبتها؟**

جميع الأسئلة الصّحيحة، وجميع الأجوبة الصّحيحة، المدّمرة. ومضى أكثرُ من أسبوع قبل أن يتمّ التحقّق من سبب وفاتها. إنّه التحسّسُ المفرطُ.

كنّا في أشدّ الحيطة والحذر تجاه تحسّسها من زبدة الفستق. لم يكن مهمّاً مع من تكونان، أو إلى أين تذهبان، فالنصائح هي نفسها، وكان جيرمي يُمضي أكثر من نصف ساعة يشرح لمن يهمّه الأمر عن الروتين اليومي للطفلتين، وكيف يتمّ استخدام الدواء وقت الحاجة. ظننتُ أنّ الدّواء سيكون ناجعاً، ويقضي على الخطر، لأنّنا لم نستخدمْه سوى مرّةٍ واحدةٍ طوال حياتها.

كانت كيتي على دراية تامّة بحالة التحسّس، وكانت تُبقي كلّ أنواع المكسّرات بعيداً عن متناولِ الطفلتين. غير أنّ ما فاتها هو اقتحام الطفلتين حجرة المؤنة في منتصف اللّيل، وجلبهما أنواعاً مختلفةً من الأطعمة الباردة إلى غرفتهما. لم تكن تشاستين قد تجاوزت الثامنة من عمرها. كان الوقتُ

متأخراً، والظلامُ يخيّمُ على المنزل حين قرّرت الطفلتان أنّهما تريدان مأكولاتٍ سريعة. هاربر قالت إنّهما لم تعثرا على أيّ أثرٍ للفستق في الطّعام الذي تناولتاه. ولكن حين استيقظتا في اليوم التالي، تشاستين لم تستيقظْ.

مرّ جيرمي بفترة إنكارٍ لا بأس بها، لكنّه لم يشكّ قطّ بأنّ تشاستين تناولتْ، من دون معرفة، شيئاً من المكسّرات. لكنّني لم أصدّقْ. وكنتُ أعرفُ. كنتُ أعرفُ.

كنتُ كلّما نظرتُ إلى هاربر، أرى الإثمَ مرتسماً على محيّاها. مضتْ سنواتٌ وأنا أتوقّع أنّ أمراً كهذا سوف يحصلُ، عاجلاً أم آجلاً. أجل سنواتٌ مرتْ. مُذْ كانتا في الشّهر السادس من عمرهما، كنتُ أعرفُ أنّ هاربر ستجدُ طريقةً لقتلِ أختِها. انظرْ إلى الجريمة المحكمة التي ارتكبتْها. حتّى والدها نفسه لن يساورهُ الشكّ بأيّ دورٍ لها في المسألة.

أمّها شيءٌ مختلفٌ مع ذلك، وكان إقناعي أكثر صعوبةً.

فُجعتُ بموت تشاستين، وحزنتُ حزناً شديداً على فراقها. لكن كان ثمة شيءٌ مقلقٌ في وطأة الفقدان التي أرخت بظلالها الثقيلة على جيرمي. لقد مثّل موتُها ضربةً قاصمةً له. وأصابه بخدرٍ عجيب. وبعد مرور ثلاثة أشهرٍ على الحادثة، بدأتُ أضيقُ ذرعاً بفترة الحداد تلك. ضاجعني مرّتين اثنتين منذ وفاتِها، ولم يقبّلني قبلةً واحدةً ولسانه داخل فمي في كلتا الحالتين. بدا الأمرُ وكأنّه بدأ ينفصلُ عنّي عاطفياً، وأنّه يستخدمني للتفريغ فحسب، وللبحثِ عن راحته، والحصول على شيءٍ سريعٍ يزيلُ شعورَه بالفجيعة. لكنّني كنتُ أريدُ ما هو أكثر. كنتُ أريدُ لجيرمي القديم أن يعودَ إليّ.

ذاتَ ليلةٍ حاولتُ ذلك. كان نائماً فاستدرتُ نحوه، ووضعتُ يدي على قضيبه. حلبتُهُ بحركةٍ من يدي إلى الأعلى فالأسفل فالأعلى، أنتظرُ أن ينتصبَ ويشتدّ. لم يفعلْ ذلك. بل أزاحَ يدي بعيداً وقال: «حسناً، فيريتي. لا عليكِ».

قالها وكأنّه يُسدي لي معروفاً. وكأنّه يصدّني من أجل زرعِ الاطمئنان في قلبي.

لم أكن أريدُ هذا الاطمئنان.

لم أكنْ أريدهُ.

أمضيتُ سنواتٍ ثمانية كي أتعلّم القبولَ به. كنتُ أعرفُ أنّ الأمرَ قادمٌ، رأيتهُ في منامي. أعطيتُ تشاستين كلّ الحبّ الذي أقدرُ عليه خلال كلّ دقيقةٍ عاشتْها لأنني كنتُ أعرفُ أنّ الأمرَ واقعٌ لامحالة. كنتُ أعرفُ أنّ هاربر سوف تقومُ بفعلٍ كهذا ضدّها. أنا لا أوحي بأنّني أستطيعُ البرهنةَ على أنّ هاربر قامت بفعلتها تلك وأنها متورّطة فعلاً. فحتى لو كان بيدي البرهان، وعرضته على جيرمي، فهو لن يصدّقني البتّة. إنه يحبّها حبّاً جمّاً. لن يصدّق أبداً أمراً فظيعاً كذاك؛ لن يصدّق أن أختاً توأماً يمكن أن تفعل ما فعلته بأختها التوأم الأخرى.

جزءٌ منّي كان يشعرُ بالمسؤولية عمّا حدث. لو أنني حاولتُ خنْقها للمرّة الثانية وهي رضيعة، أو تركتُ زجاجةً من مسحوق الصّابون الأبيض في متناول يدها وهي تتعلّمُ المشي، أو صدمتُ السيارةَ بحافّة الرّصيف وهي جالسة بالقرب منّي من دون حزامِ أمانٍ، كنّا تجنّبنا كلّ ما وقع لنا للتوّ. كان يمكنُ افتعالُ العديد من الحوادث. بل كان ينبغي افتعالُها.

لو أنّني أوقفتُ هاربر عند حدّها لكانت تشاستين ما تزالُ حيّةً بيننا.

وما كان لجيرمي أن يقعَ فريسةً لكلّ هذا الحزن اللّعين الدائم بسببها.

-18-

فيريتي في غرفة الجلوس. الممرضة إبريل أنزلتها عبر المصعد الكهربائي إلى الطّابق الأرضي قبل أن يحلّ موعدُ مغادرتها في المساء. تغييرٌ غير عاديّ طرأ على الرّوتين اليوميّ بينهما لم أحبّذه تماماً.

قالت إبريل: «ظلّتْ فيريتي مستيقظةً طوالَ هذا المساء على غير عادتها. فكّرتُ أن أتركَ مهمّة نقلها إلى فراشها لجيرمي في هذه اللّيلة». تركتْها أمام جهاز التلفاز، مع كرسيّها المتحرّك بالقرب من الأريكة في الصّالون.

فيريتي تشاهدُ برنامج «**دولابُ الحظّ**».

أو... تحدّقُ في ذاك الاتجاه على أيّةِ حال.

أقفُ في الرّدهة المؤدّية إلى غرفة الجلوس، وأنظرُ إليها. جيرمي في الطّابق العلوي مع ابنه كرو. الظلامُ يخيّمُ في الخارج، وأنوارُ غرفة الجلوس ما تزال مطفأة، لكنّ الضوءَ القادم من شاشة التلفاز يكفي لرؤية وجه فيريتي الجامد، الممسوح من الملامِح.

لا أستطيعُ أن أتخيّلَ شخصاً يدّعي المرضَ أو الإصابةَ كلّ هذه الفترة الطّويلة من الزّمن دون أن يرمشَ له جفنٌ. ولستُ متأكّدة إن كان ثمة من أحدٍ يتحمّلُ هذا الدور كلّ هذه المدّة. هل يمكنُ أن تجفلَ إذا سمعتْ ضجّةً عنيفةً مفاجئةً؟

بالقرب منّي، قرب المدخلِ المؤدّي إلى غرفة الجلوس توجدُ آنيةٌ مملوءةٌ بالكرات الزجاجية والخشبية المستعملة للزّينة. أنظرُ حولي، ثم ألتقطُ واحدةً من الكرات الخشبية، وأرمي بها باتجاهها. حين تصيبُ الأرضيةَ أمامَها لا تجفلُ، ولا تحرّكُ ساكناً.

أعرفُ أنها ليست مشلولةً فلماذا لا تجفلُ؟ حتى وإن كان دماغُها متضرّراً إلى درجة لا تستطيعُ أن تفهم اللّغةَ الإنكليزيةَ، لكنّها يجب أن تظلّ قادرةً على سماع الأصوات، أليس كذلك؟ أو أن يبدرَ عنها ردُّ فعلٍ ما؟

إلّا إذا كانت قد درّبتْ نفسَها على عدم الإتيانِ بأيةِ حركة.

أراقبُها لعدّة ثوانٍ أخرى، ثم أنصرفُ وشأني، تطاردُني أفكاري الغريبةُ من جديد.

أذهبُ إلى المطبخ، وأتركُها وحيدةً، برفقة المذيعين المتألّقين بات ساجاك وفانا وايت.

بقي لي فصلان فقط وأنتهي من قراءة سيرتها في هذه المخطوطة. لكنّني أصلّي بأن لا أعثر على جزء ثانٍ في أيّ مكانٍ هنا قبل أن أغادرَ لأنني لم أعدْ أحتمل هذا المدّ والجزر في مشاعري تجاهها. القلقُ الذي ينتابني بعد الانتهاء من قراءة كلّ فصلٍ من فصولِ السيرة هو أسوأ بكثير من القلق الذي أشعرُ به عند الاستيقاظ بعد المشي في نومي.

تنفّستُ الصعداء حين عرفتُ أنّه لم يكنْ لها علاقة بموت تشاستين لكن طريقةَ تفكيرها بما حدث أدخَل القلقَ إلى نفسي. بدتْ منفصلةً عاطفياً إلى حدّ كبير. امرأةٌ بوجهين اثنين، أو بُعدين اثنين. لقد فقدتْ فلذة كبدها، طفلتَها التي تحبُّ، ومع ذلك كلّ ما راحت تفكّرُ به هو كيف أنّها لم تقمْ بقتلِ هاربر، طفلتها الأخرى، وكيف أنّها ضاقت ذرعاً وهي تنتظرُ جيرمي لكي يتجاوزَ حزنَه الشديدَ.

بكلماتٍ أقلّ قسوة، كان مسارُ تفكيرها مدعاةً للاستغراب. ولحسن الحظّ، كان في طريقه للانتهاء. فالبقيةُ الباقية من المخطوطة تتحدّثُ بإسهابٍ عن أمورٍ وقعتْ قبل عدّة سنوات، لكن، وفي هذا الفصل الأخير، بدت الأحداثُ طازجةً بالفعل. أي إنها تتحدث عن أحداث وقعتْ قبل أقلّ من سنةٍ. بل قبل عدّة أشهرٍ من وفاة هاربر.

موت هاربر.

وهذا ما أخطّطُ لمعرفته في الصفحات القادمة. وربّما هذه اللّيلة. لا أدري. لم أنمْ جيّداً خلال الأيام القليلة الماضية، وينتابني قلقٌ عارمٌ بأن يهجرَ النّومُ أجفاني تماماً بعدما أنتهي من قراءة هذا الفصل الأخير من المخطوطة.

ها أنا أحضّرُ المعكرونةَ لجيرمي وكرو. أحاولُ أن أركّزَ على العشاء وليس على افتقارِ فيريتي للروح. تعمّدتُ أن يكون توقيتُ هذه الوجبة بعد أن تغادرَ الممرّضةُ إبريل المنزلَ. كما أنني تمنّيتُ أن يأخذَ جيرمي زوجتَه إلى حجرتِها في الأعلى قبل أن نبدأ بتناول الطّعام. عطلة عيد ميلادي تقتربُ من نهايتِها، وسوفُ تنزلُ عليّ اللعنةُ إذا كانت خاتمتُها هي تناول طعامي وأنا جالسة بالقرب من فيريتي كروفورد.مكتبة سُر مَن قرأ

أحرّكُ صلصةَ المعكرونة بملعقة خشبية وأتذكّرُ أنني لم أسمعْ صوتَ التلفاز يصدحُ منذ عدّة دقائق. أفكُّ أسْرَ الملعقةِ من بين أصابعي، وأضعُها بهدوءٍ شديدٍ على حافّةِ الفرن بجانب الطنجرة.

- «جيرمي؟» أقولُ، وكلّي أملٌ بأن أراهُ في غرفةِ الجلوس، وأن يكون هو السببُ وراء عدم سماع صوتِ التلفاز.

- «ثوانٍ وأنزلُ إلى الغرفة»، جاء صوتُه من الطابق العلوي.

أغمضُ عينّي، وأستشعرُ تسارعَ الخفقان في صدري. **إذا كانت هذه العاهرة هي التي أطفأتْ جهازَ التلفاز اللّعين فسوفُ أخرجُ من هذا المنزلِ على الفور، وأغادرُ هذه العتبة من دون حذاءٍ، وأحلفُ بأن لا أعودَ ثانيةً.**

أضع قبضة يدي على خصري، وأشعرُ بالإرهاق من كلّ هذا الرّعب.

لا أمشي على رؤوس أصابعي وأنا أدخلُ غرفةَ الجلوس، بل أدعسُ دعساً قوياً.

مازال التلفازُ يعملُ، لكنّ صوتَه هامدٌ تماماً. أمشي باتجاه الطّاولة القريبة من كرسيّها المتحرّك، وأخطفُ جهازَ التحكّم. التلفازُ، الآن، في وضعية الصّامت، وها قد عرفتُ السّبب. لقد عرفتُ السبب. **لا توجدُ أجهزةُ تلفازٍ تضعُ نفسها تلقائياً في وضعية الصمت!**

- «يا لكِ من عاهرةٍ خبيثةٍ»، أتمتمُ.

كلماتي تأخذني على حين غرّة، لكنّها لم تكن كافيةً لجعلي أغادرُ الغرفةَ. وكأنّ كلّ كلمةٍ قرأتُها في مذكّراتها كانت قد بدأتْ تُذكي النّارَ التي تستعرُ في داخلي. ألغي وضعية الصمت عن التلفاز وأرمي جهازَ التحكّم جانباً على الأريكة، بعيداً عن متناولِ يدها. أركعُ قبالتَها على الأرض، وأصيرُ تماماً في

مرمى بصرها. إنّي أرتعشُ، ولكن ليس بسبب الخوف هذه المرّة. أنا غاضبةٌ جدّاً من هذه المرأة. غاضبة من هذه الزوجة التي تعاملُ زوجَها جيرمي بهذه الطّريقة. من هذه الأمّ وعلاقتها بابنتها هاربر. وأنا غاضبة لأنّ كلّ هذا السلوك العجيب الذي يحدثُ لا يشهدهُ أحدٌ سواي. سئمتُ، وتعبتُ من التفكير بأنّني صرتُ مجنونةً!

– «لا تستحقّين حتى هذا الجسدَ الذي يحبسُ كينونتَكِ»، أهمسُ وأنا أحدّقُ مباشرةً في عينيها. «آملُ أن تموتي والتقيؤ يخنقُ حنجرتَكِ، تماماً بالطريقة نفسها التي حاولتِ أن تقتلي فيها طفلتَك الرّضيعةَ».

أنتظرُ لأرى إن كانت تصغي إليّ... إن كانتْ تسمعُني... إن كانت تلعبُ دورَ المريضة... إن كانتْ كلماتي تبلغُ أسماعَها. ربّما قد تبدرُ عنها حركةٌ ما، تجفلُ أو تلوّحُ بيدها، أو أيّ شيءٍ من هذا القبيل.

لكنّها لا تحرّكُ ساكناً. أحاولُ أن أفكّر بشيءٍ آخر أقولُه لها، ويجبرها على ردّ الفعل. شيءٌ لن تستطيعَ الاحتفاظ من بعده على رباطة جأشِها بعد سماعها له. أنهضُ وأقتربُ منها ثمّ أنحني فوقها، واضعةً فمي على أذنها، «جيرمي سوف يضاجعُني اللّيلةَ في سريركِ».

أنتظرُ ثانيةً... لعلّي أرى حركةً... أرىَ إيماءةً.

الشّيءُ الوحيدُ الذي ألاحظهُ هو رائحةُ البولِ تملأُ الهواء. تملأُ أنفي.

أنظرُ إلى بنطلونها في اللّحظة التي أسمعُ فيها جيرمي ينزلُ الدَّرج. «هل تحتاجينني في شيء؟».

أتراجعُ بعيداً عنها بسرعة، فأصطدمُ خطأً بالكرةِ الخشبية التي رميتُها باتجاهها قبلَ قليل. أقتربُ قليلاً من فيريتي وأنا أنحني لألتقطَ الكرةَ. «لقد.... أظنُّ أنّها تحتاجُ إلى تغيير ملابس، الآن».

يُمسكُ جيرمي بقبضتي الكرسي المتحرّكِ ويجري بها سريعاً خارج غرفة الجلوس، باتجاه المصعد. أرفعُ يدي إلى وجهي، وأغطّي فمي وأنفي، وأتنفّسُ بصعوبة.

لا أعلمُ لماذا لم ينتابني الفضولُ قطّ لأعرفَ من يساعدها في الاستحمام ويبدّل لها ملابسَها، ويغيّرُ لها حفّاضتها. ربّما افترضتُ أنّ الممرضة تقومُ

بكلّ هذه المهمّات، لكن من الواضح أنها لا تقومُ بكلّ شيء. ولأنّ فيريتي لا تسيطرُ على نفسها، وترتدي الحفّاضات الخاصّة، وتحتاجُ لمن يحمّمُها، شعرتُ بالأسف على جيرمي. إنه يأخذها الآن إلى الطابق العلوي ليقوم بكلتا المهمّتين أعلاه، وهذا ما يجعلني غاضبة.

غاضبة من فيريتي.

بالتأكيد ليست حالتُها الراهنةُ سوى نتاج سلوكها الرهيب تجاه طفلتيها، وتجاه جيرمي. الآن، يتوجّب على جيرمي أن يعاني من نتائج انحرافات فيريتي.

هذا ليس عدلاً.

ورغم أنها لم تجفل أمام أي شيء رميتُه في وجهها، قلتُ في نفسي لا بدّ أنّها حاضرة في مكان ما، وبما أنني نجحتُ في إخافتها، فهذا أقنعني أنّها تدركُ ما يحدثُ حولها. لكنّها باتت تعرفُ في قرارة نفسها أنّني لم أعذ خائفةً منها.

***

تناولتُ العشاء مع كرو الذي أمضى جلّ وقته يلعب على الشاشة الإلكترونية لحاسوبه. انتظرتُ جيرمي كي يأتي، لكنني كنتُ أعرفُ أنّه لا يريدُ لكرو أن يأكل بمفرده، وها قد تأخّر موعدُ ذهابِهِ إلى النّوم. وبينما كان جيرمي يُنهي مهمّة التنظيف مع فيريتي، انصرفتُ أنا لوضعِ كرو في فراشه. وبعد أن قام بتحميمها، وتغيير ملابسها، ووضعِها في سريرها، كانت المعكرونةُ قد بردتْ.

أخيراً نزل جيرمي من الأعلى وانضمّ إليّ في المطبخ حيث كنتُ أنظّفُ الأواني على المغسلة. لم نتحدّثْ كثيراً بعد قبلتنا الشهيرة تلك. لا أعلمُ ماذا سيكون موضوع الحديث فيما بيننا، أم إن كلانا سيكون محرجاً أمام الآخر، وسوف يذهبُ كلٌّ منّا وشأنه بعد الانتهاء من تناول الطعام. أسمعُ اقترابه منّي، وألحظُ وقوفه خلفي، وفي فمه كسرات من خبز الثوم. لم أتوقّفْ عن تنظيف الصحون.

– «آسف على ما حدث»، قال.

- «ماذا؟».

- «لم أحضرْ على العشاء».

هززتُ كتفيّ. «لم يفوتكَ شيءٌ. هيّا كُلْ».

يأخذُ صحناً عن الرفّ ويملأه بالمعكرونة. يضعه في الميكروويف، ويتكئ على حافّة المغسلة، بجانبي. «لوين».

أنظرُ إليه.

- «ماذا هناك؟».

أكتفي بهزّ رأسي. «لا شيءَ يا جيرمي. مكاني ليس هنا».

- «الآن تقولين هذا».

لا أريدُ أن أبدأ هذا الحديث معه. هذا حقّاً ليس مكاني. هذه هي حياتُهُ. هذه هي زوجتُهُ. وهذا هو منزله. ولن أمكث هنا لأكثر من يومين آخرين في أبعد تقدير. أجفّفُ يدي بالمنشفة في اللّحظة التي يلمعُ فيها زرّ الميكروويف، ويبدأ الرّنينُ. لا يتحرّكُ باتجاهه كي يفتحَه لأنه ما زال منهمكاً بالنظر إليّ، محاولاً استخلاص المزيد من المعلومات عبر تلك النظرة.

أستندُ إلى جدار الخزانة وأتنهّدُ. رأسي مائلٌ إلى الخلف قليلاً. «أنا فقط... أشعرُ بالأسف تجاهك».

- «لا تأسفي».

- «لا أستطيعُ منعَ نفسي».

- «بل تستطيعين».

- «كلّا، لا أستطيع».

يفتحُ باب الميكروويف ويُخرِجُ صحنَه. يضعُه على حافّة الرفّ ليبردَ، ويتابعُ النظر إليّ، واقفاً قبالتي. «هذه حياتي يا لوين. ليس أمامي ما أفعلُه حيالها. شعوركِ بالأسف تجاهي لن يساعدني في شيء».

أحرّكُ رأسي قليلاً. «أنتَ مخطئٌ. بل يمكنك أن تفعل شيئاً حيالهَا. لا ينبغي أن تعيشَ هكذا، يوماً بيوم. ثمة دُورٌ كثيرة للرعاية، وأماكن خاصّة تعتني بها جيداً. ستتوفّر لها فرصة أكبر. ولن تكون أنت وكرو موثوقين إلى هذا المنزل طوال حياتكما».

يضغطُ جيرمي على فكّيه بقوّة. أعرفُ أنه ما كان ينبغي أن أقولَ ما قلته. «أقدّرُ أنّك تظنين بأنني أستحقّ ما هو أفضل. ولكن ضعي نفسكِ في مكان فيريتي ولو للحظة واحدة».

ليس لديه أدنى فكرة كم وضعتُ نفسي مكان فيريتي خلال الأسبوعين الفائتين. «صدّقني، وضعتُ نفسي في مكانها مراراً وتكراراً». أكوّرُ قبضتي وأنقرُ بها على الطّاولة في إشارة استياء، محاولةً إيجاد مفرداتٍ مناسبةً للتعبير عمّا يجولُ في رأسي. «لن تتمنّى لكَ هذا يا جيرمي. أنتَ سجينٌ داخل بيتكَ. كرو سجينٌ في هذا البيت. لا أشكّ أنه يرغبُ بالخروج من هذا البيت. خذهُ في عطلات طويلة. عدْ إلى عملكَ، وضعْها في دار للرعاية، وهناك تستطيع الحصول على رعاية على مدار السّاعة».

جيرمي بدأ يهزُّ رأسَه حتى قبل أن أكملَ الجملةَ. «لا يمكنُ أن أفعلَ هذا لكرو. لقد فقدَ شقيقتيه للتوّ. لا يمكنُ أن يتحمّلَ فقداناً آخر. على الأقلّ إذا بقيتْ أمّه هنا، سوف يُتاح له دوماً قضاء وقتٍ معها».

لم يُشرْ إلى رغبته بإبقائها هنا، بل انصبّ حديثه على كرو.

– «تنفّس الصعداء ولو قليلاً إذاً»، أقولُ له، «ضعْها في مؤسسة بدوام جزئي، وبالتالي ترتاحُ من بعض هذا العبء الذي تتحمّله لوحدكَ. اجلبْها إلى المنزل في أيام العطل الأسبوعية حين لا يكون كرو مداوماً في المدرسة».

أقتربُ منه وألمسُ وجهَه، وأضع خدّيه بين يديّ. أريدُهُ أن يرى مدى اهتمامي به. ربّما لو رأى أن أحداً ما يكترث له، ويهتمّ بسعادته، فإنه سوف يأخذُ هذه المحادثة على محمل الجدّ.

– «اعطِ نفسكَ بعض الرّاحة، يا جيرمي». أقولُ بهدوء. «كن أنانياً ولو قليلاً. تستحقّ أن تحيا حياةً لنفسكَ وحدكَ، وتقضي لحظاتٍ لا علاقة لها بها، بل بكَ أنتَ، وبما ترغبُ به وتريدُه أنتَ».

أكادُ أسمعُ صريفَ أسنانه تحت راحتي. ينسحبُ إلى الخلف مبتعداً عنّي، ويضغطُ بكلتا يديه على الحائط، تاركاً رأسه يتدلّى بين كتفيه. «هل تريدين أن تعرفي ماذا أريد؟» قال بهدوء شديد.

– «نعم. ما الذي تريدهُ؟».

رأسه يتراجعُ إلى الوراء، ثم يضحكُ، لمرّة واحدة، كأنّ السؤالَ بحدّ ذاته سؤالٌ أحمق. ثم يقولُ كلمة واحدة، كأنّ السؤال هو الأسهل الذي يجيبُ عنه طوال حياته.

– «أنتِ».

يدفعُ الطاولة جانباً ويقتربُ منّي أكثر. يضع يديه حول خصري، ويضغط بجبهته على جبهتي، ناظراً إلى عينيّ، ولا شيء في وميضهما سوى الحاجة. «أريدكِ أنتِ يا لوين».

قابلَ فرحي بقبلةٍ. إنّها مختلفة عن قبلتنا الأولى. هذه المرّة كان أكثر صبراً فيما راحَتْ شفتاه ترشفان بكسلٍ شفتيّ، أمّا يده فكانت ترسمُ قوساً صغيراً حول عنقي. شعرتُ أنه يتحسّسُ مذاقي، موقظاً رغبتي رويداً رويداً مع كلّ حركةٍ من لسانه. ينحني قليلاً، ويرفعُني إلى الأعلى، واضعاً ساقيّ حول خصره.

إننا نغادرُ المطبخَ، لكنني لا أريدُ أن أفتح عينيّ حتى أتأكّد أنّنا أصبحنا وحيدَين خلف بابٍ مقفلٍ. لن أسمحَ هذه المرة لزوجته فيريتي بأن تفسدَ عليّ اللّحظةَ.

ما إن دخلنا غرفة النّوم الرئيسية، حتى فكّ إساري، وأنزلني تدريجياً عن خصره، وافترقت شفتاي عن شفتيه. تركني واقفةً قرب سريري، وتوجّهَ إلى بابِ غرفة النّوم.

– «اخلعي ملابسكِ». يقولُ دون أن ينظر إليّ، فيما راح يقفلُ باب الحجرة.

هذا من الأوامر التي يطيبُ لي تنفيذها بحذافيرها، خاصّة أنّ الباب باتَ مقفلاً الآن. نراقبُ بعضَنا ونحنُ نتعرّى. يخلعُ بنطلونَ الجينز وأخلعُ قميصي. يخلعُ قميصَه فأخلعُ بنطلوني الجينز. أنزعُ حمالة نهديّ فيما عيناه تتحرّيان خريطةَ جسدي. إنّه لا يلمسني، ولا يقبّلني، بل يراقبني فقط.

طوفانٌ من العواطف يجتاحني وأنا أخلعُ البنطال الضيّقَ (الفيزون): خوفٌ، إثارةٌ، ترقّبٌ، رغبةٌ، قلقٌ. أسحبُ فردتي البنطال من فوق فخذي، إلى ما تحت ساقيّ، ثم أرمي بهما أرضاً بأصابع قدميّ. أنهضُ مستقيمةَ الجذع، وأقفُ أمامه عاريةً، مكشوفةً.

يُغرقني بنظرات عينيه وهو يخلعُ آخرَ قطعةٍ من ثيابه. شيءٌ ما في داخلي يتبدّلُ، إذ مهما يكن وصف فيريتي لملامحه الفيزيائية دقيقاً، هذا لن يساعد في التخفيف من سطوة الجاذبية التي يكتنزها جسدُهُ.

عاريين نقفُ هناك، وسط الحجرة، وأنفاسُنا تتسارعُ شيئاً فشيئاً.

يقتربُ خطوةً إضافيةً باتجاهي. ينظرُ إلى وجهي، وليس إلى أيّ مكانٍ آخر. يداهُ الدافئتان تمرّان على خدّيّ، ثم شَعري، وفمه يُطبقُ على فمي من جديد. يقبّلني قبلات ناعمةً، عذبةً، ولا ينسى دغدغتي بلسانِه.

أصابعُه تسافرُ فوق عمودي الفقري، فأرتعشُ حتى أخمص قدميّ.

– «ليس معي واقٍ للقضيب»، يقولُ، ثمّ يقف خلفي ويشدّني إليه.

– «لم أتناولْ حبوبَ منع الحمل».

كلماتي لا تمنعُهُ من حملي ووضعي فوق السّرير. شفتاهُ تحاصرُ حلمتي اليسرى، لثانيةٍ فقط، ثم يعودُ إلى شفتيّ وهو يحلّقُ فوقي تماماً.

– «سوف أُدخِلُهُ فيكِ».

– «حسناً».

الكلمةُ تجعلهُ يبتسمُ. ثم يهمسُ «حسناً»، فوق شفتيّ، ما إن يبدأ بإدخال قضيبه. كلانا كان مركّزاً على إدخالِ عضوه، حتى إنّنا لم نكن نتبادل القُبل. اكتفينا بالشّهيق والزفير، كلٌّ في وجه الآخر. أغمضُ عيني بقوّة فيما كان يحاول إدخالَ كامل عضوه فيّ. شعرتُ بالألم لبضع ثوانٍ، ولكن حين بدأ يتحرّكُ، ذهبَ الألمُ وحلّ محلّه شعورٌ مثيرٌ بالامتلاء، ما جعل أنينَ اللّذة حاضراً.

شفتا جيرمي تقبّلان خدّي ثم شفتيّ، قبل أن يتراجعَ إلى الخلف. حين أفتحُ عينيّ، أرى رجلاً لا يفكّرُ، لهذه المرّة على الأقلّ، بأيّ شيءٍ آخر سوى بما هو أمامه فقط. لا توجد مسافةٌ بعيدة في عينيه. فقط أنا وهو في هذه اللحظة.

– «هل لديكِ أدنى فكرة كم مضى من الوقت وأنا أفكّرُ بأن أكونَ معكِ؟».

إنه سؤالٌ بلاغيّ لا ينتظرُ جواباً، كما خمّنتُ، لأنّ قبلته التي أعقبت كلامه منعتني من تقديم أية إجابة. يمسكُ نهديّ بكلتا يديه فيما راح يقبّلني بغزارة.

بعد حوالي دقيقة على هذه الوضعية، يدحرجني على بطني، ويدخلُ قضيبه من الخلف، ويخفضُ فمَه إلى أذني وهو يُدخِلُ ويُخرِجُ عضوَه. «سوف أعتلي جسدَكِ في كلّ الوضعيات التي تخيلْتُها معكِ».

بدتْ كلماتُه وكأنها تجد طريقَها إلى معدتي وتستقرّ هناك، ثّم تستعرُ لهباً. «من فضلكَ»، هي الكلمة التي بقيتُ أردّدها.

مع تلك العبارة، يضعُ راحتَه تحت معدتي، ويجعلني أركعُ على ركبتيّ، ضاغطاً بصدره على ظهري، من دون أن يدعَ عضوَه يخرجُ منّي.

أنفاسُهُ دافئةٌ فوق ظاهرِ عنقي. أرفعُ يدي وأُمسِكُ رأسَه، وأجعلُ فمَه يلامسُ جلدي. هذه الوضعية تستمرّ لمدّة ثلاثين ثانية، قبل أن تنزلَ يداهُ إلى خصري.

يقلُبني على ظهري، ونصيرُ وجهاً لوجه معاً، ويشدُّني أكثر نحوه.

أشعرُ بالضعف أمام قوّته، فذراعاه بين الدقيقة والدقيقة تحملانني حيث تشاءان فوق كلّ ركنٍ من السّرير. أنا أدركُ من خلال ما قرأتُه من صفحاتٍ عن علاقته الجنسية بزوجته أنّها كانت دوماً تفرضُ السيطرةَ عليه.

أنا أسلّمهُ زمامَ أموري كلّها.

أدعُه يأخذُني حيث يرغبُ.

وهذا ما يفعلُه على مدى أكثر من نصف ساعة. ففي كلّ مرّة يقتربُ فيها من الذّروة، يحجمُ عن ذلك، ويسحبُ عضوه منّي، ثم يقبّلني قبل أن يُدخلَه ثانيةً فيّ، ثم يبدّلُ وضعيتي، ويولجُ قضيبَه، ثم يجدُ وضعيةً أخرى، فأخرى. إنّها دائرةٌ لا أريدُ لها أن تنتهي.

أخيراً نصلُ إلى ما أفترضُهُ أكثر الوضعيات تحبّباً له. هو مستلقٍ على ظهرِه، وأنا فوقه، أضعُ فخذيّ حولَ رأسه. لكنني لستُ متأكّدة أنّنا وصلنا إلى هذه الوضعية بسببه أم بسببي. لم أكن قد انحنيتُ بجذعي كلّه صوب فمِهِ حتى بدأتُ أرى علامات العضّ بالأسنان خلف الوسادة، وفوق اللّوحة الخشبية للسرير.

أغمضُ عينيّ لأنّني لا أريدُ أن أرى تلك العلامات.

راحتاهُ تنزلقان رويداً باتجاه بطني، وتلمسان نهديّ. يكوّرُ حلمتيّ بيديه. ثمّ يبدأ باللّحسِ كمن يريدُ أن يقسمني بلسانه إلى نصفين. أدعُ رأسي يرجعُ إلى الخلف، ويتعالى أنينُ اللّذة جليّاً من بين شفتيّ، حتى اضطررتُ إلى إخفاءِ فمي بيدي.

يبدو أنّ أنيني يروقُ له كثيراً، فيعاودُ الكرّةَ نفسَها بلسانِه، حتى إنّ الإثارة التي تسري في جسدي تجبرني على الانحناء إلى الأمام والإمساك بلوحة السرير خلف الوسادة. أفتحُ عينيّ، فأرى أنّ فمي لا يبعدُ سوى سنتيمترات قليلة من اللّوحة الخشبية. سنتيمترات قليلة من علامات العضّ التي تركتْها أسنانُ فيريتي خلال كلّ المرّات التي ضاجعَها فيها عبر السنين، وبالوضعيةِ نفسِها.

حين تنزلقُ أصابعُ جيرمي على معدتي بالتوازي مع حركة فمِهِ التي لا تهدأُ، لا أجدُ مفرّاً، ولا أعرفُ أين أُطلِقُ صرخاتي. بالوضعيةِ نفسها التي يثبّتني بها، أجدُ نفسي مجبرةً على الانحناء إلى الأمام، وكتمِ أنينِ الذّروةِ.

أعضُّ على الخشبِ المسفوحِ أمامي.

تحت شفتيّ أكادُ أشعرُ بعلامات العضّ السابقة التي تركتْها فيريتي. أعضّ بعنفٍ أكبر حين تنفجرُ لذّتي بين فخذيّ، فأنا مصمّمةٌ على تركِ علاماتٍ أعمق على الخشب لم تصلْها بأسنانِها يوماً. مصمّمة على ألّا أفكّرَ بأحدٍ آخر سوى بي وبجيرمي في كلّ مرّة أنظرُ فيها مستقبلاً إلى اللّوحةِ الخشبيةِ للسّرير.

صحيح أنّ فيريتي محبوسة في غرفة واحدة فقط، غير أنّ حضورَها يتبدّى في كلّ غرفةٍ في هذا المنزل. لا أريدُ أن أفكّرَ بها بعد اليوم وأنا في غرفة النّوم هذه.

حين تصلُ رعشتي منتهاها، أبتعدُ عن لوحة السّرير، وأفتحُ عينَي، وأرى العلامات الجديدة التي حفرتُها بأسناني. في اللّحظةِ التي أضعُ فيها إصبعي فوقها لأمسحَ آثار ريقي عنها، يدفعُني جيرمي إلى الخلف، وفجأةً أجدُ نفسي تحتَه من جديد. لم يكن بحاجةٍ لفضّ مهبلي كي يصلَ الذّروةَ. راح يضغطُ بجسده كلّه على بطني، وشعرتُ بسائلِهِ يسيلُ حارّاً على جسدي، بينما فمه يأخذُ فمي بلا هوادة.

أستطيعُ أن أتنبأ من خلال قبلتِهِ المجنونة أنّنا مقدمان على ليلةٍ طويلةٍ.

-19-

جولتُنا الثانيةُ وقعتْ ونحن نستحمّ، بعد مضي نصف ساعة فقط من الجولة الأولى. يدانا تسرحُ فوق جسدينا، وتلمسُ كلّ نقطة. فمُهُ وفمي يصيران فماً واحداً، وها هو يلجُ جسدي من جديد. راحتاي مبسوطتان على حائطِ الحمّام. وها هو يقضي وطرَهُ منّي تحت الرّذاذِ الخفيفِ للماءِ.

أخيراً يسحبُ قضيبَه، ويقذفُ تاركاً سائله المنويّ يسيلُ على ظهري، قبل أن يغسلني، وأعودُ نظيفةً.

ها نحن في السّرير من جديد، والساعة تتجاوزُ الثالثة صباحاً. أعرفُ أنه سوف يعودُ بعد قليلٍ إلى غرفته. لكنّني لا أريدُهُ أن يغادرَ. أن أكون معه بهذه الطريقة هو كلّ ما أتخيّله، بل إنّني أشعرُ أنّي على ما يرام في هذا المنزل، خاصّةً حين أكونُ بين ذراعيّ جيرمي. إنه يجعلني أشعرُ بالأمان تجاه أشياء كنتُ أحسبُ أنّها مصدرَ خطرٍ بالنسبة لي.

جعلني ألتصقُ به فيما ذراعه تحيط بي. أنا أرقدُ في حضنه الآن. أصابعُهُ تتحرّى ذراعي من الأسفل إلى الأعلى. ظللنا نحارب النّومَ ونحن نتبادلُ الأسئلة. وسرعان ما أخذت الأسئلةُ منحًى شخصياً حين بدأ يسألني عن طبيعة آخر علاقة عاطفية لي.

– «كانت سطحية وضحلة».

– «لماذا؟».

– «لستُ متأكّدة أنها كانت علاقة عاطفية أصلاً»، أقولُ. «نحن ارتضينا أن نضعها ضمن هذه الحدود، فقد كانت تدور برمّتها حول الجنس.لم نستطع التأقلم معاً، وبناء جسور تفاهم خارج الجدران الأربعة لحجرة النّوم».

– «كم استمرّت؟».

– «لفترة ليست طويلة». أنهضُ وأنظرُ إليه. «إنّها مع كوري، وكيلي الأدبي».

تتوقّف أصابعُ جيرمي فوق ذراعي. «الوكيلُ الذي التقيتُه؟».

– «نعم».

– «وهل ما يزالُ يشغلُ وظيفة وكيلكِ الأدبي؟».

– «إنه وكيلٌ عظيم». أعودُ وأضعُ رأسي على صدره، وتستأنفُ أصابعُه العزفَ الخفيفَ على ذراعي.

– «هذا يجعلني أشعرُ قليلاً بالغيرة»، يقولُ.

أضحكُ لأنّني أشعرُ أنه يضحكُ بدوره. بعد فترة صمتٍ قصيرة، أوجّهُ له سؤالاً لطالما روادَ مخيّلتي، وأثار فضولي. «كيف تصف علاقتكَ العاطفية بفيريتي؟».

يتنهّدُ جيرمي، ورأسي الراقد على صدره يرتفعُ مع تنهّدِهِ. يتحرّكُ قليلاً ويغيّرُ وضعيتَنا، فيصبح رأسي على الوسادة، فيما هو إلى جانبي، مستلقياً جانبياً باتجاهي، ينظرُ مباشرةً إلى عينيّ. «سوف أجيبكِ عن سؤالكِ، لكنّني أريدُكِ أن تضعي سوءَ الظنّ بي جانباً».

– «لن أسيء الظنّ»، أقطع وعداً له، وأنا أهزّ رأسي.

– «لقد أحببتُها. وكانت زوجتي. لكنّني، مع ذلك، كنتُ أشعرُ أحياناً بالحيرة، لأنّني لم أكنْ متأكّداً أننا نعرفُ بعضنا حقّاً. كنا نعيش معاً، لكنّ عوالمنا، على ما يبدو، لم تكن متّصلة». يرفعُ يدَه ويلمسُ شفتيّ برأس سبابتِه. «كنتُ منجذباً إليها بشكلٍ جنونيّ، مع أنني متأكّد أنكِ لا تريدين سماعَ المزيد، لكنّها الحقيقة. حياتُنا الجنسية عظيمة. أما البقية الباقية... لا أعلمُ إن كانت كذلك. شعرتُ في البداية أنّ ثمّة شيئاً ناقصاً، لكنّني بقيتُ، وتزوّجتها، وبنينا عشّ العائلة معاً، لأنني كنتُ دائماً أؤمنُ أنّ الوشيجة الأعمق ليست بعيدة المنال. حسبتُ أنّني سوف أصحو ذات يومٍ وأنظرُ في عينيها، ثم تبدأُ الشرارةُ بالوميض، كمثل لغزٍ خرافيّ نكتشف مربّعه المناسب، على حين غرّة».

لم تفتْني إشارتَه إلى حبّه لها باستخدامه صيغة الزّمن الماضي. «هل نجحتَ بإيجاد تلك الوشيجة الأعمق؟».

- «كلّا، ليس كما كنتُ آملُ. لكنّني شعرتُ بشيءٍ قريبٍ من ذلك؛ ومضة عابرة كان يمكن أن تتحوّلَ إلى وشيجةٍ عميقةٍ».

- «متى حدث هذا؟».

- «منذ عدّة أسابيع»، يقولُ بهدوءٍ. «في الحمّام، داخل متجرٍ صغيرٍ للقهوة، خلال لقاءٍ عشوائي مع امرأة ليست زوجتي».

يطبعُ قبلةً على فمي ما إن تهربُ تلك الجملةُ من بين شفتيه، وكأنّه لا يريدُ أن يسمعَ جواباً منّي. ربّما يشعرُ بالنّدم أو الذّنب لأنّه قالها. يشعرُ بالإثم لأنه شعرَ آنياً بتلك الوشيجة العميقة معي بعدما حاول طوال سنواتٍ أن يشعرَ بها مع زوجتِهِ ولم ينجحْ.

حتى وإن كان لا يريدني أن أردّ على ذاك الاعتراف الذي تفوّه به، لكنّني أشعرُ بشيءٍ ما ينمو في داخلي، وكأنّ كلماته تغرقُ فيّ وتتمدّدُ في صدري. يشدّني نحوه، فأُغمِضُ عينيّ، وألصقُ رأسي على صدري. لم ننطقْ ببنت شفة من بعدها، وخلدنا إلى نومٍ عميق.

أستيقظُ بعد ساعتين على صوتِهِ يرنُّ في أُذني. «اللّعنة». ينهضُ ساحباً معه معظم أغطية السرير. «اللّعنة».

أفركُ عينيّ وأنا أستوي على ظهري. «ما الأمر؟».

- «لم أكنْ أقصدُ أن أنامَ». يمدُّ يدَه إلى ثيابِه على الأرض ويبدأ بارتدائِها. «لا يمكنُ أن أكون هنا حين يستيقظ كرو». يقبّلني مرّتين ويهرعُ باتجاه الباب. يحرّرُ القفل، ويشدّ الباب نحوه ليفتحَه.

لكنّ البابَ لا يتحرّك.

يبدأ يهزّ قبضة الباب، بينما جلستُ أنا في السّرير، ورحتُ أسحبُ أغطيةَ السرير، وأضعُها فوقي لأخفي نهديَّ العاريين.

- «اللّعنة»، يقولُ ثانيةً. «البابُ عالقٌ، لا يفتح».

شيءٌ ما يسقطُ في داخلي، وفجأةً أفقدُ متعةَ اللّيلةِ الماضية كأنّ أحداً

جاء وسلبني إياها عنوةً. أعودُ إلى اللّحظةِ، وإلى سيناريو آخر أشعرُ فيه بأنّي مهجورة ووحيدة في هذا المنزل المنحوس. أهزّ رأسي، لكنّ جيرمي لا يراني لأنه ما يزالُ يواجهُ البابَ. «ليس البابُ عالقاً، يا جيرمي»، أقولُ بهدوءٍ. «إنه مقفلٌ من الخارج».

يستديرُ جيرمي برأسِه وينظرُ إليّ. مسحةُ القلق باديةٌ على وجهه. ثم يحاولُ اقتلاع الباب بكلتا يديه. حين يدركُ أنني على صواب، وأنّ رتاجَ الباب مقفلٌ من الخارج، راح يرفسه بقدميه. أبقى حيث أنا، يجتاحني الخوفُ مما قد يكتشفه بعدما يفتح البابَ أخيراً.

يحاول فعلَ كلّ شيءٍ لفتحِهِ، من دون جدوى، فيلجأُ إلى المناداة بأعلى صوتِهِ. «كرو!» جيرمي يصرخُ، ضارباً بيدِهِ على حائطِ غرفةِ النّوم.

ماذا لو أنّها أخذت كرو معها؟

لا أظنّها تفعلُ شيئاً من هذا القبيل فهي لا تطيقُ أولادَها. لكنها تحبُّ جيرمي. بل هي شغوفةٌ بجيرمي. وإذا كانت قد عرفتْ أنه كان ينامُ معي في اللّيلة الماضية، فإنّها لن تجدَ غضاضةً بأخذ ابنِها كرو والتواري عن الأنظار.

لم يصل تفكيرُ جيرمي إلى تلك الظّنون بعد. كلّ ما يدورُ في رأسه الآن هو أنّ كرو يداعبنا بمزحةٍ ثقيلةٍ. أو أنّ البابَ أُقفِلَ من تلقائِه، بطريقةٍ ما، حين أحكمَ رتاجَه في اللّيلة الماضية. تلك كانت التفسيرات الوحيدة القابلة للتصديق من وجهة نظره. في هذه اللّحظة بالذّات يبدو عليه الانزعاجُ فحسب، وليس القلق.

يرمقُ جيرمي ساعة المنبّه على الطّاولة الصغيرة بنظرةٍ سريعةٍ، ويضربُ البابَ بيديه من جديد. «كرو، افتح البابَ!» ثمّ يضغطُ بجبهتِهِ على الدّرفةِ. «سوف تصلُ إبريل بعد قليل»، يقولُ بهدوء. «لا يمكنُ أن ندعَها ترانا معاً هنا».

أهذا هو نطاقُ تفكيره؟

أنا يجتاحني قلقٌ من أن تكون زوجته قد اختطفت كرو في منتصف اللّيل وولّتِ الأدبار، في حين أنه يخشى فقط من أن يُكتَشَفَ أمرُه، وتراهُ الممرّضةُ متلبّساً بالنّومِ مع ضيفةِ المنزل.

– «جيرمي».

– «ماذا؟» يقولُ ضارباً بيديه على البابِ من جديد.

– «أعلمُ أنّكَ لا تجدُ الأمرَ قابلاً للتصديق. ولكن هل قمتَ بقفلِ باب فيريتي البارحة ليلاً؟».

تتوقّفُ قبضتا جيرمي عن الحركة. «لا أتذكر». يقولُ بهدوءٍ.

– «إذا كانت فيريتي هي التي قامت بمحض صدفةٍ غريبةٍ بقفلِ البابِ علينا،... فإنّ كرو على الأرجح لم يعدْ في المنزل».

حين ينظرُ إليّ، ألمحُ خوفاً عارماً في عينيه. بعدئذٍ، وبحركة مفاجئة سريعة، يهرعُ إلى أقصى الغرفة، ويفتحُ الشبّاك. يرفعُه إلى الأعلى. لكنّ ثمة درفة ثانية من الزّجاج، وليس من السّهل فتحها كما فعل بالأولى. ومن دون لحظة تردّد، يهرعُ إلى السرير، وينزعُ غطاءَ الوسادة. يلفّ قبضته بالغطاء، ويلكمُ الزجاجَ، ثم يركلُه، ويخرجُ زاحفاً من النّافذة.

بعد مرور بضع ثوانٍ أسمعُه يزيلُ القفلَ ويفتحُ بابي، ثمّ يهرعُ على الدرج. وقبلَ أن أخرج من حجرة النّوم الرئيسية، يصلُ جيرمي إلى غرفة كرو في الأعلى. أسمعه يركضُ عبر الردهة باتجاه غرفة فيريتي. حين يقفلُ راجعاً، ويقف عند أعلى الدرج، أشعرُ أنّ قلبي صعدَ إلى حنجرتي.

يهزُّ رأسَه. ينحني ويمسكُ ركبتيه، مقطوعَ النَّفَس. «إنّهما نائمان».

يجلسُ القرفصاء كأنّ ركبتيه لم تعدْ تحملانه، ويمسحُ شعرَه بيده. «إنّهما نائمان»، يقولُ ثانيةً بعد أن يتنفّسَ الصعداء.

دخلت الطمأنينةُ إلى قلبي. لكنني لستُ مطمئنّة.

هذا المسُّ الذي أعاني منه بدأ يصيبُ بعدواه جيرمي.

إنّني لا أساعدهُ في شيء حين أسمحُ لهواجسي بالسيطرة عليّ. تدخلُ إبريل الباب الأمامي بعد دقائق من وقوع هذا. تنظرُ إليّ، ثم تنظرُ إلى جيرمي وهو يجلسُ القرفصاء في أعلى الدَّرَج. يرفعُ رأسَه فيراها تحملقُ به.

يقفُ على قدميه ويبدأ بنزولِ الدرج، غير عابئٍ بي أو بإبريل وهو يتوجّه إلى الباب، ويفتحه على مصراعيه ثم يخرجُ إلى الهواء الطلق.

إبريل تنقّلُ بصرها بيني وبين الباب الأمامي.

أهزّ كتفيّ. «ليلة صعبة مع كرو».

لا أعلمُ إن كانت تصدّقُ ما قلتهُ، لكنّها تصعدُ الدرج وكأنّ لسان حالها يقولُ إنّها لا تأبه بتاتاً للأمر، سواء أكنتُ أقولُ الحقيقة أم لا.

أذهبُ إلى المكتب وأوصدُ الباب خلفي. أسحبُ البقية الباقية من المخطوطة وأبدأُ القراءة. ينبغي أن أُنهي المذكّرات اليوم. أحتاجُ لأن أعرفَ كيف تنتهي، هذا إذا كان لها نهاية أصلاً. لأنني وصلتُ إلى نقطة بدأتُ أشعرُ فيها بأنّني يجب أن أُري جيرمي هذه المخطوطة. يجب أن يعرف أنه كان على حقّ حين شعرَ أنهما كانا فاقدين للتواصل الحقيقي. لأنه لم يكن حقّاً يعرفُها.

لا تسيرُ الأمورُ على ما يرام في هذا المنزل، ولديّ شعورٌ قويّ بأنّ أمراً ما سوف يحدثُ إذا لم يُعمِلْ جيرمي الشكَّ بتلك المرأة النائمةَ في الأعلى، تماماً مثلما أُعمِلُ الشكّ بها. قد تكون المصيبة القادمة قاب قوسين أو أدنى.

على كلّ حال، هذا المنزلُ يكتظُّ بالممسوسين. ناهيك بأنّ المأساة القادمة تأخّرت كثيراً للتوّ.

الفصل الرابع عشر

من السهل أن أتذكّر كلّ شيءٍ يتعلّقُ بذاك الصباح الذي توفيت فيه هاربر، ذلك أنّ هذا حدث قبل بضعة أيام فقط. أتذكّرُ رائحتَها. رائحة الدّهن. لم تكن قد غسلتْ شعرها منذ يومين. ماذا كانت ترتدي؟ جرابات أرجوانية، وقميص أسود، وكنزة منسوجة يدوياً. ماذا كانت تفعل؟ تجلسُ خلف الطّاولة مع كرو، تلوّنُ رسوماتها. آخرُ شيءٍ قاله جيرمي لها في ذلك اليوم؟ أحبّكِ، يا هاربر.

في ذلك اليوم كان قد مضى ستّة أشهرٍ على وفاة تشاستين. ذلك اليوم بالذّات. هذا يعني أنّني أمضيتُ مائةً واثنين وثمانين يوماً أكدّسُ حنقي ضدّ الطفلة المتورّطة.

كان جيرمي قد أمضى ليلتَه في الطّابق العلوي قبل يومٍ واحدٍ فقط. كرو يبكي كلّ ليلةٍ تقريباً ليكون بجانب أبيه، وبالتالي خلال الشّهرين الفائتين كان ينامُ في غرفةِ نوم الضيوف الكائنة في الطابق العلوي. حاولتُ أن أقول له إنّ هذا غير مفيدٍ لكرو، وقد يؤدّي إلى إفساده. لكنّ جيرمي لم يعدْ يستمعُ إليّ. كان تركيزُه الأساسيّ ينصبّ على طفليه الباقيين.

من الغرابة أنّ طفلاً واحداً أقلّ في العائلة قد جعل تركيزه أكبر من ذي قبل.

مارسنا الجنسَ معاً أربع مرّات منذ وفاة تشاستين. يبدو أنه فقد الرّغبة بالمضاجعة حتّى حين أحاولُ أنا. حتى وأنا أمصّ له قضيبَه. الأسوأ من هذا وذاك أنه لا يبدو مستاءً قطّ. كان يمكن أن يأخذ الفياغرا لكنّه رفض ذلك. يقول إنه يحتاجُ لبعض الوقت كي يتأقلم مع الوضع الجديد بعد وفاة تشاستين.

وقت!

هل تعلمون من كان لا يحتاجُ إلى الوقت؟ هاربر.

لم تمرّ بمرحلة تأقلم بعد وفاة شقيقتها قطّ. لم تبكِ أبداً. لم تذرفْ حتى دمعة واحدة. هذا غريب. هذا ليس بالأمر الطبيعي. حتّى أنا بكيت.

أظنّ لم يكن من العبث أنّها لم تبكِ. الشعورُ بالذّنب يفعلُ ذلك بالشّخص.

ربّما الشعور بالذّنب هو الدافعُ الذي يجعلني أكتبُ ما أكتبُ.

لأنّ جيرمي ينبغي أن يعرفَ الحقيقة. ذاتَ يوم، وبطريقةٍ ما، سوف يعثرُ على هذه المذكّرات. وسوف يدركُ عندئذٍ كم كنتُ مجنونةً في حبّه.

أعودُ إلى هاربر وإلى اليوم الذي لقيتْ فيه ما كان ينتظرُها.

كنتُ أقفُ في المطبخ، أشاهدُ تلوينَها. كانت تشرحُ لكرو كيف تلوّنُ اللّونَ ذاتَه من أجل أن تحصل على لونٍ ثالث. وكانا يضحكان. ضحكةُ كرو مبرّرةٌ. ولكن ماذا عن ضحكة هاربر؟ ضحكةٌ لا مبرر لها. كنتُ قد تعبتُ من كظم غيظي تجاهها.

- «لا تشعرين حتى بالحزن على موت أختكِ تشاستين؟».

رفعتْ هاربر بصرها لتنظر إليّ. كانت تتظاهرُ بأنها خائفة منّي. «نعم، أنا حزينة».

- «لم أرك تبكين ولو لمرّة واحدة. أختكِ التوأم ماتتْ وأنتِ تتصرّفين وكأنّ الأمر لا يعنيكِ».

رأيتُ الدموع تفيضُ من عينيها. غريبٌ كيف أنّ الطفلةَ التي يقولُ عنها جيرمي إنّها لا تجيدُ التعبير عن عواطفها تستحضرُ الآن الدموعَ بإرادتها.

- «بلا. أنا مهتمّة»، قالتْ هاربر. «وأنا مشتاقةٌ إليها».

سخرتُ منها بضحكة قصيرة. ضحكتي جلبتِ الدموعَ الحقيقية إلى عينيها. أرجعتْ كرسيّها إلى الخلف، وخرجت راكضة إلى غرفة نومها.

نظرتُ إلى كرو ورسمتُ في الهواء شارةَ الاستهزاء من هاربر. «انظرْ إليها الآن. إنّها تبكي».

رموز.

لا بدّ أنّ جيرمي مرّ بها في الأعلى، لأنّني سمعتهُ يطرقُ بابَ غرفتها. «هاربر؟ حبيبتي، ما المشكلة؟».

أقلّدُ صوتَه، مستخدمةً نبرةً طفوليةً حادّة. «حبيبتي، ما المشكلة؟».

كرو يقهقهُ. على الأقلّ أنا خفيفةُ الظلّ بالنسبة لطفلٍ في الرّابعة من عمره.
بعد مرور دقيقة، دخلَ جيرمي إلى المطبخ وقال: «ما مشكلةُ هاربر؟».

– «لقد جُنّ جنونها»، أقولُ كاذبةً. «لأنني لا أسمحُ لها بالذهاب إلى البحيرة واللّعب هناك».

قبّلني جيرمي على صدغي. شعرتُ بأنّ القبلة صادقة، وابتسمتُ. «نهارٌ جميلٌ في الخارج»، قال. «لو أنّكِ تأخذيهما إلى الشّاطئ».

كان يقفُ خلفي، لذلك لم يرني وأنا أقلّب نظراتي سخطاً. كان ينبغي أن أخترع كذبةً أفضل لتبرير دموع هاربر، لأنه يريدني الآن أن أخرجَ وألعبَ معهما في الهواء الطلق.

– «أريدُ أن أذهب إلى الماء»، قال كرو.

التقطَ جيرمي حقيبته الصغيرة ومفاتيحه عن الطّاولة. «اذهبْ وقلْ لهاربر أن ترتدي حذاءَها. سوف تأخذكَ أمّكَ معها. سوف أعودُ قبل الغداء».

استدرتُ ونظرتُ إليه وجهاً لوجه. «إلى أين أنتَ ذاهب؟».

– «لأشتري بعض الحاجيات»، قال. «أخبرتُكِ هذا الصّباح».

كان قد ذكر شيئاً من هذا القبيل.

هرعَ كرو راكضاً إلى أعلى الدَّرَج. أنا تنهّدتُ. «أفضّلُ أن أذهبَ وأتسوّقَ. ابقَ أنت والعبْ معهما».

مشى جيرمي نحوي وأحاطني بذراعه، ثم ضغط بجبهته على جبهتي، وشعرتُ أن تلك اللّفتة تذهبُ مباشرةً إلى قلبي. «لم تكتبي شيئاً منذ ستّة أشهر. أنتِ لا تخرجين إلى أيّ مكان. ولا تلعبين معهما». يشدّني نحوه كمن يريدُ أن يعانقني. «أنا قلقٌ عليكِ، يا حلوتي. فقط اخرجي معهما لمدة نصف ساعة. أعطهما فرصة للحصول على فيتامين D أثناء التعرّض للشّمس».

– «هل تظنّ أنّني أعاني من الاكتئاب؟» قلتُ وأنا أتراجعُ إلى الخلف. كان هذا مضحكاً. المكتئبُ بيننا إنّما هو.

يضع جيرمي مفاتيحَه على الطّاولة ليتسنّى له الإمساكَ بكلتا وجنتيّ. «أظنّ أننا كلانا نعاني من الاكتئاب. وسوف نبقى نعاني لبعض الوقت. لذا يجب أن يساعدَ أحدُنا الآخر».

ابتسمتُ في وجهه، وشعرتُ بالسّعادة لأنه كان يظنّ أنّنا معاً في الخندق نفسه. ربّما كان على صواب. قبّلني، ولأوّلِ مرّة منذ وقتٍ طويلٍ، يُشركُ لسانَه في القبلةِ، مع جرعةٍ أقلّ من الحزن. شعرتُ بقضيبِهِ ينتصبُ من دون إكراهٍ من قبلي فيما يلتصقُ بي.

– «أريدكَ أن تنام في غرفتنا هذه اللّيلة»، أهمسُ في أذنه.

يبتسمُ وشفتاهُ على شفتيّ. «حسناً. ولكن لن يكون هناك نومٌ كثير».

نبرةُ صوتِه، وعيناهُ اللتان تفيضان شغفاً، وتلك الابتسامةُ الخفيّةُ على وجهه. **ها قد وجدتكَ ثانيةً، يا جيرمي كروفورد. وأنا مشتاقةٌ جدّاً.**

بعد أن غادرَ جيرمي اصطحبتُ طفليه الثقيلين إلى المياهِ لكي يلعبا. وأخذتُ آخر كتابٍ كنتُ قد ألّفتُهُ من السلسلة. جيرمي على حقّ، فقد مضتْ ستّةُ أشهرٍ الآن، ولم أكتبْ حرفاً واحداً. كان ينبغي أن أسترجع مزاجي. وها أنا تأخّرتُ للتوّ عن تسليمِ النصّ، لكنّ دار النشر، بانتيم، أبدت تفهّماً وليونةً بعد الموت الفجائي لتشاستين، أقصد بعد موتها «بالصدفة».

وقد يكشفون عن ليونة أكبر بشأن الموعد الذي ضربناه لتسليم النصّ لو أنّهم عرفوا تفاصيل ما حدث لها.

مشى كرو باتجاه الرّصيف البحري، نحو الزورق الرّاسي. انتابني القلقُ لأنّ الرصيف متهالكٌ، وجيرمي لا يحبّهما أن يلعبا في تلك المساحة. لكنّ كرو خفيف الوزن، وهذا ما جعلني أشعرُ ببعض الطمأنينة. بل استبعدتُ تماماً أن يهوي ويسقط في الماء.

جلسَ على حافّة الرّصيف، وترك ساقيه تتدلّيان فوق الزورق. تفاجأتُ بأنّ الزورقَ ما زال راسياً، ولم يتحرّك بعد. كان مربوطاً إلى الشّاطئ بحبلٍ رقيقٍ للغاية.

كرو لا يعرفُ هذه المعلومة، لكنّه سوف يعرفها ذات يوم، وهي أنّه تشكّلَ كنطفةٍ في رحمي فوق متن هذا الزّورق. ذاك الأسبوع الذي كذبتُ فيه على جيرمي وأخبرتُه بأنّني حامل كان الأكثر نشاطاً جنسياً بيننا حتّى هذه السّاعة. ولهذا السبب أحببتُ أن أسمّيه كرو. كنتُ أبحثُ عن اسمٍ مرتبطٍ بالملاحة البحرية.

آهٍ، كم أشتاقُ إلى تلك الأيام.

ثمة الكثير من الأشياء الأخرى التي أشتاقُ إليها في الواقع. اشتقتُ إلى حياتنا معاً قبل أن نُرزقَ بالأطفال. بالتوأمين، على أية حال.

على الشّاطئ، وأنا جالسة أنظرُ إلى كرو، رحتُ أفكّرُ ماذا لو كان لديّ فقط طفل واحد هو كرو. سوف نمرّ بمرحلة تأقلمٍ أخرى لو حدث وماتتْ هاربر، ولكن سيكون بمقدورنا تجاوز ذلك. لكنّني لم أكنْ بتلك القوة، ولم أُظهِرْ رباطةَ جأشٍ كافية حين ماتت تشاستين، بل إنّني عشتُ مرحلةَ الحزنِ من أجلها. ولكن، لو أنّ هاربر تموتُ، أظنّ أنّني سأكونُ أقدرَ على مساعدة جيرمي في التعافي من الصّدمة.

في هذه المرّة، سيكون لديّ القليل من الحزن، بما أنّ حزني كلّه كنتُ قد احتفظتُ به لتشاستين.

وقد يكون جيرمي أيضاً قد احتفظَ بحزنه كلّه لتشاستين.

وهذا احتمالٌ قائمٌ.

كنتُ أحسبُ في الماضي أن الموتَ المنفرد لأطفالِ شخصٍ ما لا يقلّلُ أبداً من الحزن عليهم جميعاً. أن نفقد الثاني أو حتى الثالث، سيكون له الوقعَ ذاته الذي نكابدهُ في المرّة الأولى.

ولكن كان هذا قبل أن نفقدَ، أنا وجيرمي، طفلتنا تشاستين. موتُها جعلنا نغرقُ في طوفانٍ من الحزن. وامتلأ كلّ صدعٍ في داخلنا، وطفحتْ كلّ خليةٍ فينا.

لو أنّ الزورقَ ينقلبُ على ظهره، ويسقطُ الطفلان إلى الماء -لو أنّ هاربر تلقى حتفها غرقاً- لن يجدَ الحزنُ متسعاً له في قلبِ جيرمي. لقد امتلأ للتوّ حتى الثمالة.

حين تكون قد فقدتَ طفلاً واحداً، لن يضيركَ بأن تفقدهم جميعاً بعد ذلك.

حين لا يكون ثمة من متّسعٍ للحزنِ في حياتنا، وحين ترحلُ هاربر إلى مثواها، سوف نعيشُ نحن الثلاثة كعائلة مثالية حقاً.

- «هاربر».

كانت على بعدِ أقدام قليلة منّي، تلعبُ على الرّمل. نهضتُ على قدميّ،

ونفضتُ الغبارَ عن بنطلون الجينز الذي أرتديه. «تعاليِ إليّ، يا حلوتي. دعينا نركبُ الزورق ونأخذُ كرو في رحلةٍ معنا».

قفزتْ هاربر فرحاً غير مدركة أنّها في اللحظة التي وضعت فيها قدماً على رصيف البحيرة، لن تُتاح لها فرصة ثانية لتشعرَ كيفَ تميدُ الأرضُ من تحتها.

– «أنا أمشي في الأمام». تبعتُها حتى بلغتْ حافّة الرّصيف. ساعدتُ كرو للصعود أوّلاً، ومن ثمّ هاربر. جلستُ بدوري وانحنيتُ بعناية إلى الأمام مستخدمةً المجذاف للابتعاد عن رصيف البحيرة.

كنتُ أجلسُ في مؤخّرة الزورق، وكرو في المنتصف. جذّفتُ حتى بلغتُ منتصف البحيرة بينما كانا ينحنيان على حافّة الزورق ويلمسان المياه بأصابعهما.

بدتِ البحيرةُ هادئةً وأنا أنظرُ حولي. كنا نعيش فوق مساحةٍ يبلغ طول شاطئها ألفي قدم، ولم يكن ثمةَ من زحامٍ حقّاً. إنه نهارٌ هادئ، يخيّمُ عليه السكون.

كانت هاربر تقف منتصبةً في المقدّمة، وتمسحُ يديها بجوربها الضيّق. التفتتْ حولها، وهي تُديرُ ظهرَها لي ولأخيها كرو.

انحنيتُ بجذعي حتى لامستُ أذنَ كرو. غطّيتُ فمه بيدي. «كرو، حبيبي، احبسْ أنفاسكَ».

أمسكتُ بحافّة الزورق، وملتُ بثقلي كلّه إلى جهة اليمين.

سمعتُ صوتاً يشبهُ عواءً خافتاً. لم أكنْ متأكّدةً من مصدره، أهو كرو أم هاربر. ولكن بعد العواء، وخبطِ الرّذاذ الأوّلي، لم أعدْ أسمعُ شيئاً. فقط الضّغط. الصمتُ أطبق على أذنيّ، وأنا أحرّك يديّ وساقيّ، إلى أن شققتُ طريقي إلى السطح.

سمعتُ صوتَ خبطٍ في الماء ورذاذٍ يتطاير. صرخة هاربر. صرخة كرو. سبحتُ باتجاه كرو ووضعتُ ذراعيّ حوله. نظرتُ باتجاه المنزل، وتمنّيتُ لو أستطيعُ السباحة معه حتى أصل إلى الشاطئ. لكنّنا كنّا أبعد مما توقّعتُ.

بدأتُ أسبحُ. وهاربر تصرخُ.

إنّها تخبّطُ خبطاً في الماء.

تابعتُ السباحةَ.
وتابعت البنتُ صراخَها.
لا شيء.
سمعتُ خبطةً أخرى في الماء.
المزيد من اللاشيء.

تابعتُ السباحةَ ورفضتُ أن أنظر إلى الوراء، إلى أن بدأ الطينُ النّاعمُ يلامسُ أصابع قدميّ. تمسّكتُ بحافّة الرّصيف كمن يتمسّك بدرعٍ واقٍ من الغرق. بدأ كرو يسعلُ، ويغصّ، ويختنق، وهو يتمسّكُ بي. كان صعباً إبقاؤه طافياً طوال الوقت. أصعب مما توقّعتُ بكثير.

لا بدّ أن يشكرني جيرمي على ما قمتُ به. وعلى إنقاذِ حياةِ كرو.

سيكون الخبرُ بالطبع فاجعاً بالنسبة له لكنه سوف يشكرني.

تساءلتُ ما إذا كنّا سننامُ في السّرير نفسه في تلك الليلة.

سيكون منهكاً، بلا شكّ، لكنّه سوف يرغب بالنّوم في السرير نفسه، وسوف يضمّني بين ذراعيه، ويطمئنّ عليّ.

– «هاربر!» صرخ كرو ما إن نظّف رئتيه من الماء.

أغلقتُ فمَ كرو، وسحبتُه إلى الشّاطئ، ثم مدّدته على الرّمل. عيناه جاحظتان خوفاً. – «أمّي!» مشيراً بيده إلى المياه خلفي. «هاربر لا تستطيعُ السباحةَ».

الرّملُ يغطّي كافّة أنحاء جسدي، ويلتصق بيديّ وذراعيّ ووركيّ. أشعرُ أنّ نيراناً تلفحُ رئتيّ. حاول كرو الزّحفَ عائداً باتجاه المياه، لكنّني شدّدتهُ من يده، وأجبرْته على الجلوس. الرّذاذُ مازال يضربُ أصابع قدميّ. نظرتُ إلى البحيرة ولم أرَ شيئاً. لا صراخَ. لا أحدَ يخبّطُ في الماء.

كرو بدأ يفقدُ أعصابَه وصارَ يعيشُ حالةً هستيرية.

– «حاولتُ إنقاذَها». همستُ في أذنه. «ماما حاولتْ إنقاذَها».

– «اذهبي وانتشليها». صرخَ مشيراً بيدِهِ إلى البحيرة.

حاولتُ أن أتصوّر كيف يمكن أن يكون عليه الحال لو أنّه يخبرُ أيّ أحدٍ بأنني لم أعدْ إلى البحيرة. معظمُ الأمّهات لن يتركْنَ المياه ما لم يعثرْنَ على طفلهنّ. يجب أن أعودَ حالاً إلى البحيرة.

- «كرو، علينا أن ننقذَ هاربر. هل تتذكّر كيف تستخدم تلفوني لكي تتّصل بأبيك؟».

أومأ برأسه، ماسحاً الدموعَ عن خدّيه.

- «اذهب. اذهبْ إلى المنزل واتّصل بأبيك. قل له ماما تحاولُ إنقاذَ هاربر، ويجب أن يتّصل بالشّرطة».

- «حسناً!» قالَ، وهرعَ راكضاً إلى المنزل.

يا له من شقيقٍ طيّب!

كنتُ أشعرُ بالبرد، وأتنفّسُ بصعوبة، لكنني تحاملتُ على نفسي وعدتُ إلى البحيرة. - «هاربر!» قلتُ اسمَها بهدوء، وبصوتٍ خفيضٍ خشيةَ أن تهبّ رياحُها وتحصلَ على فرصةٍ ثانية وتخرجُ لي من سحيقِ البحيرة.

تمهّلتُ، وأخذتُ وقتي كاملاً. لم أكن أريدُ السباحة بعيداً، خوفاً من أن ألمسَها أو أرتطمَ بها. ماذا لو كانت ماتزالُ على قيد الحياة، وأمسكتني من قميصي؟ ماذا لو حاولت شدّي إلى الأسفل؟

كنتُ مدركةً أنّه يجب أن أتواجدَ هنا حين يصل جيرمي إلى المكان. وكان يجب أن أبدو باكيةً. ومرتجفة من البرد. وحرارتي منخفضة إلى حدّ التجمّد. ولا ضيرَ أن يجدونني بحالةٍ تحتاجُ نقلي بسيارة الإسعاف.

كان القاربُ طافياً رأساً على عقب، لكنّه أقرب إلى الشاطئ الآن منه إلى وسط المياه حين انقلبَ بنا. لقد انقلب القاربُ بي وبجيرمي عدّة مرّات من قبل، وبالتالي أنا مدركةٌ أنّ وضعيته هذه تعني أنّنا تعرّضنا لجيوبٍ هوائية. ولكن ماذا لو أنّ هاربر قد نجحت للتوّ بالسباحة إلى القارب؟ ماذا لو أنّها تمسّكتْ بحافّته وفضّلت أن تختفي تحته؟ وهي الآن هناك تنتظرُ لكي تُخبرَ أباها عمّا فعلْته بها؟

تدبّرتُ طريقي إلى الزورق. تحرّكتُ بحذرٍ شديد لأنّني لا أريدُ أن ألمسَها. حين وصلتُ إلى القاربِ المقلوب حبستُ أنفاسي وغطستُ تحت الماء. ثم وجدتُ نفسي في بطن القارب.

أوه، شكراً لله. قلتُ في نفسي.

لا أثرَ لها هناك.

شكراً لكَ يا ربّ.

سمعتُ كرو ينادي باسمي في البعيد. غطستُ تحت الماء، ثمّ خرجتُ عند خاصرة الزّورق.

صرختُ أردّدُ اسمَ هاربر، بصوتٍ مذعورٍ، كأمّ حقيقية فُجعت بفلذة كبدها.

- «هاربر!».

- «بابا قادمٌ». صرخَ كرو من على الشّاطئ.

بدأتُ أنادي بصوتٍ أعلى، وأصرخُ هاربر. سوف يصلُ البوليس إلى هنا قبل جيرمي.

- «هاربر!».

غطستُ مرّات عديدة إلى الأسفل من أجل أن أبدو مقطوعةَ الأنفاس. فعلتُ هذا مرّة بعد أخرى لدرجة أنني لم أعدْ قادرة على أن أطفو. ورحتُ أصرخُ باسمِها حتى جاءَ شرطيٌّ وسحبني من الماء.

ظللتُ أولولُ وأردّد اسمَها، مستخدمةً بالتناوب عبارتي «ابنتي!» و«وفلذة كبدي».

أحدُ القادمين نزلَ في الماء يبحثُ عنها. ثم اثنان. ثمّ ثلاثة. ثم شعرتُ بأحدهم يهرعُ سريعاً بقربي، مندفعاً نحو الرّصيف. ركض حتى أقصى الحافّة، وغطس في الماء. حين بان رأسُه من تحت الماء، بعد لحظات، أدركتُ أنّه جيرمي.

لا أستطيعُ أن أصفَ ملامح وجهه، أو النظرة على محياه وهو ينادي بأعلى صوته. كانت نظرةُ تصميمٍ ممزوجة بالرعب، ممزوجة بالهستيريا.

رحتُ أذرفُ دموعاً حقيقيةً في تلك اللحظة. فقدتُ أعصابي تماماً. بل أردتُ أن أبتسمَ في داخلي لأنني وصلتُ إلى تلك الدرجة من الهستيريا، لكنني لم أبتسمْ لأنّ بعضاً من كياني كان يدركُ أنّني ارتكبتُ عملاً فظيعاً. كدتُ أرى ذلك على وجه جيرمي. هذه المرّة ستكون أقسى من سابقتها، وسوف يجد صعوبةً أكبر في التعافي، أصعب من تلك التي وجدها مع تشاستين.

لم أتوقّع ذلك.

كان قد مضى عليها تحت الماء أكثر من نصف ساعة حين عثر عليها أخيراً. كانت عالقة بشبكة صيد. لم أستطعْ أن أتبيّن إن كانت صفراء أم خضراء من موقعي حيث أجلسُ على الشاطئ، لكنني تذكّرتُ كيف أنّ جيرمي فقدَ شبكة صيد صفراء في العام الماضي. أية صدفةٍ عجيبة جعلتني أقلبُ القارب في البقعة نفسها التي سقطتْ فيها الشبكةُ وعلقتْ تحت السطح؟ لولا شبكةُ الصيد تلك لكان بإمكان هاربر أن تسبحَ نحو الشّاطئ وتصل ربّما إلى برّ الأمان.

بعد فكّ خيوط الشبكة عنها، ساعد الرّجال جيرمي بنقلِ الطفلة إلى الرّصيف الخشبي. وانكبّ جيرمي يحاول إنقاذ البنت عن طريق التنفّس الاصطناعي حتى وصل أحدُ المسعفين إلى حافّة الميناء. ومع ذلك، لم يشأ أن يتوقّف.

لم يتزحزحْ أو يتوقّفْ حتّى أُسقِط في يده. بدأ الرصيف ينهارُ تحت قدميه، وتدحرجَ جيرمي من على الحافّة، ليلتقط جسدَ هاربر بين ذراعيه. ثلاثة رجالٍ آخرون ظلّوا في الأعلى يساعدونه في انتشال الجثمان.

لا أدري إن كانت تلك اللحظة ستعيشُ مع جيرمي إلى الأبد وتسكنُ مخيّلتَه. أقصد التقاطه لجسدِ ابنته الميّتة بعد أن تدحرجَ فوقه في المياه.

ظلّ جيرمي متمسّكاً بالجثّة بعد أن وجدتْ قدماه موطئاً لهما تحت الماء، وحملها بين ذراعيه، عائداً بها إلى الشّاطئ. حين وصلَ إلى الكثيب الرّملي انهارَ أرضاً بينما طفلته ما تزالُ بين ذراعيه. ضغط بوجهه على شعرها المبلّل، وسمعتُه يهمسُ في أذنها.

– «أحبّكِ يا هاربر. أحبّكِ يا هاربر. أحبّكِ يا هاربر».

ردّد العبارة مرّة بعد أخرى وهو ما يزالُ يحتضنُها بين ذراعيه. حزنُهُ أوجعَ لي قلبي. زحفتُ نحوه، نحوها، ووضعتُ ذراعيّ حولهما، هما الاثنان، واحتضنتُهما. «لقد حاولتُ إنقاذَها». همستُ. «لقد حاولتُ إنقاذها».

لم يكنْ يشأ أن يتخلّى عن هاربر حتى جاء المسعفون وسحبوها من بين ذراعيه. تركني هناك، مع كرو، بعدما صعدَ إلى مؤخّرة سيارة الإسعاف.

لم يسألني جيرمي عمّا كان قد حدث. لم يخبرني أنه سيغادرُ معهم إلى المشفى. ولم ينظرْ إليّ البتّة.

لم يكن ردّ فعله تماماً كما خطّطتُ له، لكنني كنتُ مدركةً أنّه ما زالَ تحت هولِ الصّدمة. سوف يتأقلمُ عاجلاً أم آجلاً. لكنّه يحتاجُ فقط لبعض الوقت.

-20-

أُمسِكُ بحوضِ المرحاض وأتقيّأ. لقد شعرتُ بالإعياء حتى قبل أن أُنهي هذا الفصلَ. إني أرتجف كأنّني كنتُ هناك. كأنّني كنتُ شاهدة عيانٍ، وأرى بالعين المجرّدة ما فعلته تلك المرأة بابنتِها. وما فعلتْهُ لجيرمي.

أضغطُ بجبهتي على ذراعي حائرةً لا أعرفُ ماذا أفعل.

هل أخبرُ أيّ أحد؟ هل أخبرُ جيرمي؟ هل أتّصلُ بالشرطة؟

وماذا يمكن للشرطة أن تفعلَ معها؟

سوف يقومون بحبسها في مكانٍ ما. قد يأخذونها إلى مؤسّسة للأمراض العقلية. وسوف يتخلّص منها جيرمي.

أنظّفُ أسناني وأحدّقُ بصورتي في المرآة. بعد أن أمضمض بالماء، أرفعُ رأسي وأمسحُ فمي. حين مرّرتُ يدي على وجهي رأيتُ وشمَ الجرح في المرآة. لم أكن أتخيّل أن تلك الندبة سوف تصبح ذات يومٍ عديمةَ الأهمية في نظري، لكنّني بدأتُ أشعرُ أنها حقّاً كذلك. ما عانيتُه وعشتهُ مع أمّي لا يساوي شيئاً بالمقارنة مع هذا.

ما حدث معي ومعها كان سوءَ تواصل. أو حلقة مكسورة.

أمّا هذه فجريمة.

أفتحُ حقيبتي وأبحث عن حبوب زاناكس. أحتاجُ للمهدّئ في هذه اللّحظة. أُطبِقُ راحتي على الحبّة وأتوجّهُ إلى المطبخ. أمدّ يدي وأجلبُ كأساً وأسكبُ فيها النبيذَ الفاخر. أملؤها حتى الشّفة. أحملُ كأسَ النبيذِ وأخرجُ إلى غرفتي فيما الممرّضة إبريل تدورُ في الركنِ البعيد، وتحدّقُ بي بصمت.

أبادلها النظرةَ نفسَها وأنا أرمي الحبّة في فمي وأكرعُ خلفها كأسَ النّبيذ.

أعودُ إلى غرفتي وأوصد بابي، وأضعُ خلفه القفل. أنزلُ الأباجورات كي أمنع ضوء الشّمسَ من التسلّل إلى الغرفة.

أغمضُ عيني وأطمرُ رأسي تحت اللّحاف، وأنا أفكّر عمّا يجب عليّ أن أفعله.

***

بعد مضي وقتٍ قصير أستيقظُ على دفءٍ يسري في أنحاء جسدي. شيءٌ يلامسُ شفتيّ. أفتحُ عينيّ.

جيرمي.

أتنهّدُ على فمِهِ وهو يُخفِضُ جذعَه فوقي. أرحّبُ براحةِ شفتيه. إنه لا يدري بأنّ كلَّ ذرّة حزنٍ تولّدهُ قبلته في داخلي هو حزنٌ أشعرُ به من أجله. من أجل حالةٍ لا يعرفُ عنها سوى القليل.

أشدّ أغطيةَ السرير بحيث لا يبقى حواجزَ بيننا. ما يزالُ يقبّلني وهو يتدحرجُ على جنبه، ويضمّني إليه.

– «إنها الثّانية بعد الظُّهر»، يهمسُ. «هل أنتِ بخير؟».

– «نعم». أكذبُ. «أنا متعبةٌ فحسب».

– «وأنا أيضاً». تدبُّ أصابعه بنعومة على ذراعي، ثم تلامسُ راحتي.

– «كيف دخلتَ إلى هنا؟» أسألُ، وأنا أعرفُ أن البابَ كان مقفلاً من الداخل.

يبتسمُ. «من النّافذة. إبريل أخذتْ فيريتي إلى الطبيب. وكرو لن يعودَ من المدرسة إلّا بعد ساعة».

التّوترُ الذي كان يتصاعدُ في داخلي همَدَ رويداً رويداً لدى سماعي هذه الأخبار. فيريتي ليست في المنزل، وهذا ما أدخلَ الطمأنينة مباشرةً إلى قلبي.

يضعُ جيرمي يده على صدري، وتلامسُ ساقُه ساقي، وأصابعُه تستكشفُ زيحَ خصري. «تفقّدتُ القفلَ. تبيّن لي أنّ البابَ حين يوصدُ بقوّة، يقفلُ من تلقاء نفسه».

لا أردّ على ذلك لأنني لستُ متأكدة أنّني أصدّقه. قد يكون كلامه صحيحاً، لكنّ الصحيح أكثر هو أنّ فيريتي قد تكون هي السبب أيضاً.

يرفعُ جيرمي قميصي إلى الأعلى -أرتدي واحداً من قمصانه- ويطبعُ قبلةً بين نهديّ. «أحبّ فيكِ هذا حين ترتدين قمصاني».

أمرّرُ أصابعي في شعره وأبتسمُ. «أحبّ فيكَ رائحتكَ. فهي حقّاً لك».

يضحكُ. «بماذا تذكّركِ؟».

- «بسقوط المطر».

إنه يسافرُ بشفتيه فوق بطني. «لا أعلمُ ما هو قصدكِ بالضبط». صوتُه غمغمةٌ فوق مسامّات جسدي.

- «كلمة تصفُ رائحةَ المطرِ النضرِ بعدِ طقسٍ جافّ».

يتحرّكُ حتّى يلامسَ فمه فمي. «ليست لديّ فكرة أن ثمة كلمة تصفُ ذلك».

- «ثمة لكلّ شيءٍ كلمة».

يقبّلني قبلاتٍ قصيرةٍ ثم يتراجع إلى الوراء. حاجباه يقتربان من بعضهما وهو يحاولُ التأمّل أكثر. «هل ثمة من كلمة تصفُ ما أفعله الآن؟».

- «على الأرجح. ما الذي تشيرُ إليه؟».

يرفع إصبعَه ويضعُها على ذقني. «هذا»، يقولُ بهدوء. «الوقوعُ في غرام امرأةٍ حين لا ينبغي لي أن أفعلَ ذلك».

قلبي يهبطُ رغم اعترافه ذاك. أكرهُ شعوره بالذّنب تجاه ما يشعرُ به. لكنّني، مع ذلك، أتفهّمهُ. بغضّ النظر عن طبيعة زواجه، أو حالِ زوجته، فإنه ينامُ في سريرها مع امرأةٍ أخرى. لا توجدُ مبرّرات كافية لذلك.

- «هل تشعرُ بالذّنب؟» أسألُه.

- «نعم». يحدّقُ بي صامتاً للحظة. «لكنّ الشعور لا يكفي وحده لكي يجعلني أتوقّف». يريحُ رأسَه إلى جانب رأسي على الوسادة.

- «بل سوف يتوقّف»، أقولُ. «يجب أن أعودَ إلى مانهاتن. فضلاً عن أنّكَ رجلٌ متزوّجٌ».

تبدو عيناه وكأنّهما تحاولان حماية أفكارٍ في رأسه لا يريدُ البوحَ بها بصوتٍ عالٍ. كلانا يبدو هادئاً في لحظةِ مكاشفةٍ خاطفةٍ. يقتربُ منّي أكثر لكي يقبّلني قبل أن يقول، «فكّرتُ بما قلتِه البارحةَ في المطبخ».

لا أتكلّمُ خوفاً مما هو على وشكِ أن يقوله. هل كان منفتحاً على كلّ ما قلتُه له؟ هل يوافق على أنّ نوعية حياته لا تقلّ أهميةً عن نوعية حياة زوجته فيريتي؟

– «اتّصلتُ بمؤسسة للرّعاية وقالوا سيأخذونها خلال هذا الأسبوع، بدءاً من يوم الاثنين. سوف تأتي إلى المنزل ثلاث مرّات في الشهر، خلال عُطَل نهاية الأسبوع». ينتظرُ ردّ فعلي.

– «أعتقد أنّ هذا لصالحكم أنتم الثلاثة».

كأنني أرى هذا يحدثُ في الزّمن الحقيقي، ويبدأ الحزنُ بالتلاشي. يختفي عنه وعن هذا المنزل. الريحُ تهبّ عبر ستائر النّافذة، والمنزلُ هادئٌ، وجيرمي يعيش بسلام. في هذه اللّحظة بالذّات قرّرتُ ما سأفعلُ بالمخطوطة.

لن أفعلَ أيّ شيء على الإطلاق.

إنّ البرهنة على أنّ فيريتي قَتَلتْ هاربر لن تجعلَ جيرمي أفضلَ حالاً. بل ستجعلهُ يشعرُ بما هو أسوأ. وسوف تفتحُ جراحاً كثيرة. بل سوف تفتحُ الجروحَ الحاليةَ، وتعمّقها.

ما زلتُ مقتنعة بأنّ وجود فيريتي قريبة منه ليس سوى مصدر خطرٍ عليه، لكنّ الأيام سوف تكشفُ عن ذلك. أظنّ أنّ جيرمي يحتاجُ إلى أمانٍ أفضل. جهاز مراقبة في غرفة فيريتي، موصول بجهازٍ حسّاس لعرض الصور في أثناء زياراتها خلال عطل نهاية الأسبوع. إذا كانت حقّاً تتظاهرُ بالمرض، فإن جيرمي سوف يكتشفُ ذلك. وإذا اكتُشفَ أمرُها فإنّه لن يدعَها تطأ قدماً في ذاك المنزل، أو تكون قريبةً بأيّ حالٍ من كرو.

والآن، وبما أنّها سوف توضع في دارٍ للرعاية، ستكون الرقابةُ عليها أشدّ.

في هذه الآونة تبدو الأمور على ما يرام. وكلّ شيء بأمان.

– «امكثي لأسبوعٍ آخر»، يقولُ جيرمي.

كنتُ أنوي المغادرة في الصباح، ولكن بما أنّني أعلمُ الآن أنّ فيريتي ستُنقل قريباً، فإنّ فكرة البقاء معه على مدى أسبوع، من دون إبريل أو فيريتي، أصبحت معقولة ومصدر غبطة لي.

- «لا بأس».

يرفعُ حاجبيه. «تقصدين، حسناً».

أبتسمُ. «حسناً».

يضغطُ بفمِهِ على معدتي، يقبّلني، ويعتليني.

لا ينزعُ القميصَ الذي أرتديه وهو يُدخِلُ عضوَهُ. يمارسُ الجنسَ معي طويلاً حتى إنّ جسدي ازدادَ رشاقةً وليونةً أمام كلّ حركةٍ من حركاته. حين أشعرُ أنّ عضلات ذراعيه تتقلّصُ تحت رؤوس أصابعي قبل وصوله ذروة النشوة، أقولُ لا أريدهُ أن يتوقّف. لا أريدهُ أن يغادرَ جسدي.

ألفّ ساقيَّ حوله بقوّة، وأقرّبُ فمه إلى فمي. يئنّ، ويغطسُ فيّ أعمق فأعمق. يقبّلني حين تأتيه الرّعشةُ. شفتاهُ قاسيتان، وأنفاسُه متقطّعة. لا يحاولُ أن يسحبَ قضيبَه، بل ينهارُ تماماً فوقي ووتده ما يزالُ في الدّاخل.

كلانا هادئٌ الآن، لأنّنا نعلمُ ماذا فعلنا للتوّ. بل لا نناقشُ في الأمرِ قطّ.

بعد أن يلتقط جيرمي أنفاسه، ينفضّ عنّي، وينزِلُ يدَه إلى الأسفل، واضعاً أصابعه بين ساقيّ. يراقبني بعينين شبقتين وهو يعزفُ ويلمُسُ منتظراً منّي أن أبلغَ الذّروةَ. حين تجتاحني الرّعشةُ لا أكترثُ إن كان صوتي عالياً فنحن هنا لوحدنا، وتلك نعمةٌ حقّاً.

حين أصلُ نهايةَ المضمار أرتخي على السّرير، ويقبّلني جيرمي مرّةً أخيرةً.

- «يجب أن أتسلّلَ خارجاً من هنا قبل أن يعودَ الجميع».

أبتسمُ وأنا أنظرُ إليه يرتدي ملابسَه. يطبعُ قبلةً على جبيني قبل أن يعبرَ الغرفةَ، ويتسلّق النّافذةَ، عائداً إلى الخارج.

لا أعلمُ لماذا لم يستخدم الباب، وهذا يجعلني أضحكُ.

أضعُ الوسادةَ على وجهي وأبتسمُ. ماذا دهاني؟ ربّما يتلاعبُ هذا المنزلُ بعقلي، فأنا نصف الوقت أرغبُ بالمغادرة على جناح السرعة، ونصف الوقت أرغبُ بالبقاء أبداً.

لا شكّ أن تلك المخطوطة تربكُ وتشوّشُ أفكاري. أشعرُ أنني بدأتُ أقعُ في غرام الرّجل، رغم أنني لا أعرفه إلّا منذ أسابيع قليلة. لكنني لا أقعُ في

غرامه فقط في الحياة الحقيقية. بل عشقته أيضاً بسبب كلمات فيريتّي عنه. كلّ شيءٍ باحت به عن الرّجل أتاح لي سبر أغواره، وهو يستحقّ أكثر بكثير مما كانت تعطيه. أريدُ أن أمنحه كلّ ما كانت قد حرمتْه منه.

يستحقّ أن يكون مع امرأةٍ تضعُ حبَّ أطفالِهِ فوق كلّ اعتبارٍ آخر.

أُزيحُ الوسادةَ عن وجهي، وأضعُها تحت وركيّ، وأرفعُ ركبتيّ عالياً كي لا يتسرّبَ شيءٌ مما تركه فيّ إلى الخارج.

-21-

حلمتُ بالطفل كرو حين خلدتُ إلى النّوم. كان أكبر سنّاً، في السادسة عشرة. لا شيءَ ذا أهميةٍ حدَثَ في حلمي، أو إذا كان ثمة من شيءٍ مهمّ فأنا لا أتذكّره. أتذكّر فقط الشعور الذي انتابني حين نظرتُ في عينيه. بدا لي شريراً. وكأنّ كلّ شيءٍ رمتْه فيريتي في طريقه، وكلّ شيءٍ رآهُ بأمّ عينه، قد انزرعَ في روحه، وحملَ أعباء ذلك كلّه في أثناء طفولته.

مرّت عدّة ساعات منذ ذلك الحين، وبقيتُ حائرةً في أمري ما إذا كان الصّمتُ على المخطوطة سيكون في صالح كرو. لقد رأى أختَه تغرقُ أمام عينيه. ورأى أمّه تفعلُ القليل من أجل إنقاذها. ورغم أنه ما زال غضّ العود، لكنّ الذكريات على الأرجح ستبقى تطارده. وسوف يعلمُ دائماً بأنها طلبتْ منه أن يحبس أنفاسَه قبل أن تقلبَ الزّورق رأساً على عقب عن سابق قصد.

أنا وكرو في المطبخ الآن لوحدنا تماماً. غادرتْ إبريل منذ ساعة، وجيرمي في الأعلى يرتّب نومَ فيريتي. أجلسُ خلف طاولة المطبخ، وآكلُ رقائق البطاطا وزبدة الفستق، وأحدّق بالطفل كرو فيما يلعبُ بشاشة حاسوبه الصغير.

- «ما الذي تلعبُه؟» أسألُ.

- «لعبة (نسف الدمية)».

على الأقلّ ليست لعبة (الانهيار) أو (النّهب الأكبر). ما زالَ فيه بعضُ الأمل.

يرمقُني بنظرة، ويرى أنّني أضعُ في فمي كِسرةً من الرقائق. يضعُ شاشتَه جانباً، ويزحفُ نحو الطّاولة. «أريدُ واحدة»، يقولُ.

أضحكُ حين أراهُ يزحفُ فوق الطّاولةِ باتجاه كيس الرّقائق. أناولُهُ سكّينَ

الزّبدة. يفرشُ قطعةً كبيرةً من الزّبدة على كسرة صغيرةٍ ويأخذُ عضّةً، ثم يعودُ للجلوس على ركبتيه. عيناهُ تمتلئان بالنّشوة. «إنّها لذيذة».

يلعقُ كرو بقايا الزّبدة عن شَفرة السكّين، فأحكُّ أنفي. «فظيع. لا ينبغي أن تلعقَ السكّين بهذه الطريقة».

يقهقهُ كأنّني قلتُ له أمراً مضحكاً.

أتكئُ إلى الخلف في مقعدي، وأنظرُ إليه بإعجاب. رغم كلّ ما مرّ به، يظلّ طفلاً طيّباً. لا يشكو كثيراً، ويظلُّ هادئاً، ويجدُ ما يسلّيه في أصغرِ الأشياء. لا أعتقدُ أنّه مشاكسٌ قطّ. لا كما رأيتُهُ في المرّة الأولى حين قابلْتُه.

أبتسمُ له. أبتسمُ لبراءتِهِ. ومع ذلك، ما زلتُ أتساءلُ هل يتذكّرُ شيئاً عن ذاك اليوم المشؤوم. هل تساعدُ ذكرياته في تحديدِ برنامج العلاج الذي يحتاجُه. وبما أنّ والده لا يعرفُ كم تحمّل كرو من والدته فيريتي، أشعرُ أنّ المهمّة تقع على عاتقي أنا. أنا التي أملكُ المخطوطة. أنا التي أتحمّلُ مسؤوليةَ إخبار جيرمي إن كان ابنه قد تعرّضَ لأذى أعمق مما يتصوّره بكثير.

– «كرو»، أقولُ، وأنا أمدّ يدي إلى زجاجة الزّبدة وأحرّكها دائرياً بين أصابعي. «هل يمكنني أن أسألكَ سؤالاً؟».

يومئ برأسِه على عجلٍ ويقولُ: «نعم».

أبتسمُ لأنّني أريدهُ أن يشعرَ بالرّاحة أمام سلسلةِ الأسئلة التي سوف أوجّهها له. «هل سبق وكان لديك زورق؟».

يتوقّف لحظةً عن لعقِ الزّبدة عن السكّين ويقول: «نعم».

أبحثُ في وجهه عن أية إشارة توحي بأنّني يجب أن أتوقّف، لا أجدُ شيئاً. «هل سبقَ ولعبتَ به. هناك فوق المياه؟».

– «نعم».

يلعقُ السكّين ثانيةً، وأشعرُ ببعض الطمأنينة لأنه لا يبدو منزعجاً من استكمال الحديث. ربّما لا يتذكّرُ أيّ شيء. إنه في الخامسة من العمر. وإدراكه لما يحدث حوله في الواقع يختلف عن إدراكِ البالغين. «هل تتذكّر أنّكَ ركبتَ الزّورق ذات يوم؟ مع أمّكَ؟ مع هاربر؟».

لا يومئُ كرو برأسه ولا يقولُ نعم، بل يحدّق بي، ولا أعلمُ إن كان خائفاً من الإجابة عن السؤال، أم إنّه لا يتذكّر شيئاً. ينظرُ نحو الأسفل إلى الطّاولة، ويقطعُ حبلَ النظرات بيننا. يضعُ السكّين ثانيةً في وعاءِ الزّبدة ثم يرفعُها ويضعُها في فمِهِ، مطبقاً شفتيه فوقها.

– «كرو»، أقولُ مقتربةً منه أكثر، وأضعُ يدي بحنوٍّ على ركبتِه. «لماذا انقلب الزورقُ رأساً على عقب؟».

عينا كرو تنظران إليّ وهو يسحبُ السكّين من فمه للحظة تكفي لكي يقول: «ماما قالت لا يجب أن أتحدّث إليكِ إذا سألْتني أسئلةً عنها».

أشعرُ أنّ اللّون اختُطفَ من وجهي لدى سماعي هذا، فيما كرو راح يسحب السكّينَ من فمِهِ بلا مبالاة. أمسكُ بحافّة الطّاولة وفرائصي ترتعدُ. «هي...أمّك تتكلّمُ إليك؟»

يحدّق كرو بي لبضع ثوانٍ ولا يأتي بجواب، ثمّ يهزّ رأسه مع تلك النظرة في عينيه التي جعلتني أشعرُ أنه قد يتراجعُ عمّا قاله.

– «كرو! هل تتظاهرُ أمّكَ بأنّها غير قادرة على الكلام؟».

أسنان كرو تعضّ على بعضها، في حين مازالت سكّين الزّبدة في فمِهِ. أرى السكّين تنزلقُ بين أسنانه، وتجرحُ لثّته.

يبدأ الدّمُ يسيلُ من سنّه الأمامي، منحدراً على شفتيه. أدفعُ الكرسيّ بقوة إلى الخلف حتى إنّها ترتطم بالأرض، ثم أُمسِكُ قبضةَ سكّين الزّبدة وأسحبُها من فمِ كرو.

– «جيرمي!».

أغطّي فمَ كرو بيدي، وأبحث عن منشفة قريبة من متناولي. لا أعثرُ على شيء. كرو لا يبكي لكنّ عينيه مليئتان بالخوف.

– «جيرمي!» أصرخُ الآن بأعلى صوتي أوّلاً لأنّني أريده أن يساعدني بإسعاف كرو، وثانياً لأنّ ما حدث أدخلَ الرّعب في قلبي.

جيرمي الآن هنا، أمام كرو، يحرفُ رأس ابنه إلى الخلف، ناظراً إلى داخل فمه. «ماذا حدث؟».

– «هو...» لا أستطيعُ حتى أن أنطق بالكلمة. وأجدُ صعوبةً بالتنفّس. «لقد عضّ بأسنانه على السكّين».

– «يحتاجُ قطباً في فمه». ينقلُهُ جيرمي إلى الأعلى. «أحْضري لي مفاتيحي. إنّها في غرفة الجلوس».

أهرعُ إلى غرفة الجلوس، وألتقطُ مفاتيح جيرمي عن الطاولة. ثم أخرجُ وأتبعهما إلى المرآب حيث يركن جيرمي سيارة الجيب. تغرورق الدموعُ في عينيّ كرو كأنّ الألمَ بدأ يفعلُ فعله. يفتح جيرمي الباب الخلفي ويضع كرو في مقعده المخصص. أفتحُ البابَ الأمامي وأهمّ بالصعود إلى الجيب.

– «لوين»، يقولُ جيرمي. ألتفتُ إليه في اللحظة التي كان يوصدُ فيها البابَ على كرو. «لا أستطيع أن أتركَ فيريتي وحيدةً هنا. أريدكِ أن تبقي».

قلبي يسقط عميقاً إلى قعرِ معدتي. يساعدني جيرمي في النزول من السّيارة حتى قبل أن أنطقَ بكلمة أو أرفض طلبه. «سوف أتّصلُ بكِ بعد أن يراه الأطبّاء». يخطفُ مفاتيحَه من يدي، وأتجمّدُ في مكاني وأنا أراقبه يرجعُ بالسيارة إلى الوراء مغادراً فسحةَ المرآب. يأخذُ منحنى الطّريق الفرعي، ويختفي في البعيد.

أنظرُ إلى يديّ اللتين يغطّيهما دمُ كرو.

لا أريدُ أن أكون هنا. لا أريد، لا أريد. أنا أكره هذا العمل.

بعد مضيّ عدّة ثوانٍ أدركُ أن لا أهمية لما أريدُ أو لا أريدُ. أنا هنا تحت سقفٍ واحدٍ مع فيريتي، وينبغي أن أتأكّد بأنّ بابَها مقفلٌ. أهرعُ إلى المنزل، صاعدةً الدرج، إلى غرفتها. بابُها مشرعٌ على مصراعيه ربّما لأنّ جيرمي غادرَ على عجَلٍ حين نزلَ إلى غرفة الجلوس.

إنّها في فراشِها. الشراشفُ فوقها منزاحةٌ قليلاً بعيداً عن جسدها، وإحدى ساقيها تتدلّى من السّرير، كأنّ جيرمي سمعني أصرخُ قبل أن يضعَها نهائياً في سريرها.

هذه ليست مشكلتي.

أوصدُ البابَ، وأحكمُ قفلَه. ثمّ أفكّر بماذا يجب أن أفعل لكي أضمنَ

سلامتي. أهرعُ راكضةً على الدرج حين أتذكّرُ أنّني رأيتُ جهازَ المراقبة، الخاصّ بالأطفال، في قبو المنزل. آخرُ مكانٍ أتمنّى أن أزورَه هو القبو، لكنني أغالبُ خوفي، وأستخدمُ إضاءة هاتفي النقّال، وأنزلُ إلى الطابق السفلي. حين كنتُ هنا مع جيرمي لم أقمْ بتفقّد كلّ التفاصيل. أعرفُ أنّ ثمة بعض الصناديق المرتّبة فوق بعضها كانت ما تزالُ مقفلة.

وأنا أتجوّل في الأسفل على ضوء هاتفي الخليوي لاحظتُ أنّ جميع الصناديق تقريباً نُقلت من مكانها، وتُركتْ مفتوحةً، كأنّ شخصاً ما كان يتحرّى محتوياتها. الظنّ الذي ساورني بأن تكون فيريتي هي وراء هذا الفعل يعجّلُ من مهمّتي. لا أريدُ أن أبقى هنا أطول مما أرغب. أتوجّه إلى المكان الذي رأيتُ فيه جهازَ المراقبة ظاهراً للعيان. أتذكّر أنه كان موضوعاً في الأعلى، داخل صندوقٍ لم يُفتح بعد على غرار الصّناديق الأخرى.

لكنّ الصندوقُ نُقل من مكانِهِ.

في اللحظة التي كنتُ فيها على وشكِ الاستسلام والعودة خائبة من رحلة البحث بسبب خوفي من هذا المكان، لمحتُ الصندوقَ على الأرض، على بعدِ أقدامٍ منّي. آخذُ الجهازَ مع المستَقْبِل الخاصّ به، وأهرعُ خارجةً من القبو. أصعَدُ درجَات السلّم وقلبي يخفقُ سريعاً في صدري. تعودُ إليّ الطمأنينة حين أفتحُ الباب الخارجي، وأهربُ.

أفكّ الوصلات المتشابكة عن بعضها، وأغرزُ سلك الجهاز في علبة الحائط، بالقرب من حاسوب فيريتي. أهرعُ صاعدةً الدرج، ولكن قبل أن أُكملَ طريقي إلى الأعلى، أتوقّفُ. أعودُ أدراجي، وأتوجّهُ إلى المطبخ، ثم أختارُ سكّيناً، أحضرها معي.

حين وصلتُ إلى غرفة فيريتي للمرّة الثانية كنتُ أمسكُ السكّين بيد، وأفتحُ قفلَ بابها باليد الأخرى. لم أرها تحرّكُ ساكناً. ساقُها ما تزالُ تتدلّى من السرير. أستديرُ بظهري إلى الحائط، أجدُ خزانتها الصغيرة، وأضعُ الجزء الثاني من جهاز المراقبة خلفها. أوجّهُهُ تماماً على سريرها، وأضغطُ زرّ التشغيل.

أعودُ إلى الباب، وأتردّدُ قليلاً قبل أن أخرجَ من حجرتها. آخذُ خطوةً

واحدة إلى الأمام، والسكّين في يدي، وأرفعُ لها ساقَها بأقصى سرعةٍ ممكنةٍ، ثم أتركُها تنزلُ على السّرير. أرمي الشراشف فوقها، وأرفعُ قوائمَ السرير إلى الأعلى، وأوصدُ الباب خلفي، ثم أخرج إلى الردهة.

ثم أقفلُ بابَها.

اللّعنة على كلّ هذا.

أنفاسي تتسارعُ حين أصلُ المطبخَ وأقفُ خلف المغسلة. أنظّف يديَّ من دم كرو بعد أن يبست قطراتٌ منه على جلدي. وأمضي دقائق إضافية أنظّفُ الطاولةَ والأرضيةَ الخشبيةَ من بقعِ الدّم.

ثمّ أعودُ إلى المكتب، وأجلسُ قبالةَ جهازِ المراقبة.

أتقصّدُ إبقاءَ كاميرا الهاتف الخليوي في حالة تأهّب تحسّباً لأيّة حركة قد تقومُ بها. إذا قامت بأية حركة... أريدُ لجيرمي أن يراها بأمّ عينِه.

أنتظر.

تمرّ ساعة كاملة وأنا أنتظر. أراقبُ تلفوني تحسباً لأية مكالمة تأتي من جيرمي. أراقبُ الجهاز لعلّي أكتشفُ أكاذيبَ فيريتي. أنا خائفة جدّاً ولا أريدُ أن أغادر المكتب، وبالتالي لا أملكُ سوى أن أنتظر. رؤوس أصابعي بدأتْ تؤلمني من كثرةِ النقْر على سطح المقعد.

حين مرّت نصفُ ساعةٍ أخرى لاحظتُ أنّني عدتُ إلى الشكّ بنفسي مرّةً ثانية. **كان يجب أن تتحرّكَ لو كانت قادرة على الحركة.** وخاصّة أنّها لم تفتحْ عينيها قطّ. لم ترني أضعُ جهازَ المراقبة، لأنّ عينيها ظلّتا مطبقتين، حتى إنّها لا تعلم أنّ الجهازَ موجودٌ.

إلّا إذا كانت قد فتحتهما وأنا أهرعُ راكضةً على الدرَج. إذا كانت هذه هي الحالة، فإنها رأتْ جهاز المراقبة، وتعلمُ أنني أقومُ بمراقبتها.

أهزّ رأسي. **يكادُ يُجنّ جنوني.**

بقي لي فصلٌ واحدٌ وأنتهي من قراءة مخطوطتها. ينبغي أن أضع النقاط على الحروف إذا لا بدّ لي أن أمكث في هذا المنزل لمدّة أسبوعٍ آخر. لا يمكنني أنّ أستمرّ في هذا التأرجح في التفكير، تارّةً أظنّ أنني في خطرٍ، وتارّةً

أحسبُ أنّني فقدتُ عقلي. أستجمعُ الصفحات الأخيرة، وأُبقي كرسيّ موجّهاً صوب جهازِ المراقبة. سوف أبدأ القراءة، مع الحرص على مراقبةِ كلّ حركةٍ تقومُ بها.

الفصل الخامس عشر

بضعةُ أيامٍ فقط مرّتْ على وفاةِ هاربر لكنني أشعرُ أنّ عالمي انزاح من مكانه، وتعرّضتُ لخلخلةٍ فاقت كلّ السّنوات التي عشتُها فوق هذه الأرض.

جاء رجالُ الشّرطة وسجّلوا أقوالي. حضروا لمرّتين متاليتين. وهذا مفهومٌ لأنهم يريدون أن يتأكّدوا أنه لا توجدُ ثغرات في قصّتي. هذا عملهم. كانت أسئلتهم بسيطةً للغاية. ولم أجد صعوبة في الإجابة عنها.

- «هل تشرحين لنا ماذا حدث؟».

- «هاربر مالتْ بجسدها على حافّة الزّورق. اختلّ توازنُ الزّورق وانقلبَ رأساً على عقب. سقطنا جميعاً في الماء، لكنّ هاربر لم تخرجْ قطّ. حاولتُ البحثَ عنها، لكنّ التعبَ أعياني، وانقطعتْ أنفاسي، وكان عليّ أن أسبحَ وأنقلَ كرو إلى برّ الأمان».

- «لماذا لم يكونا الطفلان يرتديان اللّباس الواقي ضدّ الغرق؟».

- «ظنّنا أنّنا فوق مياهٍ ضحلة. في البداية كنّا قريبين جدّاً من الرّصيف البحري، ثمّ... لم نعدْ قريبين».

- «أين كان زوجك؟».

- «كان يتبضّع في متجرٍ قريب. طلبَ منّي أن آخذَ الأطفالَ إلى المياه قبل أن يغادرَ».

أجبتُ على جميع الأسئلة التي طُرحتْ مع نوبات بكاء متقطّعة بين الإجابة والأخرى. تعمّدتُ المبالغة في إظهارِ تأثّري كأنّ موتَها سبّب لي ألماً جسدياً. أعتقدُ أنّ أدائي كان جيّداً حتى إنّهم شعروا بالحَرَج ولم يطرحوا المزيدَ من الأسئلة.

كان بودّي أن أقولَ الشّيءَ ذاته عن جيرمي.

لكنّه كان أكثر سوءاً من المحقّقين.

لم يتركْ كرو يغيبُ عن أنظاره منذ وفاة هاربر. صرنا ننامُ ثلاثتنا في الغرفة الرئيسية، في الطّابق السفلي. كرو في المنتصف؛ طفلٌ آخر يفصلُ بيننا. لكنّ هذه الليلة كانت مختلفة. الليلة قلتُ لجيرمي أريدُ أن أحضنَه، فوضع كرو على الطّرف الآخر من السّرير، القريب منه، وصارَ هو في المنتصف. ضمَمتُه لأكثر من نصف ساعة، على أمل أن نخلدَ إلى النوم ونحن على تلك الوضعية، لكنّه لم يكنْ ليوقفَ سيلَ أسئلته اللّعينة.

- «لماذا أخذْتِهما إلى الزّورق؟».

- «لأنّهما أرادا الذّهاب»، قلتُ.

- «لماذا لم يرتديا ملابس واقية ضدّ الغرق؟».

- «ظننتُ أنّنا لن نبتعد كثيراً عن الشّاطئ».

- «ما آخرُ شيءٍ قالتهُ لكِ؟».

- «لا أتذكّر».

- «هل كانت ما تزالُ على سطح الماء حين وصلتِ مع كرو إلى الشّاطئ؟».

- «كلّا. لا أعتقدُ ذلك».

- «هل كنتِ تعرفين أنّ القارب سيميلُ وينقلب؟».

- «كلّا. حدث كلّ شيءٍ بسرعة فائقة».

توقفتِ الأسئلةَ لبعض الوقت، لكنني كنتُ أعرفُ أنّه ما يزالُ مستيقظاً. أخيراً، وبعد عدّة دقائق من الصمت، قال: «أنا لم أقتنع قطّ بكلّ هذا الهراء».

- «عن أيّ شيءٍ تتحدّث؟».

انسحبَ إلى الخلف تاركاً مسافةً بين وجهي وصدره. كان يريدني أن أنظرَ إليه، فرفعتُ رأسي.

لمسَ خدّي برؤوسِ أصابعه. «لماذا طلبتِ من كرو أن يحبسَ أنفاسَه يا فيريتي؟».

تلك كانت اللحظة التي عرفتُ فيها أنّ كلّ شيءٍ قد انتهى.

تلك كانت اللحظة التي عرفَ فيها أن كلّ شيءٍ قد انتهى.

بالنسبة إلى رجلٍ كان يظنّ أنه يعرفُ زوجتَه... تلك حقاً كانت المرّة الأولى التي فهمَ فيها النّظرةَ في عينيّ. وكنتُ أعلمُ أنّني مهما حاولتُ إقناعَه... فسوف لن يصدّقني ويكذّبَ كرو. إنه ليس من هذا الصنف من الرّجال. إنه يضعُ أطفالَه في المقام الأوّل، ويفضّلهم على زوجتِه، وهذا ما كنتُ أكرهُه فيه أكثر من أيّ شيءٍ آخر.

مع ذلك، حاولتُ أن أفعلَ ما بوسعي. حاولتُ إقناعه. لكن من الصعب أن أكون مقنعةً والدموع تسيلُ على وجنتيّ، وصوتي يرتعش، وأنا أقولُ، «قلتُ له أن يحبسَ أنفاسَه ونحنُ نغرقُ. ليس قبل أن ينقلبَ الزّورق».

حدّق بي للحظات. ثمّ أشاحَ بوجهه. انسحبَ مبتعداً عنّي، وأدركتُ أنها ستكون المرّة الأخيرة. أدارَ ظهره لي، واحتضنَ كرو بين ذراعيه، وكأنه يريدُ أن يكون له الدرعَ الواقي والوحيد.

حاميهُ الوحيدُ.

منّي.

حاولتُ أن أرقدَ ساكنةً بلا حراك كي يظنّ بأنّني نمتُ، لكن كلّ ما فعلته هو أن أبكي بصمت. حين بدأتْ دموعي تزدادُ غزارةً، خرجتُ إلى مكتبي، وأوصدتُ البابَ خلفي قبل أن يسمعَ جيرمي شهقاتي.

حين جلستُ خلفَ طاولتي، فتحتُ المخطوطةَ وبدأتُ أكتبُ. شعرتُ أنه لم يبقَ لي ما أقولُهُ. لا مستقبلَ أستطيعُ الكتابةَ عنه. لا ماضٍ أتوبُ إليه.

هل وصلتُ إلى نهاية قصّتي؟

لا أعلمُ ماذا سيحدثُ لاحقاً. على نقيض توقّعاتي بالجريمة التي قتلتْ تشاستين، لا أعلمُ كيف ستنتهي حياتي.

هل ستنتهي على يديّ جيرمي؟ أم ستنتهي على يديّ أنا؟

أو ربّما لن تنتهي أبداً. قد يستيقظُ جيرمي غداً ويجدني نائمةً بجانبه. ربّما سوف يتذكّرُ كلَّ الأوقات الحلوة التي عشناها معاً، وكلّ لحظات الجِماع، وكلّ المصّ والبلعِ. وسوف يدركُ كم من الوقتِ ما زال أمامنا لنعيدَ الكرّة، خاصّة أنّنا الآن نعيشُ مع طفلٍ واحدٍ فقط.

أو... ربّما سوف يستيقظُ مقتنعاً أنّ موتَ هاربر لم يكن حادثاً عَرَضياً. وربّما سوف يبلّغُ الشرطة عنّي. ربّما يريد أن يراني أتعذّبُ عقاباً لما اقترفتْهُ يداي.

إذا كانت تلك هي الحالة... لا ضيرَ في ذلك.

سوف أصدمُ سيارتي بشجرةٍ وكفى.

النهاية

-22-

لم أكنْ قد استوعبتُ تماماً مغزى تلك النهاية حين سمعتُ سيارةَ جيرمي تدخلُ فسحةَ المرآب. أكدّسُ أوراق المخطوطة فوق بعضها في شكل كومة، وأرمي نظرةً باتجاهِ جهاز المراقبة. لم تكن فيريتي قد حرّكتْ ساكناً بعد.

جيرمي بات يشكُّ بها؟

أجسُّ رقبتي بأصابعي لعلّني أتخلّصُ من التوتّرِ الذي غزا عضلاتي بسبب هذا الفصل الأخير. كيف له أن يستمرّ في العناية بها؟ يحمّمُها ويبدّلُ لها ملابسَها حتّى آخر لحظةٍ من حياته؟ هل هو مدينٌ لها بوعودٍ لا يريدُ أن يحنثَ بها؟

إذا كان حقّاً يظنّ أنّها قد قتلتْ هاربر كيف يطيقُ العيشَ معها تحت سقفٍ واحد؟

أسمعُ بابَ المرآبِ يُفتَحُ، فأمشي باتجاه باب المكتب، وأخرجُ إلى الرّدهة. جيرمي يحملُ كرو بين ذراعيه ويقفُ أسفل الدَّرَج.

– «ستّ قُطَبٍ»، يهمسُ قائلاً. «أدوية كثيرة مضادّة للألم. سيشعرُ بالبرد طوال اللّيل». يصعدُ الدَّرَج مع كرو، من أجلِ أن يضعَه في فراشه. لا أسمعُه يتفقّدُ فيريتي في طريق العودة، قبل أن ينزلَ الدَّرج إلى المكتب.

– «هل تريدُ بعضَ القهوة؟» أسأله.

– «من فضلكِ».

يتبعُني إلى المطبخ، ويعانقني من الخلف، متنهّداً في أذني بينما كنتُ أضعُ الركوة على النّار. أميلُ برأسي إلى رأسِه، وفي داخلي الكثيرُ من الأسئلة. لكنني لا أقولُ شيئاً لأنني لا أعلمُ من أين أبدأ.

أدورُ حولي نفسي، بينما القهوة تغلي، وأضمّه بين ذراعيّ. نبقى ملتصقَين لعدّة دقائق، أعانقُه ويعانقُني في غرفة المطبخ. وقبل أن يفكّ ذراعيه من حولي يقولُ: «ينبغي أن أستحمّ. ثمة دمٌ يابسٌ على كافّة أنحاء جسدي».

ألحظُ ذلك إذن. قطراتٌ فوق ذراعيه، وبقعٌ على قميصِه. كأننا امتهنّا قطراتِ الدّم تلك. إنّها خاصّيتنا منذ البداية أن نكون ملطخين بالدماء. مع ذلك يسعدني أنّني لا أؤمن بالخرافات.

- «سوف أنتظركَ في المكتب».

نتبادلُ القُبل قبل أن يهرعَ جيرمي ويصعدُ الدَّرَج. أنتظرُ القهوة حتّى تغلي من أجلِ أن أسكبَ فنجاناً وأخرجُ. ما زلتُ حائرةً لا أعرفُ كيف أبدأ أسئلتي له، ولكن بعد قراءتي لذاك الفصل الأخير، بات لديّ المزيد منها. أظنّ أنّ ثمة ليلةً طويلةً ستكون بانتظارنا.

أسمعُ صوتَ الماء المنسكبِ على جسدِه في الحمّام وأنا أملأُ فنجان قهوتي. أحملُه معي إلى غرفة المكتب، ثم فجأةً أتعثّرُ، وأدلقُه على الأرض. يتهشّمُ الفنجانُ نتفاً صغيرةً، وينسكبُ السّائل الساخنُ على ساقيّ، ويجري متغلغلاً بين أصابعِ قدميّ، فأقفُ جامدةً لا أستطيعُ الحراك.

أتجمّدُ في مكاني وأنا أحدّقُ بشاشة جهاز المراقبة.

فيريتي على الأرض. تماماً على يديها وركبتيها.

أهرعُ لأجدَ تلفوني في اللّحظة التي أصرخُ فيها اسمَ جيرمي.

- «جيرمي!».

رأسُ فيريتي يميلُ إلى جانبٍ واحدٍ، كأنّها سمعتْ صرختي من الطّابق العلوي. وقبل أن أستطيعَ فتحَ شاشة التلفون، وأحضّر الكاميرا بأصابعي المرتجفة، رأيتُها تزحفُ عائدةً إلى سريرها. ثم تنامُ في الوضعيةِ ذاتها. وتُسْكِتُ كلَّ حركة.

- «جيرمي!» أصرخُ ثانيةً، وأرمي تلفوني جانباً. أركضُ نحو المطبخ وأحملُ سكّيناً. أهرعُ على الدَّرَج الصّاعد باتجاه غرفة فيريتي مباشرةً. أزيحُ القفلَ، وأفتحُ البابَ على مصراعيه.

- «انهضي!» أصرخُ بصوتٍ عالٍ.

لا تحرّكُ ساكناً. بل لا يهتزُّ لها شعرة.

أنزعُ أغطيةَ السّرير عنها. «انهضي، يا فيريتي! لقد رأيتكِ». الغضبُ يستحوذُ عليّ وأنا أُخفضُ إحدى جوانب سريرها الطبّي. «لن أدعكِ تفلتينَ هذه المرّة».

أريدُ لجيرمي أن يراها على حقيقتها قبل أن تغتنم أوّل فرصة وتلحق به الأذى. أو تتسبّب بمكروه للطفلِ كرو. أُمسكُ كاحليها وأجرّها من ساقيها. كنتُ قد جررتُ نصفها خارج السرير حين امتدّت يدٌ وسحبتْها منّي. استدرتُ واصطدمتُ بالباب. جيرمي يثبّتُ لي قدميّ خلف ردهة الباب.

- «بحقّ الجحيم ماذا تفعلين، يا لوين؟» وجههُ وصوتُهُ طافحان بالغضب.

أخطو إلى الأمام، وأضغطُ بيدي على صدره. يسحبُ السكّين من يدي، ويُمسكني من كتفيّ. «توقّفي».

- «إنّها تمثّلُ دوراً. لقد رأيتُها، أقسمُ لكَ، إنّها تتظاهرُ بالإصابة».

يدلفُ إلى غرفتها ويوصدُ البابَ في وجهي. أفتحُ البابَ، فأراه ينقلُ فيريتي من ساقيها إلى السّرير. حين يراني أدخلُ الغرفةَ ثانيةً، يرمي الأغطية فوق جسدِ فيريتي، ويدفعني دفعاً إلى الخارج، باتجاه الردهة. يستديرُ ويقفلُ البابَ، ثمّ يُمسكني من رسغي ويجرّني وراءه.

- «جيرمي، لا». أتمسّكُ بيده التي تمسكُ معصمي بكلّ قوّة. «لا تتركْ كرو وحيداً هنا معها».

صوتي يتوسّلُ إليه لكنّه لا يسمعُ القلقَ العارمَ في نبرة صوتي. يستطيعُ أن يرى فقط ما يظنّه حقيقياً، وما رآه منّي بأمّ عينه حين دخل الغرفةَ. حين وصلنا إلى أعلى الدّرج، سحبتُ جسدي إلى الخلف، رافضةً النزول معه. يجب أن يُنقلَ كرو إلى الطابقِ في الأسفل. يُمسكني من خصري ويرفعُني على كتفهِ، ثم يحملُني على الدَّرَج باتجاه غرفتي. يضعُني على الفراش بلطفٍ وحنوّ حتّى وهو في غمرة غضبِه العارم.

يتوجّهُ إلى خزانتي. يحملُ لي حقيبةَ ملابسي، ويجمعُ أشيائي. «أريدكِ أن تغادري».

أنهضُ على ركبتيّ، وأنتقلُ إلى طرف السرير، إلى حيث كان يضعُ جميع أشيائي في الحقيبة. «يجب أن تصدّقني».

لا يصدّقني.

– «اللعنة، يا جيرمي»، وأشيرُ بيدي إلى أعلى الدَّرَج. «إنّها امرأةٌ مجنونةٌ! لم تتوقّفْ عن الكذب عليك منذ اليوم الأول الذي التقتْكَ به».

لم أرَ حقداً وريبةً ينسكبان من بشريّ بتلك القوّة مثلما رأيتُهما فيه. الطّريقةُ التي كان ينظرُ إليّ فيها أدخلتِ الرّعبَ إلى نفسي، ما اضطرّني إلى التّراجع إلى الوراء.

– «إنها لا تمثّل دوراً يا لوين!» يرفعُ يده في الهواء مشيراً إلى الطابق العلوي. «المرأةُ عاجزة. ودماغُها ميتٌ عملياً. هي مجرّد أشياء تتراءى لكِ منذ أن وصلتِ إلى هنا». يرمي المزيدَ من الملابس في الحقيبة وهو يهزُّ رأسَه. «هذا مستحيل!» يقولُ مغمغماً.

– «ليس مستحيلاً. وأنتَ تعرفُ أنّه ليس مستحيلاً. لقد قتَلَتْ هاربر، وأنتَ تعرف هذا. وساوركَ الشكّ بها منذ البداية». أنزلُ من السّرير وأهرعُ باتجاه الباب. «أستطيعُ إثباتَ ذلك».

يتبعني وأنا أسرعُ باتجاه مكتبِ فيريتي. ألتقطُ المخطوطةَ، وأجمعُ كلّ صفحةٍ فيها، ثم ألتفتُ نحوه في اللّحظة التي يقتربُ فيها منّي، وأضربُها على صدرِه. «اقرأ هذا!».

يمسكُ بصفحات المخطوطة وينظرُ إليها مليّاً. ثمّ يعودُ وينظرُ إليّ. «أين وجدْتِ هذه؟»

– «إنّها مذكّراتها. تجدُ كلّ شيءٍ هنا. على الأقلّ اقرأ الفصلين الأخيرين، فأنا لا يهمّني. فقط، اقرأها من فضلكَ». أشعرُ بأنّي منهكةٌ ولم يعدْ لديّ ما أقولُه سوى تلك التوسّلات. فأتوسّل إليه بكلّ هدوءٍ. «من فضلكَ، جيرمي. من أجل الطفلتين».

ما يزالُ ينظرُ إليّ وكأنّه لا يصدّقُ حرفاً واحداً يخرجُ من فمي. ليس عليه أن يصدّقني. يكفي أن يقرأ تلك الصفحات ويرى ماذا كانت زوجته تفكّر به حقّاً في جميع تلك اللّحظات التي كانا فيها معاً، وسوف يعرفُ أنّني لستُ أنا التي ينبغي أن يقلقَ منها أو عليها.

أشعرُ بخوفٍ دفينٍ يجتاحني رويداً، رويداً. خوفي من أن أفقدَه. إنّه يظنّ بأنني فقدتُ عقلي، وأنني أحاولُ إيذاءَ زوجته. يريدني أن أتركَ منزلَه. يريدني أن أخرجَ من هنا حالاً ولا يريدُ أن يرى وجهي ثانيةً.

عيناي تحرقانني فيما الدموعُ تنهمرُ على خدّيّ.

- «من فضلكَ»، أهمسُ. «من فضلكَ. إنّك تستحقّ أن تعرف الحقيقة».

-23-

كنتُ أتوقّع أن تستغرق قراءتَه للمخطوطة كاملةً وقتاً لا بأسَ به. أجلسُ على سريري، وأنتظر. المنزلُ أكثر سكينةً من أيّ وقتٍ مضى. هدوءٌ محيّرٌ يشبهُ السكونَ الذي يسبق العاصفة.

أطيلُ التحديقَ بحقيبتي، وأتساءلُ ما إذا كان سوف يصرّ على مغادرتي بعد كلّ هذا. خلال الفترة التي أمضيتُها هنا أبقيتُ المخطوطة بعيداً عن متناوله، وأخفيتُها عنه كسرّ من الأسرار. قد لا يسامحني على هذه الفعلة أبداً.

أعرفُ أنه لن يسامحَ فيريتي أبداً.

عيناي تنظران إلى السقف حين أسمعُ صوتَ ارتطامٍ قادمٍ من الأعلى. لم يكن صوتاً عالياً، لكنّ مصدره الغرفة التي يجلسُ فيها جيرمي. لم يكن قد مضى عليه وقتاً طويلاً وهو يجلسُ هناك، لكنّه ربّما تصفّحَ ما يكفي من المخطوطة ليعرفَ أنّ فيريتي لم تكن المرأة التي كان يظنّها على أرضِ الواقع.

أسمعُ صيحةً هادئةً وخفيضةً، هي صرختُهُ من دون شكّ.

أرتمي على السرير، وأحضنُ الوسادةَ، وأُطبقُ عينيّ بإحكامٍ شديدٍ. يقتلُني الآن أن أعرف بأنّه يتعذّبُ مع كلّ صفحةٍ يقرؤها، مطّلعاً على حقيقةٍ صادمةٍ قاسيةٍ، لم يكن ينبغي أن يُكتبَ عنها قطّ.

خطواتٌ فوقي الآن، تروحُ وتجيءُ، باتجاه الدَّرج في الأعلى. لم يمضِ عليه وقتٌ طويلٌ هناك كي ينهي المخطوطةَ كاملةً، لكنّني أفهمُ ذلك. لو كنتُ مكانه لقفزتُ فوق صفحاتٍ كثيرة وذهبتُ مباشرةً إلى الفصل الأخير لأرى ماذا حدثَ فعلاً لهاربر.

أسمعُ باباً يُفتَحُ. أركضُ عبر الردهة باتجاه غرفة المكتب، وأنظرُ إلى جهازِ المراقبة.

جيرمي يقفُ قبالة باب فيريتي وينظرُ إليها. أستطيعُ أن أراهما جيّداً عبر شاشة الجهاز. - «فيريتي».

لا تجيبُه، بالطّبع. لا تريدُه أن يعرفَ بأنّها تمثّل خطراً داهماً. وقد تكون تلعبُ هذا الدور طوال هذا الوقت لأنها تخشى بأن يسلّمها إلى الشرطة. ومهما تكن الأسباب، كنتُ متأكّدة أن جيرمي لن يخرج من تلك الغرفة قبل أن يسمعَ جواباً شافياً.

- «فيريتّي»، يقولُ، متقدّماً خطوةً إضافيةً باتجاهها. «إذا لم أسمعْ منكِ ردّاً فسوف أتّصلُ بالشرطة».

تظلّ ساكتةً لا تجيبُهُ. يكبو فوقها، ويفتحُ لها أحدَ جفنيها. يحدّقُ بها للحظة، ثم يمشي باتجاه الباب. **إنّه لا يصدّقني.**

لكنّه سرعان ما يتمهّلُ كمن يستجوب نفسَه. أو يتأمّل مليّاً ما قرأه. يستديرُ عائداً إليها. «حين أخرجُ من هذه الغرفة سآخذُ مخطوطتكِ مباشرةً إلى الشرطة. سيرمونكِ بعيداً، ولن تريني أو تري كرو ثانيةً إذا لم تفتحي عينيكِ وتخبريني ماذا يحدثُ في هذا البيت».

تمضي عدّة ثوانٍ. أنا أحبسُ أنفاسي منتظرةً منها أن تتحرّكَ. أريدُها أن تتحرّك كي يصدّقَ جيرمي بأنّني أقولُ الحقيقةَ.

شهقةٌ هربتْ من حنجرتي حين فتحتْ عينيها. أغطّي فمي بيدي خوفاً من أن تتحوّلَ الشّهقةُ إلى صرخةٍ. أخشى أن أوقظَ كرو، وهذا ما لا يجب أن يراه أو يمرّ به.

يتشنّجُ جسدُ جيرمي من رأسه إلى أخمص قدميه، متراجعاً خطواتٍ إلى الوراء بعيداً من سريرها، وممسكاً رأسَه بكلتا يديه. «يا للعنة، ماذا يحدثُ يا فيريتّي!».

تبدأ فيريتي بهزّ رأسِها يمنةً ويسرةً. «كان عليّ أن أفعلَ ذلك، يا جيرمي»، تقولُ، ثمّ تجلسُ في الفراش. وتختارُ لنفسها وضعيةً دفاعيةً، كأنّما تتحسّبُ لما يمكن أن يقومَ به.

ما يزال جيرمي في حالة الصدمة وعدم التصديق. وجهُهُ يطفحُ بالغضب والحيرة والشعور بالخيانة. «كلّ هذا الوقت... وأنتِ...» إنه يحاولُ أن يُبقي

صوتَه منخفضاً، لكنّه يبدو وكأنّه على وشكِ الانفجارِ في وجهها. يستديرُ ويفرّغُ غضبَه بلكمةٍ على الباب تجعلُ فيريتّي تجفَلُ من مكانِها.

ترفعُ كلتا يديها عالياً. «أرجوكَ لا تؤذني. سوف أشرحُ لكَ كلّ شيءٍ».

– «تريدينني بأن لا أؤذيكِ؟» جيرمي يستديرُ باتجاهها، متقدّماً خطوةً نحوها. «لقد قمتِ بقتْلها يا فيريتّي».

أستطيعُ أن أسمعَ الغضبَ في نبرة صوته رغم أنني أشاهد شاشة جهاز المراقبة فحسب. لكنّ فيريتّي تديرُ ظهرها له. تحاولُ أن تقفزَ من السّرير، وتتجنّبَ غضبَه، لكنّه يمنعُها. يُمسكها من ساقها ويحني جذعَها إلى السرير. حين تبدأُ بالصراخ، يضعُ يدَه على فمِها.

يتصارعان. تحاولُ أن توجّه رفسةً باتجاهه. يحاولُ أن يُبقي جسدَها تحته. ثمّ تمتدّ يدُهُ الأخرى وتحيطُ بعنقها، وتحاصرُ حنجرتَها كالدائرة.

لا، يا جيرمي.

أهرعُ راكضةً إلى حجرة فيريتّي، وأقفُ من فوري قبل أن أصلَ إلى الباب. ما يزالُ جيرمي فوقها. ذراعاها جامدتان تحت ركبتيه، وساقاها ترفسان السّرير، وقدماها تخترقان الفراشَ فيما تئنُّ تحتَه.

تحاولُ أن تدافعَ عن نفسها، وتدفعُه بعيداً عنها، لكنّه يسيطرُ عليها من كلّ الجوانب.

– «جيرمي!» أندفعُ باتجاهه وأحاولُ سحبَه عنها. كلّ ما أستطيعُ التفكير به هو كرو، ومستقبل جيرمي، وكيف أن غضبَه لا يجب أن يجعلَه يخسرُ حياةً بأكملها. أقصد حياتَه. «جيرمي؟».

إنّه لا يصغي إليّ. ويرفضُ أن يفلتَها من بين يديه. أحاولُ أن أقفَ في وجهه، وأهدّئه، وأستخدمُ شيئاً من العقل. «يجب أن تتوقّف. إنّكَ تهشّم قصبتَها الهوائية. سيعرفون أنّكَ قمْتَ بقتْلها».

الدموعُ تنسكبُ على خدّيه. «لقد قتَلَتْ ابنتَنا يا لوين». صوتُه مملوءٌ بالفجيعة.

أمسكُ وجهَه بين يديّ، وأحاولُ سحبَه باتجاهي. «فكّر بابنكَ كرو»، أقولُ بصوتٍ خفيضٍ. «لن يكون لابنكَ أبٌ لو فعلتَ ذلك».

ألمسُ تغيراً طفيفاً يسري في عروقه وهو يهضمُ كلماتي. يسحبُ يديه من

حول عنقها. أتنهّدُ عميقاً فيما فيريتي تبحثُ بدورها عن بقيّة شهيقٍ وزفير. إنّها تتنفّسُ بصعوبة، تارةً تسعلُ وتارةً تختنقُ بسعالها. تحاولُ أن تتكلّمَ أو تصرخَ. يغطّي جيرمي فمَها وينظرُ إليّ. ثمة توسّلٌ في عينيه، لا من أجل أن أجدَ له طريقةً في المساعدة، بل لأتدبّر حيلةً ما للقضاءِ عليها.

لا أناقشُ في الأمر ولو قليلاً. إذ لا توجدُ خليّةٌ في جسدها تستحقّ أن تعيش بعد كلّ ما اقترفتْه يداها. أتراجعُ إلى الوراء وأحاولُ التفكير.

إذا قام بخنقها، سوف يعرفون. ستتركُ أصابعُه بصماتٍ على عنقِها. إذا وضعَ الوسادةَ على فمها، سوف تظلّ ذراتٌ من المخدّة عالقة على رئتيها. لكن ينبغي أن نفعل شيئاً. إذا لم يفعلْ فإنّها قد تنجو بجلدها لأنّها قادرة على الكذب واستغلال أيّ شيء لصالحها. قد ينتهي بها المطاف وتلحق الأذى به أو بابنه كرو. ستقومُ بقتله مثلما قتلت ابنته. تماماً مثلما حاولتْ أن تقتلَ هاربر وهي ما تزالُ رضيعةً.

تماماً مثلما حاولتْ أن تقتلَ هاربر وهي ما تزالُ رضيعةً.

- «يجب أن يبدو الأمرُ حادثاً عَرَضياً»، أقولُ له بصوتٍ خفيضٍ، لكنّه مسموع وسطَ الضجّة التي تصدرُ عنها وهي تتململُ تحتَ ضغطِ قبضته. «اجعلْها تتقيّأ. أغلقْ لها فمَها وأنفَها حتى تتوقّف عن التنفّس. سيبدو الأمرُ وكأنّها لفظتْ أنفاسَها في نومها».

عينا جيرمي جاحظتان على وسعهما وهو يستمعُ إليّ، لكنني لمستُ تفهّماً هناك. يرفعُ يديه عن فمها، ويُدخلُ أصابعَه إلى حنجرتها. أشيحُ بوجهي. لا أستطيعُ أن أنظر.

أسمعُ الغرغرةَ، ثمّ الاختناقَ. بدا الأمرُ وكأنه يستغرقُ دهراً. دهراً بحاله.

أقعُ أرضاً. ترتعشُ فرائصي، ويرتجفُ جسدي. أضعُ راحتيّ على أذنيّ لأمنعَ نفسي من سماعِ شهقاتها الأخيرة. حركاتِها الأخيرة. بعد وهلةٍ، تقلّص عددُ الثلاثةِ الذين يتنفّسون في الغرفة إلى اثنين.

أنا وجيرمي فقط من يتنفّسُ الآن.

- «آوِيا إلهي، آوٍ، يا إلهي، آوِيا إلهي،...» أرددُ همساً ما إن بدأتُ أستوعبُ فداحةَ ما قمنا به.

جيرمي هادئٌ تماماً، باستثناء حركةِ زفيرهِ وشهيقهِ. لا أريدُ أن أنظرَ إليها، لكنّني أحتاجُ لأن أعرف بأنّ الأمرَ قد انتهى.

حين استدرتُ بجسدي نحوها، رأيتُها تحدّقُ بي. لكنّني هذه المرّة أدركتُ أنّها لم تعدْ موجودةً، ولم تعدْ تتخفّى خلف تلك النّظرة الشّاغرة في عينيها.

جيرمي يركعُ على ركبتيه بجانب السّرير. يفحصُ نبضَها. رأسُه يتدلّى بين كتفيه. يجلسُ مستنداً إلى السّرير، محاولاً التقاط أنفاسه. يرفعُ كلتا يديه إلى وجهه ويهدهدُ رأسَه. لا أعرفُ إن كان على وشكِ البكاء أم لا، لكنّني أتفهّمُ أمراً كهذا لو حدث حقّاً. لقد صعقه أن يعرفَ بأنّ موت ابنته لم يكن حادثاً عَرضياً، وأنّ زوجته -التي كرّس لها سنواتٍ عديدة من عمره- ليست الشّخص ذاتَه الذي كان في ذهنه، وأنّها كانت تبتزّهُ طوال الوقت.

كلّ ذكرى حلوة جمعته مع زوجته ماتتْ معها الآنَ في هذه اللّيلة. لقد فتكت اعترافاتُها به فتكاً، وهذا ما تجلّى في تلك السّاعة من حياته، وفي تلك السّاعة الأخيرة من حياة فيريتي.

وضعتُ يدي على فمي وبدأتُ أبكي. لا أصدّقُ أنّني ساعدتهُ في التخلّص منها والقضاء عليها. لقد قمنا بقتْلِها.

لا أستطيعُ أن أمنعَ نفسي من النّظرِ إليها.

ينهضُ جيرمي ويرفعُني بين ذراعيه. عيناي مغمضتان وهو يحملني إلى خارج الغرفة، وينزلُ بي الدَّرجَ. حين وضعني على الفراش، وددتُ لو أنه ينامُ بقربي، ويحيطُ جسدي بذراعيه. لكنّه لا يفعلُ. بل يبدأُ يذرع الغرفة جيئةً وذهاباً، ويهزّ رأسه، مغمغماً من تحت أنفاسه.

كلانا في حالة صدمة، كما أظنّ. أودّ أن أخفّفَ عنه، لكنني أخاف أن أتكلّم، أو أتحرّكَ، أو أقبلَ بأنّ ما حدث كان حقيقياً.

- «اللّعنة»، يقولُ. ثم بصوتٍ أعلى، «اللّعنة».

ها هنا الحقيقة. كلّ ذكرى، وكلّ فكرة، وكلّ ما كان يظنُّ أنه يعرفه عن فيريتي قد توارى فجأةً.

ينظرُ إليّ ثم يقترب بخطواتٍ أسرع نحو السّرير. يدُهُ المرتعشةُ ترفعُ شعري عن وجهي. «ماتتْ في نومِها»، يقولُ. كلماتهُ هادئةٌ وصارمة. «مفهوم!».

أهزُّ رأسي.

– «في الصباح....» صوتُهُ يندى بالأنفاس مع أنه يحاولُ أن يظلّ هادئاً. «في الصّباح سوف أتّصلُ بالشرطة وأخبرهم بأنّني وجدتُها ميتةً حين ذهبتُ لإيقاظها. سيبدو الأمرُ كأنّها اختنقتْ في نومها».

لم أتوقّف عن الإيماء برأسي. إنه ينظرُ إليّ بقلقٍ وحنانٍ واعتذارٍ. «أنا آسف»، يقولُ. «أنا آسف». ينحني ويطبعُ قبلةً على رأسي. «سوف أعودُ على الفور يا لوين. أنا ذاهب لأرتّبَ الغرفةَ. ينبغي أن أُخفي المخطوطةَ».

يركعُ على ركبتيه ويقرّبُ وجهه من وجهي، ناظراً في عيني، كأنّه يريدُ أن يتأكّد بأنّني فهمت فحوى كلامه، وأنّني أتفهّمه.

– «ذهبنا كلانا إلى الفراش كالمعتاد حوالي منتصفِ اللّيل. حضّرتُ لها الدواء، ومن ثمّ حين استيقظتُ في السّابعة كي أصطحبَ كرو إلى المدرسة، وجدتُها بلا حراك».

– «مفهوم».

– «فيريتي ماتتْ في نومها»، يكرّرُ. «وسوف لن نناقشَ هذا الأمر بعد اللّيلة. بعد هذه اللّحظة... بعد الآن».

– «حسناً»، أهمسُ.

يتنهّدُ ويقولُ: «حسناً».

بعد أن يغادرَ الغرفة، أسمعُه يزيحُ من حوله بعض الأشياء. يمشي جيئةً وذهاباً، أوّلاً إلى غرفته، ثمّ إلى غرفة كرو، ثمّ إلى غرفة فيريتي، ثمّ إلى الحمّام.

يمشي إلى غرفة المكتب ثم إلى المطبخ.

الآن يعودُ إلى السّرير لينامَ بجانبي. إنه يضمّني. ويحيطُني بذراعيه بقوّة أكبر مما فعله في أية مرّة سابقة. لكننا لا ننام. ولا يُطبقُ لنا جفنٌ. فقط نخشى مما قد يحملُه لنا الصباحُ غداً.

-24-

بعد مرور سبعة أشهر

فيريتي ماتتْ في نومِها قبل سبعة أشهر.

وقعُ الحدَثِ كان صاعقاً على كرو. وكذلك على جيرمي في العلَن. غادرتُ في الصّباح التالي الذي ماتتْ فيه وعدتُ إلى مانهاتن. كان بين يدي جيرمي الكثير خلال ذاك الأسبوع، وأنا متأكّدة أنّني أثيرُ الشُّبُهات أكثر لو قرّرتُ البقاء في منزلِه عقب موتِ زوجتِه.

قبلتْ دارُ النشر ملخّصي الأوّل، وكذلك الملخّصين التاليين. وقد سلّمتهم المسودّة الأولى من الرّواية الأولى قبل أسبوعين. طلبتُ تمديدَ موعد تسليم الروايتين القادمتين. كان صعباً العمل عليهما مع وجود طفلةٍ في أحشائي.

الطفلة لم تولدْ بعد، لكنّني أنتظرُ قدومَها بعد شهرين ونصف. وجودُ جيرمي إلى جانبي يمنحني الثقة بأنني سأكون قادرة على تلافي أي تأخيرٍ في الكتابة. لقد كان أباً عظيماً مع كرو، وكذلك مع ابنتيه، ولذلك أعرفُ أنه سيكون أباً عظيماً مع ابنتنا حين تولدُ.

صُدمنا في البداية، لكنّنا لم نتفاجأ. أشياء مثل هذه تحدثُ حين لا يأخذُ المرءُ الاحتياطات اللازمة. قلقتُ في بادئ الأمر، ولم أكنْ أعرفُ كيف سيكون ردّ فعل جيرمي حين يصبح أباً للمرّة الثانية، بعد فقدانه لطفلتين في وقتٍ متقارب. لكنني أدركتُ بعد أن رأيتُ حماسَه بأنّ فيريتي كانت مخطئةً. أن تفقدَ طفلاً أو حتّى اثنين لا يعني أنّك فقدتهم جميعاً. حزنُ جيرمي على فقدان ابنتيه منفصلٌ تماماً عن فرحته بولادة طفلته الجديدة.

ورغم كلّ الظروف التي مرّ بها حتى الآن، يظلّ أفضل رجلٍ دخلَ حياتي. إنه صبورٌ ومتفهّمٌ، وعاشقٌ كبير في السرير، أكثر بكثير مما استطاعت فيريتي أن تصفه. بعد موتها، وبعد أن عدتُ إلى مانهاتن، كان جيرمي يتصل بي يومياً. مكثتُ بعيداً عنه لمدّة أسبوعين؛ حتّى انجلى كلّ شيء. حين طلبَ منّي أن أعود، كنتُ هناك في اللّيلة ذاتها. وما أزالُ معه يومياً منذ ذلك الحين. كلانا كان يعلمُ أننا نستعجلُ الأمورَ قليلاً، لكن كان من الصّعب أن يطولَ بعادُنا أكثر. أعتقد أنّ وجودي قد جلبَ الراحةَ إلى حياته، ولذلك لم نأبه للتوقيت، ولم نكترثْ ما إذا كنّا قد بالغنا في العلاقة، وأوغلنا أعمقَ قبل الأوان. في الحقيقة، لم نناقش الأمرَ بتاتاً. تعريفُ علاقتنا ظلّ طيّ الكتمان. كان أمراً عضوياً. إنها علاقةٌ قائمة على الحبّ، وهذا كلّ ما كان يهمّنا.

قرّرَ أن يبيعَ المنزلَ بعد وقتٍ قصيرٍ من معرفتِهِ بأنّني حامل. لم يكن يريد البقاء في البلدة ذاتها التي عاش فيها قسطاً من الزمن جنباً إلى جنبٍ مع فيريتي. والحقيقة هي أنّني لم أكنْ أنا أيضاً أرغبُ بالبقاء في ذلك المنزل مع كلّ تلك الذكريات الرّهيبة. هكذا بدأنا حياتنا الجديدة قبل ثلاثة أشهرٍ فقط في ولاية نورث كارولينا. مع السلفة المالية، وتعويض الضمان الاجتماعي لزوجته فيريتي استطعنا أن ندفعَ نقدياً ثمنَ منزلٍ يقع على الشّاطئ تماماً في ساوثبورت. كلّ مساءٍ كنّا نجلسُ نحن الثلاثة على رصيف الميناء ونشاهدُ الأمواجَ تتكسّرُ على الشاطئ بإيقاعٍ رتيبٍ.

إنّنا عائلة الآن، لكنّ أفرادها ليسوا هم أنفسهم الذين وجد كرو نفسه بينهم بعد ولادته، لكنني أعلمُ أنّ جيرمي ممتنٌ لي كوني أصبحتُ جزءاً من حياة ابنِه الوحيد. وسوف يصبحُ الأخَ الأكبر بعد حينٍ لطفلتنا التي لم تولد بعد.

يبدو أنّ كرو يتأقلمُ جيّداً. كنا قد وضعناه على برنامج علاج، ولطالما عبّر جيرمي عن قلقه بأن يتسبب له البرنامجُ أذى أكثر ما يأتي له بالفائدة، لكنني أذكّره بالفوائد الجمّة التي جنيتُها من برامج العلاج التي خضعتُ لها وأنا صغيرة. أثق بأنّ كرو سوف ينسى بسهولةٍ كلّ الذكريات السيئة إذا منحناهُ ذكريات حلوة بديلة عنها.

اليوم، ومنذ أشهر، نضعُ قدماً للمرّة الأولى في بيتهم القديم. زيارة لا

تخلو من غرابة لكنّها ضرورية. إنني أقترب من مواعيد سفري ثانيةً. ولذلك نغتنمُ هذه الفرصة لإفراغ المنزل. لقد تلقّى جيرمي عرضين حتّى الآن، ونحن لا نريدُ أن نسافرَ بالسيارة إلى هنا خلال الشهر الأخير من الحمل من أجلِ إفراغه.

كان إفراغُ حجرةِ المكتب هو الأصعب من بين جميع الغُرف. ثمة الكثير من الأشياء التي كان يمكنُ إنقاذُها، لكنّنا، أنا وجيرمي، أمضينا نصفَ نهارٍ تقريباً نرمي الكثير من الأغراض في سلّة المهملات. أعتقدُ أنّ كلانا كان يريدُ لذاكَ الجزء من حياتِنا أن ينتهي. وأن يولّي إلى غيرِ رجعة. وأن يُنسى مرّةً واحدةً وإلى الأبد.

– «كيف تشعرين؟» يسألُ جيرمي. يمشي إلى داخل المكتب ويضعُ يده على معدتي.

– «أنا بخير»، أقولُ، وأبتسمُ له. «هل انتهيتَ تقريباً؟».

– «نعم. لم يبقَ سوى بضعة صناديق على الشّرفة، وننتهي تماماً». يقبّلني في اللّحظة التي يدلفُ فيها كرو راكضاً إلى داخل المنزل.

– «يكفي ركضاً!» ينادي جيرمي من خلف كتفِهِ. أخرجُ من وراء طاولة المكتب وأدفعُ الكرسيّ باتجاه جيرمي قرب الباب. إنّه يحملُ صندوقاً من أصل عشرة صناديق تركها على الشرفة وينقله إلى السيارة. يمرّ كرو سريعاً بالقرب مني، ويهرعُ إلى الخارج، لكنّه يتوقّفُ فجأة، ويدخلُ من جديد إلى المنزل.

– «كدتُ أنسى تقريباً»، يقولُ مندفعاً صوب الدَّرَج. «يجب أن أحضرَ أشيائي من الطابق العلوي الذي كانت فيه أمّي».

أراقبه يهرعُ صاعداً الدَّرَجَ باتجاه غرفة فيريتي القديمة. كانت الغرفة فارغةً في آخر مرّةٍ تفحّصتُها. لكن بعد مرور بضع لحظات عاد كرو يحملُ رزمةً من الأوراق في يده.

– «ما هذه الأوراق؟» أسألُه.

– «صورٌ أرسمها لأمّي». يناولني الصّورَ جميعاً في يدي. «نسيتُ أنّها كانت تحتفظُ بها في أرضية الغرفة».

يخرج كرو راكضاً إلى الخارج من جديد. أنظرُ إلى الصورِ بين يديّ. الشعورُ القديم المألوفُ عن هذا المنزل طوال مكوثي فيه عاد إليّ. **الخوف.** كلُّ شيءٍ راحَ يبرقُ في ذاكرتي. السكّين التي وجدتُها على الأرض في غرفة فيريتي. اللّيلة التي رأيتُها فيها عبر شاشة جهاز المراقبة، تركع على يديها وركبتيها كأنّها تطمرُ شيئاً ما تحت أرضية الغرفة. كلمات كرو العابرة التي قالها منذ وهلة.

نسيتُ أنّها كانت تحتفظُ بها في أرضية الغرفة.

أركضُ صاعدةً الدرَجَ. ورغم أنّني أعرفُ أنّها ميتة، وليست هناك، بقيتُ مرعوبةً وأنا أعبرُ الرّدهة باتجاه حجرتها. وسرعان ما وقعتْ عيناي على أرض الغرفة، وتحديداً على قطعةٍ من الخشب نسي كرو أن يعيدَها إلى مكانِها حين استخرجَ صورَه. أنحني وألتقطُ قطعة الخشب السائبة.

توجدُ حفرةٌ صغيرةٌ في أرضية الغرفة. الحجرةُ معتمةٌ وهذا ما جعلني أمدّ يدي إلى داخل الحفرة وأتحرّى بأصابعي. أسحبُ رزمةً صغيرةً. **إنّها صورة للطفلتين.** أسحبُ شيئاً آخر بارداً. **إنّه السكّين.** أمدّ يدي من جديد وأتحرّى بحثاً عن المزيد. أعثرُ على مغلّفٍ ورقيّ. أفتحُه وأعثرُ على رسالة مؤلّفة من عدّة صفحات. أرمي المغلّف الفارغ جانباً.

الصفحة الأولى تُركت بيضاء ناصعة. أنفخُ عليها وأجدُ صفحةً ثانية تتوارى خلفها.

إنّها رسالة مكتوبة بخطّ اليدّ، وموجّهة إلى جيرمي. أبدأُ القراءةَ وأنا خائفة.

عزيزي جيرمي،

أتمنّى أن تكون أنتَ من يقرأ هذه الرّسالة. إذا لم يكنْ أنت، آمل أن تصلكَ بأية طريقة لأنّ لديّ الكثير مما أقوله لك.

أودّ أن أبدأ رسالتي باعتذار. أنا متأكّدة أنه في الوقت الذي تستلم فيه هذه الرّسالة سأكونُ قد غادرتُ في منتصف اللّيل مع كرو. إنّ فكرةَ ترككَ في المنزل الذي جمعتْنا فيه ذكرياتٌ كثيرة توجعني. لقد عشنا حياةً حلوةً مع أطفالنا. ومع بعضنا أنا وأنتَ. لكنّنا ابتُلينا بمرض عُضال. كان ينبغي أن نعرفَ أنّ أوجاعَنا لن تنتهي بوفاة هاربر.

بعد سنواتٍ أمضيتُها معك كزوجة مثالية، لم أكنْ أتوقّع أن مسيرتي التي أحببتُها وكرّستُ لها جلّ وقتي ستكون السّببَ في وضعِ نهايةٍ لنا.

حياتنا معاً ظلّتْ مثاليةً حتّى انزلقنا بطريقةٍ ما إلى واقعٍ بديلٍ في اليوم الذي ماتتْ فيه تشاستين. وفي الوقت الذي أحاولُ فيه أن أنسى لماذا بدأتْ علاقتنا تسيرُ في الاتجاه الخاطئ، أجدُ أنّني ابتُليتُ بهذا العقل الذي لا ينسى مثقالَ ذرّةٍ واحدة.

كنّا في مانهاتن نتناول العشاء مع محرّرتي أماندا. وكنتَ ترتدي تلك الكنزة الرمادية الرقيقة التي لطالما أحببتُها؛ الكنزة التي اشترتها لَك أمّكَ في عيد الميلاد. روايتي الأولى كانت قد ظهرت للتو، وكنتُ قد وقّعتُ عقداً جديداً مع دار بانتيم لإنجاز الكتابين اللّاحقين، ولهذا السبب كنّا على العشاء. كنتُ أناقشُ روايتي القادمة مع أماندا. لا أدري إن كنتَ قد استمعتَ

إلى ذلك الجزء من حديثي مع أماندا، وأظنّكَ لم تفعل، فأنا أعلمُ أنّ حديثَ الكتّاب لا يروقُ لكَ، ويصيبك بالملل.

كنتُ أعبّر لها عن القلق حيال الزاوية التي ينبغي أن أتناول فيها الكتاب. هل ينبغي أن أكتب شيئاً مختلفاً تماماً؟ أم هل ألتزمُ الصيغَةَ نفسها في الكتابة وأتحدّثُ بلسان البطل الذي جعل روايتي الأولى تحقّق نجاحاً منقطع النظير؟

نصحتْني بأن ألتزم الصيغةَ نفسها، لكنها أيضاً تمنّت أن أكون أكثر جرأة، كي لا أتوانى عن أخذ المجازفة في كتابي الثاني. قلتُ لها من الصعب أن أجعل صوتاً في روايتي يبدو حقيقياً إذا لم يكن مستنداً إلى تجربة حقيقية في حياتي اليومية. وكنتُ أخشى بأن لا أكون قادرة على تطوير أسلوبي في الكتاب القادم.

كان هذا عندما اقترحتْ عليّ أن أجرّب تمريناً كانت قد تعلّمتْه هي خلال دراستها الجامعية يُدعى تدوين المذكّرات الضدّية.

كان تلك فرصتك الأكبر في ذلك العشاء لكي تولي حديثنا بعض الاهتمام، لكنّك كنت منشغلاً على هاتفك الخليوي تقرأ كتاباً إلكترونياً ليس لي. رأيتني أحدّقُ بكَ، ورفعتَ بصركَ نحوي، لكنّني اكتفيتُ برسم ابتسامةٍ على وجهي. لم أغضبْ منكَ. كنتُ سعيدةً لأنّك كنت معي، وأظهرتَ صبراً وأنا أتلقى المشورةَ من محرّرتي الجديدة. مددْتَ يدكَ تحت الطّاولة، وعصرْتَ ساقي، لكنّني وجّهتُ انتباهي إلى أماندا، فيما تركيزي كلّه انصبّ على يدكَ وهي ترسمُ دوائرَ صغيرة حول ركبتي. كنتُ في غاية الشوق للعودة إلى البيت في تلك الليلة لأنها كانت المرّة الأولى التي نخرج فيها معاً بعيداً عن الطفلتين، لكنني أيضاً انشغلتُ بالنصيحة التي أسدتْها أماندا إليّ.

لقد رأتْ أنّ كتابة المذكّرات الضدّية هي السبيل الأفضل لتطوير حرفة الكتابة لديّ. قالت إنّ عليّ أن أدخلَ إلى عقلِ شخصيةٍ شريرةٍ من خلال كتابة مذكّرات من حياتي الواقعية.... أشياء حدثت بالفعل، ولكن يجب أن أجعلَ ما يردُ في المذكّرات نقيضاً لما كنتُ أفكّر به. أخبرتْني بأن أكتبَ عن اليوم الذي التقينا فيه أنتَ وأنا. قالت يجب أن أكتب عن الملابس التي كنتُ

أرتديها، وكيف وأين التقينا، وما الكلام الذي دار بيننا في تلك الليلة، ولكن يجب أن أجعل حواري الدّاخلي أكثر شيطانيةً مما هو عليه في الواقع.

بدا الأمرُ بسيطاً. وبلا عواقب وخيمة.

سوف أختارُ مثالاً من مقطعٍ كتبْتهُ للتوّ أعلاه.

أنظرُ إلى جيرمي على أملٍ أنه يعيرني انتباهَه. لكنّه لا يفعل. يعود من جديد ليحدّقَ بهاتفه الخليوي اللّعين. هذا العشاء يمثّل حدثاً ضخماً بالنسبة لي. أنا مدركة أنه يقعُ خارج اهتمامات جيرمي -هذه اللقاءات والمناسبات الباذخة في مانهاتن- لكن هذا لا يعني القول إنّني أجبره على القيام بذلك في كلّ الأوقات. على العكس، إنه يقرأ في كتابٍ إلكتروني، محتقراً تماماً هذا الحديث مع المحررة.

إنه يقرأُ طوال الوقت، لكنّه لا يجدُ متّسعاً لقراءة كتبي؟ إنها إهانة في أعلى درجاتها.

تربكني وقاحتُه كثيراً، لكن أعرفُ أنه يجب أن أُخفي انزعاجي.

إذا لاحظتْ أماندا علامات الضيق باديةً على وجهي فسوف تدركُ أنّ السبب هو جيرمي.

يرفعُ جيرمي بصره نحوي، فأجبرُ نفسي على الابتسامة في وجهه. يمكن أن أؤجّل غضبي إلى وقتٍ لاحق. أعودُ وأنصرف بانتباهي كلّه إلى أماندا، متمنيةً بأن لا تلاحظَ سلوكَ جيرمي.

بعد مرور ثوانٍ فقط، يمدّ جيرمي يده إلى ساقي ويضعُها فوق ركبتي تماماً، فأنكمشُ على إثر لمسته. في معظم الأوقات أجدُ نفسي تواقة إلى لمسته. لكن في هذه اللحظة الشيء الوحيد الذي أتوق إليه هو زوجٌ يقف إلى جانبي في حياتي المهنية.

هكذا ترى كم من السّهل أن يتظاهر كاتبٌ بما ليس فيه وأن ينتحلَ شخصيةً أخرى ليست له.

ما إن عدنا أدراجنا إلى المنزل، انصرفتُ مباشرةً إلى كتابة مذكّراتي

عن الليلة الأولى التي التقينا بها. زعمتُ أنّ فستاني الأحمر كان مسروقاً في نسختي البديلة. وزعمتُ أنّ سبب وجودي هناك هو مضاجعة الرجال الأغنياء، وهذا لم يكن صحيحاً بالمطلق. ينبغي أن تعرف أنني أفضل بكثير من هذا يا جيرمي.

لم أنجح كثيراً في محاولاتي الأولى بلعب دور الشخصية الشريرة، ولهذا دأبتُ فقط على اختيار تلك اللحظات المفصلية التي جمعتنا معاً وشكّلتْ حجر الزاوية في علاقتنا.

كتبتُ عن اللّيلة التي طلبْتَ فيها يدي للزواج، وعن الليلة التي اكتشفتُ فيها بأنني حامل، وعن اليوم الذي وضعتُ فيه الطّفلتين التوأمين. وفي كلّ مرّة كنتُ أختارُ فيها لحظةً مفصليّةً، كان أسلوبي يتطوّرُ أكثر باتجاه تلبّس الشّخصية الشريرة. وبدأت التجربة تأخذُ منحىً مثيراً.

وأسعفتني كثيراً.

ساعدتني بشكلٍ هائلٍ، ولهذا السبب كنتُ قادرةً على خلق تلك الشخصيات الواقعية الرهيبة في رواياتي. ولهذا باعتْ كثيراً لأني نجحتُ في هذا الأسلوب أيما نجاح.

وخلال الفترة التي كنتُ قد أنجزتُ فيها روايتي الثالثة، شعرتُ أنني أتقنتُ فنّ الكتابة من منظور الشخصية الضدّ، أي من منظورٍ ليس منظوري قطّ. تلك التمارين أعانتني كثيراً، فقررتُ أن أجمع تلك الإضاءات وأضمّها في سيرة ذاتية يمكن أن تعلّمَ الكتّاب الآخرين كيف يتقنون فنّ الكتابة. وكان لزاماً أن أسلسلَ الأحداث ضمن خطّ قصصي عامّ لكي تبدو السيرةُ أكثر انسجاماً، ولهذا حشدتُ الكثير من المشاهد لتحقيق عنصرَي الإثارة والصدمة.

لا أندمُ قطّ على كتابة ذاك النمط لأنّ غايتي الوحيدة هي مساعدة المؤلفين الآخرين، لكنني أندمُ بوجهٍ خاصّ على الكتابة عن موت هاربر بعد أيامٍ فقط من وقوعه. مع ذلك ظلّ عقلي حبيس ذاك الفضاء المعتم، وأحياناً، بالنسبة للكاتب، الطريقةُ الوحيدة لتطهير عقلك هي السماح لذاك العتم أن ينسكب على لوحة الأزرار أمامك على الحاسوب، مع صعوبة فهمكَ لأمرٍ كهذا.

أضف إلى ذلك، لم أتوقّع أبداً أنك ستقرأ تلك المذكّرات. وباستثناء تلك المسودة الأولى لم تكن قد قرأتَ أيّ شيء كتبتُه أنا.

فلماذا اخترتَ أن تقرأ تلك السيرة بالذّات؟ لماذا؟

لم أكتبْها لكي يصدّقها أحدٌ. لم تكن سوى تمرينٍ في الكتابة. هذا كلّ ما في الأمر. طريقة في التواصل مع ذاك الحزن الذي كان يتآكلُ مهجتي، ومحاولة محوه مع كلّ ضربةٍ على أزرار الحاسوب. إلقاء اللّوم على ذاك الوغد المتخيّل الذي ابتكرته في المذكّرات كانت طريقتي في التأقلم مع المأساة.

أعرفُ أنّ قراءةَ هذه الرسالة ستكون قاسية عليك، لكنّها لن تكون أقسى من قراءة المخطوطة ذاتها في تلك اللّيلة التي اكتشفْت فيها أمرها. وإذا كنتَ حريصاً حقاً على الغفران، ينبغي أن تستمرّ في قراءة هذه الرسالة، وبالتالي سوف تعرفُ الحقيقةَ المطلقة عن تلك الليلة. وليسَ النسخة المتخيلة التي قرأْتَها بعد أيامٍ من موت هاربر.

حين اصطحبتُ كرو وهاربر إلى الزورق في ذاك النهار، كنتُ أحاولُ أن أوفّر لهما فرصة للاستمتاع. في ذلك الصباح ذكرتَ أنتَ كيف أنّني لم أعدْ ألعبُ معهما، وكنتَ على حقّ. كان الأمرُ صعباً بالنسبة إليّ لأنني كنتُ ما أزالُ مشتاقةً جدّاً إلى تشاستين، لكن مازال لديّ هذان الطفلان الجميلان اللذان يحتاجان إليّ. وهاربر أرادت فعلاً أن تذهب إلى المياه في ذاك النهار. ولهذا خرجتْ باكيةً على الدّرَج لأنني قلتُ لها لا. لم أقمْ بتعنيفها أبداً لافتقارها للعواطف كما ذكرتُ في المخطوطة. كنتُ أستخدمُ الحرية الفنّية لتعزيز الحبكة. إنها إهانة لي أن تصدّقَ بأنّي يمكن أن أتكلّم عن أحدِ أطفالنا بتلك الطريقة. كما أنها إهانة أكبر أن تصدّق حرفاً واحداً مما كتبْته في المخطوطة، أو أنّ لديّ القدرة على إلحاق الأذى بهما.

موتُ هاربر حدث بالصدفة المحضة. موتُها حادثٌ عرضيّ، يا جيرمي. أرادا أن يركبا الزورق، وكان النهارُ جميلاً جدّاً. بالطبع كان ينبغي أن ألبسهما دروعاً واقية من الغرق، وأنا أقرّ بذلك. ولكن كم مرّةً كنّا على متن

ذاك الزورق بدون القمصان الواقية؟ لم تكن المياه عميقةً جدّاً. ولم أكن أدري أن شبكة الصيدِ راسبة تحت السّطح. لولا تلك الشبكة اللعينة لكنتُ وجدتُها، وأنقذتُ حياتها، وكنا جميعاً ضحكنا، وتذكّرنا كيف انقلب الزورقُ رأساً على عقب.

لا أستطيعُ أن أعبر لك عن مدى أسفي لأنني لم أفعل كلّ شيء، وأتصرّف بطريقة مختلفة في ذلك اليوم. لو عاد بي الزمن إلى الوراء أفعلُ كلّ شيء، وأنت تعرف أنني أفعلُ كُلّ شيء.

حين وصلتَ وانتشلتها من المياه وحملتها بين ذراعيك أردتُ أن أقتلع قلبي من مكانه وأقدّمه لكَ لأنني أعرفُ أنّ قلبكَ ذهبَ معها. لم أكن أريدُ أن أحيا لثانيةٍ واحدة بعد رؤية حزنكَ الشديد. يا إلهي يا جيرمي. تخيّل كيف خسرنا الطفلتين معاً. الطفلتين يا جيرمي.

رأيتُ شكوكك تطفو على السطح بعد ليالٍ قليلة من موت هاربر. كنا معاً في السرير حين بدأتَ تسألني كلّ تلك الأسئلة. لم أصدّق أنّك يمكن أن تصدّق أن بمقدوري أن أفعل شيئاً من هذا القبيل عن سابق قصد. وحتى وإن كان مجرّد ظنٍّ عابر، لكنني رأيتُ حبّك لي بدأ يتفتّتُ ويتلاشى كأنه لم يكن. ماضينا برمّته... كلّ لحظاتنا الجميلة التي عشناها معاً. ولّت إلى غير رجعة.

أجل، كنتُ قد طلبتُ من كرو أن يحبسَ أنفاسه حين بدأ الزورقُ بالميلان. كنتُ أحاولُ مساعدته. اعتقدتُ أن هاربر ستكون بخير لأننا سبق ولعبنا في تلك البحيرة مرات عديدة من قبل، وبالتالي انحصر اهتمامي كلّه بكرو بعد سقوطنا في المياه. حملته، وكان يصرخُ فزعاً، فسبحتُ معه إلى الشاطئ بأقصى سرعةٍ ممكنة قبل أن يتسبّب بغرقي وغرقه معاً. لم تكن قد مرّت ثلاثون ثانية على هذا حتى أدركتُ أنّ هاربر ليست خلفنا، ولم تلحقْ بنا.

ما زلتُ ألومُ نفسي حتى هذه اللّحظة. أنا أمّها، وحارسُتها الوحيدةُ. وقد افترضتُ بأنها ستكون بخير، وركّزت اهتمامي كلّه على كرو بما لا يزيدُ عن ثلاثين ثانية فقط. حاولتُ على الفور السباحة من جديد والعودة للبحث عنها، لكنّ المياه كانت قد دفعت الزورق بعيداً، فأضعتُ مكانها. لم أستطع

الاستدلالَ على مكانِ غرقها، وكرو كان ما يزالُ يتلوّى بين ذراعيّ مذعوراً. أدركتُ أنني إذا لم أعدْ به إلى الشطّ في تلك اللحظة عينها، فسوف نغرقُ نحن الثلاثة.

بحثتُ عنها بكلّ ما أوتيتُ من عزمٍ يا جيرمي. يجب أن تصدّقني. كلّ خلية من خلاياي غرقتْ معها في تلك البحيرة.

لا ألومكَ لأنك وضعتني تحت مجهرِ الشكّ. لو تبادلنا الأدوار، وكانت هي قد غرقت تحت مرمى بصركَ، كنتُ سأضعُ في حسباني كلّ الاحتمالات والسيناريوهات. من الطبيعي أن تفكّر بالأسوأ عند البشر ولو لجزءٍ من الثانية.

ظننتُ أنكَ سوف تستيقظُ في الصباح التالي، بعد الحديث الذي دار بيننا في السرير، وتكتشف سخافةَ شكوكك تجاهي. لم أحاولْ حتى أن أبدّلَ لك قناعتَك في تلك الّليلة، لأنّ حزني كان عارماً، ولم أكترثْ لأيّ شيءٍ آخر. لم أكنْ قادرة على المماحكة. لم يكن قد مضى على وفاتها سوى أيامٍ قليلة، وكنتُ أريدُ حقاً أن أموتَ بعدها. أردتُ أن أتوجّه إلى البحيرة في تلك الليلة ذاتها، وألحقَ بها غرقاً، لأنّ موتها جاء بسببي أنا. نعم، لقد كان موتاً عن طريق الصدفة البحتة. ولكن لو أنني جعلتُها ترتدي قميصاً واقياً ضدّ الغرق، أو لو أنني حملتُها بين ذراعيّ، هي وكرو معاً، لكانتْ على قيد الحياة الآن.

لم أستطع النّوم، فذهبتُ إلى غرفة المكتب، وفتحتُ حاسوبي المحمول، بعد انقطاعٍ دام ستّة أشهر.

تخيّل معي هذا اللحظة. أمّ مفجوعة تعيش حداداً على فقدان ابنتيها، وتكتبُ تمريناً متخيّلاً تتهمُ فيه إحدى الطفلتين بقتل الأخرى.

إنه أمرٌ مقلقٌ للغاية ويتجاوز كلّ الحدود. ولهذا السبب لم أتوقّف عن البكاء طوال طباعتي للمشهد على الحاسوب. لكنني قلتُ في نفسي لو أنني أفرّغ شعوري بالذنب وأنقله بكليته إلى تلك الشخصية الشريرة المتخيّلة، فسوف يساعدني هذا، ولو بطريقة معوّجة، في التغلّب على حزني.

كتبتُ كلّ التفاصيل عن موت تشاستين. وكتبتُ كلّ التفاصيل عن

موت هاربر. بل إني عدتُ إلى مقدّمة المخطوطة وأضفتُ عبارات تتنبأ بما سيحدثُ لكي يتطابقَ سردي مع هذا الواقع المؤلم الذي وصلنا إليه. لا أنكرُ أنّ هذا قد خفّف ولو قليلاً من شعوري بالذّنب، كوني وضعتُ اللّوم كلّه على هذه الشخصية المختلقة، وأعفيتُ نفسي من قبول اللّوم على أرض الواقع.

لا أستطيعُ أن أشرح لكَ كيف يعملُ عقل الكاتب يا جيرمي. وبخاصة عقل كاتب عصفت به كلّ هذه الفواجع، وتحمّل أكثر من كلّ كتّاب الدنيا مجتمعين. إننا قادرون على فصل المتخيّل عن الواقع لدرجة أننا نشعرُ بأننا نعيشُ في كلا العالمين. عالمي الواقعي غرق في الظلام وبتُّ لا أريدُ العيش فيه في تلك الليلة. ولهذا هربتُ منه وأمضيتُ ليلي كلّه أكتبُ عن عالمٍ أكثر عتمةً من العالم الذي أعيشُ فيه. لأنني كلّما أضفتُ شيئاً على هذه السيرة الذاتية، أجدُ راحةً أكبر في إغلاق شاشة الحاسوب. أجد راحةً في الخروج من مكتبي وإغلاقِ الباب على ذاك الشرّ الذي اخترعته.

تماماً هذا هو الموضوع. كنتُ أريدُ للنسخة المتخيّلة من عالمي أن تكون أكثر ظلمةً من عالمي الحقيقي. ولولا ذلك، لقررتُ مغادرة العالَمين على حدّ سواء.

وبعد أن أمضيتُ الليلَ كلّه وشطراً لا بأس به من الصباح وأنا أكتبُ في المخطوطة، وصلتُ أخيراً إلى الصفحة الأخيرة. شعرتُ أنّ السيرة بلغتْ خاتمتها عند تلك النقطة، إذ، حقّاً، ماذا كان بإمكاني أن أضيفَ بعد ذلك؟ شعرتُ أنّ عالمنا قد انتهى. إنّها النّهاية.

طبعتُ نسخةً ورقيةً من السيرة وزججتُ بها في صندوقٍ صغيرٍ، ظنّاً منّي أنني سأعودُ إليها ذات يومٍ في المستقبل، لكي أضيف ربّما خاتمةً للنهاية. وربّما لكي أحرقها، وأجعلها أثراً بعد عين. وبغضّ النظر عن الخطة في رأسي، لم يجلْ في خاطري قطّ أنك ستقعُ عليها وتقرؤها. ولم أكن أتوقّعُ منك أن تصدّقها.

وبعد أن أمضيتُ الليلَ كلّه في الكتابة أمضيتُ سحابة نهاري كلّه وأنا نائمة. حين استيقظتُ في تلك الليلة لم أجدكَ. كرو كان في فراشه نائماً،

ولم أجدكَ بالقرب منه. كنتُ أقفُ في الردهة حائرةً أين اختفيتَ، وفي تلك اللحظة سمعتُ جلبةً قادمةً من مكتبي.

الضجّة كانت أنت. لم أعرفْ بالضبط طبيعةَ الصّوت الذي سمعتُه، لكنّه كان أسوأ من الصوت الذي سمعته حين علمنا بوفاة الطفلتين. ذهبتُ إلى المكتب علّني أستطيعُ مواساتَك، لكنني توقّفتُ قبل أن أفتحَ الباب لأنّ حزنكَ تحوّل فجأةً إلى غضبٍ عارم. شيءٌ ما اصطدم بالحائط. قفزتُ إلى الوراء؛ وتساءلتُ عمّا يكون هذا يا تُرى.

في تلك اللحظة تذكّرتُ حاسوبي المحمول، فقد كانت المخطوطةُ آخرَ ملفٍّ أفتحُه على الشّاشة.

هرعتُ وفتحتُ البابَ لكي أشرحَ لكَ ما كنتُ متيقنةً بأنّك قرأتَهُ. لن أنسى ما حييت تلك النظرة في عينيك، وأنتَ تقف هناك ترمقني من رأسي إلى أخمص قدميّ. بدوتَ في أشدّ درجات الأسى... والشقاء.

لم يكن حزنُك حزنَ أبٍ سمعَ للتوّ بأنه فقدَ طفلاً من أطفاله. كان حزناً مفترساً أطاح بكلّ تلك اللّحظات الحلوة التي جمعتنا معاً كعائلة، ومحى في طريقه ذكرياتنا العذبة مع كلّ كلمةٍ كنتَ تقرأها في تلك المخطوطة. جميعُها ذهبتْ أدراجَ الرّياح. ولم يبقَ شيءٌ في داخلكَ سوى الكراهية والدمار.

هززتُ رأسي ووددت أن أقول لكَ: «كلّا. هذا ليس صحيحاً يا جيرمي. ليس صحيحاً البتّة». لكن كلّ الذي استطعتُ النطقَ به هو كلمة «كلّا».

الشيء التالي الذي أعرفه هو أنّك سحبْتَني من رقبتي إلى غرفة النوم. لم أستطع مقاومة قوتك حين طويتَ ذراعيّ تحت ركبتيكَ، وضغطْتَ أكثر على عنقي.

لو أنك فقط منحتني خمس ثوانٍ فقط. خمس ثوانٍ لأشرحَ لك. كنّا أنقذْنا أنفسَنا. حاولتُ جاهدةً أن أقولَ: «دعني أشرحُ لكَ»، لكنّني لم أكن قادرة على التنفّس.

لا أتذكّر تسلسلَ الأحداث بعد تلك النقطة. أعرفُ أنه أُغمي عليّ.

ربّما أصابكَ الذعرُ لأنكَ أدركتَ أنكَ كنتَ على وشكٍ أن تقتلني. لو أنني متّ حينئذٍ فوق ذاك الفراش، كنتَ ستُتهم بارتكاب جريمة. وكان كرو الآن بلا أبٍ.

استيقظتُ في المقعد الخلفي لسيارة الرانج روفر، وكنتَ أنتَ تجلسُ خلف المقود. كنتَ قد وضعْتَ الضمادَ اللّاصق على فمي، وأوثقْتَ يديَّ وساقيَّ بالحبل. مرّةً أخرى، كنتُ أريدُ أن أشرحَ لكَ أنّ ما قرأته لم يكن حقيقياً، لكنّني لم أستطع التفوّهَ بكلمة. نظرتُ حولي واكتشفتُ أنّني لا أرتدي حزامَ الأمان. في تلك اللّحظة عرفتُ ما أنتَ عازمٌ على القيام به.

إنها جملة صغيرة كتبْتها في المخطوطة، تتحدّثُ عن كيف أنني سأعطّل بالون الهواء في المقعد الخلفي، وأصدمُ سيارتي بشجرة، كي يبدو موتُ هاربر الجالسة في الخلف من دون حزام أمان حادثاً عرضياً.

كنتَ تحضّرُ لقتلي وتريدُ أن تجعل موتي يبدو للآخرين حادثاً عرضياً. هكذا، ومن دون أن أدري، كنتُ قد كتبتُ موتي بيدي في الجملتين الأخيرتين من مخطوطتي. «ليكن إذاً. ربّما سأصدمُ سيارتي بشجرة».

أدركتُ في تلك اللحظة أنه لو حدث واتُّهمتَ بقتلي فإنّ كلّ ما عليكَ فعلَه هو أن تقدّمَ المخطوطةَ دليلاً. لو أنني متّ وقتئذٍ كانت ستكون بمثابة رسالة الانتحار المثالية.

بالطبع كلانا يعلم كيف انتهى ذاك الجزء من القصة. أنا أفترضُ أنك نزعْتَ الضمادَ اللاصق عن فمي، وحرّرت قدميّ وساقيّ، ووضعتني خلف مقود السيارة، ثم عدتَ أدراجكَ إلى المنزل، تنتظرُ الشّرطة أن تأتي وتخبرك بأنّني قد متّ.

لم تنجحْ خطتّك تماماً، مع ذلك. لستُ متأكّدة بأنني كنتُ سعيدة لأنها فشلتَ. كان أسهل عليّ بكثير لو أنني متّ في ذاك الارتطام لأنّ ادعائي الإصابة الدائمة كان صعباً جدّاً. أنا متأكّدة أنك تتساءلُ الآن لماذا ظللتُ أخدعكَ طوال هذه المدّة.

لا أملكُ ذكريات كثيرة عن الشهر الذي أعقب موت هاربر. أظنّ أنني كنتُ في حالة غيبوبة سريرية بسبب التورّم الذي أصاب دماغي. لكنني أتذكّر بوضوح اليوم الذي استعدتُ فيه وعيي. كنتُ وحدي في الغرفة، شكراً لله، وهذا ما أعطاني الوقتَ الكافي للتفكير بما يتوجّب عليّ القيام به في الأيام القادمة.

كيف يمكنُ أن أشرحَ لكَ أنّ كلّ كلمة سلبية قرأتُها كانت محضُ كذبة؟ لن تصدّقني لو أنني أنكرتُ تلك المخطوطة، لأنّني أنا التي كتبتُها. تلك الكلمات هي كلماتي بغضّ النظر عن صحّتها أو عدمه. إذ من يصدّق أنها ليستْ سوى كذبة؟ بالتأكيد لا أنتظرُ هذا من شخصٍ لا يفهمُ العملية الكتابية. ولو كنتَ قد علمتَ بأني تعافيتُ، كنتَ ستسلّمني إلى الشّرطة، هذا إذا لم تفعل ذلك للتو. أنا متأكدة أن تحقيقاً كان يمكن أن يُفتح بعد موتِ هاربر لولا حادثةُ الارتطام تلك. في هذه الظّروف حيث زوجي كان يقف ضدّي كنتُ متأكدة أنني سوف أُتهم بقتلها، لأنّ كلماتي ذاتها تدينني، وسوف تُستخدمُ ضدّي.

تظاهرتُ أنني ما زلتُ في غيبوبة خلال الأيام الثلاثة التالية، وبخاصّة حين يدخلُ أيّ شخصٍ غرفتي. الأطباء، الممرضات، أنتَ، كرو. لكن ذات يوم نسيتُ نفسي، ووقعتْ عيناكَ عليّ وأنا أنظرُ بعينين مفتوحتين حين دخلْتَ إلى حجرة المشفى. حدّقتَ بي وحدّقتُ بك. رأيتُ قبضتيك تتشنّجان وتتكوران كأنك فقدْتَ صوابكَ لحظة عرفْتَ بأنّي استرجعتُ صحوي. كأنك كنتَ تريدُ أن تنقضّ عليّ وتضع أصابعك حول عنقي من جديد.

مشيتَ بضع خطواتٍ باتجاهي، لكنني قررتُ بأن لا أتبعكَ بنظراتي فالغضب العارم في وجهكَ أصابني بالذعر. إذا تظاهرتُ بأنّني غير مدركة لما يحدث حولي، ثمة فرصة كبيرة أمامك لتتراجع، ولا تحاول إنهاء حياتي ثانيةً. وثمة فرصة أخرى أيضاً بأن لا تذهب إلى الشرطة وتخبرهم بأني قد تعافيت.

وبالتالي تابعتُ التظاهرَ بعدم الشفاء على مدى أسابيع لأنّها كانت

وسيلتي الوحيدة للبقاء على قيد الحياة. عقدتُ العزم على إطالة أمد إصابتي بارتجاج الدماغ على أمل أن أعثر على مخرجٍ ما من المأزق الذي وجدتُ نفسي فيه.

لا تظنّ أنّ الأمر لم يكن صعباً. كنتُ أشعرُ بالإهانة في بعض الأحيان. مراراً فكّرتُ بالاستسلام. فكرتُ بقتلِ نفسي، وقتلكَ. كنتُ غاضبةً جداً من التدهور الحاصل في حياتنا، ولأنك بعد سنوات الزّواج التي أمضيناها معاً صدّقت حرفاً واحداً مما كتبته في المذكّرات. أنا جادةٌ حقّاً، يا جيرمي. هل حقاً يصدّقُ الرجال أن ثمة نساءً هناك مصابات بذاك الهوس الرهيب بالجنس؟ إنها مجرّد تخيّلات يا جيرمي. بالطبع كنتُ أحبّ علاقتنا الجنسية كثيراً، لكن السبب الحقيقي في معظم الأحيان كانت رغبتي القوية بإسعادكَ، ناهيك أنّ هذا ما يقومُ به الزوجان تجاه بعضهما البعض. لم يكن السبب عجزي بأن أحيا من دون علاقة جنسية.

كنتَ زوجاً طيباً معي، وكنتُ زوجةً طيبةً معك، رغم صعوبة تصديقكَ لذلك. ما زلتَ زوجاً طيباً معي. أنت تؤمن في قرارة نفسك أنني قتلتُ ابنتنا، مع ذلك أنتَ حريصٌ كلّ الحرص على توفير العناية لي. ربّما لأنك كنتَ تعتقد أنني لم أعدْ هنا، وأنّ كلّ الأجزاء الشّريرة فيّ ماتتْ خلال ذلك الاصطدام، وأنا الآن مجرّد شخصٍ آخر تشعرُ بالأسف عليه. أعتقدُ أنّ هذا هو السّبب الذي جعلكَ تُحضرني إلى البيت. وبعد كلّ ما مرّ به كرو رقّ قلبكَ ولم تكنْ تريد أن تتركَه بعيداً عنّي. كنتَ تعرف أنه بعد فقدانه لشقيقتيه، سيكون فقدان أمّه ضربةً قاصمةً له، ولن ينجُ من تبعاتها.

وبالرغم من كلّ ما تقوله مخطوطتي فإنّ أجملَ ما فيك هو حبّك لأطفالنا.

مرت لحظاتٌ خلال هذه الأشهر المنصرمة وددتُ فيها لو أخبركَ بأنني ما زلتُ هنا. وتلك هي أنا. لكنك لن تصدّقني، وسيذهبُ جهدي أدراج الرياح. كما أنه لا يمكننا القفز فوق محاولتين للقتلِ يا جيرمي. وأنا أعرفُ لو أنك تكتشفُ بأنني أتظاهرُ بالغيبوبة أمامك، لن أفلت منك في المحاولة الثالثة، وسوف تنجحُ بالإجهاز عليّ.

أنا لا أُتعِب نفسي بكلّ هذا الشرح لأن لديّ أملاً بأن أغيّر لكَ عقلكَ، وأثبتَ لكَ أنكَ كنتَ مخطئاً. سوف لن تثق بي ثانيةً أبداً.

كلّ ما أفعلُه هو من أجلِ كرو. كلّ ما أستطيع التفكير به هو ابني الصغير. كلّ شيءٍ فعلته منذ اللّحظة التي استعدتُ فيها وعيي في ذلك المشفى كان من أجل كرو. ورغم أنني لا أرغب بحرمانك من كرو، لكنني لا أملكُ خياراً آخر. إنّه ولدي الوحيد ويجب أن يبقى معي. هو الوحيد الذي يعرف بأنّني ما زلتُ هنا، وأنّه ما زال لديّ صوت وأفكار وخطّة. أشعرُ بالأمان حين أعودُ إلى ذاتي الحقيقية أمامه لأنّه ما يزالُ في الخامسة. أعرفُ أنه لو جاء وأخبركَ بأني أكلّمُه، سوف لن تأخذَه على محمل الجدّ، وسوف تعتبر هذا جزءاً من خياله الوثاب، أو انعكاساً لصدمة نفسية يعاني منها بعد كلّ ما مرّ به.

إنه السبب الوحيد الذي جعلني أبحث طويلاً عن تلك المخطوطة. أعرفُ أنّه لو حدث وعرفت مكان وجودي بعد مغادرتي المنزل، فسوف لن تتوانى باستخدامها ضدّي. وسوف تجبره على أن يصدّقها مثلما صدّقتها أنت.

في الليلة الأولى، بعدما أحضرتني إلى المنزل، تسللتُ إلى غرفة المكتب من أجل أن أمحوها عن الحاسوب، لكنّني اكتشفتُ أنكَ كنتَ قد محوتها للتوّ. حاولتُ العثورَ على النسخة المطبوعة، لكنّني لم أستطع التذكّر أين وضعتها. كانت توجدُ بقع بيضاء في ذاكرتي، وعانيتُ النسيانَ بعد الارتطام. لكنّني كنتُ أعرف أنه كان يجب أن أتخلّص من النسختين، الإلكترونية والمطبوعة، كي لا تُستخدم أيّ منهما ضدّي ذات يوم.

بهدوءٍ شديد بحثتُ عنها في كلّ مكان مع كلّ فرصة كانت تسنحُ لي. في مكتبي، وفي القبو، وعلى السقيفة. بل بحثتُ عنها مرات عديدة في أرجاء غرفة النوم فيما كنتَ نائماً في سريركَ. كنتُ أعلمُ أنني لن أستطيعَ المغادرةَ مع كرو إلّا بعد أن أتحقّقَ من إتلاف الدّليل الذي تمتلكهُ ضدّي.

وكان عليّ الانتظار أيضاً لكي أضع يدي على بعض النقود، لكنّني لم أكنْ أعرف بالضبط كيف لأنني لستُ واثقة من قدرتي على قيادة السيارة إلى البنك.

حين استرقتُ السمعَ إلى حديثك مع دار بانتيم حول فكرتهم الرائعة عن اختيار كاتبة جديدة لإكمال السلسلة، عرفتُ أنّ طريق الهروب صار مفتوحاً أمامي.

حين عيّنتَ ممرّضةً في المنزل، وذهبْتَ لحضور اجتماع في مانهاتن، تسللّتُ إلى المكتب وفتحتُ حساباً جديداً للشيكّات بواسطة الإنترنت.

بعد أيام معدودة من ذاك الاجتماع، حضرتِ المؤلفّةُ الجديدة إلى المنزل لتبدأ عملها على السلسلة. هذا يعني أنها لم تكن سوى مسألة وقت قبل أن تصل الأموالُ المترتبة على الكتب المتبقيّة إلى الحساب أخيراً، وأقومُ أنا بتحويلها إلى حسابي الجديد، وأفرّ هاربةً مع كرو.

كلّ ما كان يتوجّب عليّ فعله هو تحيّن فرصتي، لكنّ المؤلّفة الجديدة جعلت الأمور أكثر صعوبةً. لقد وضعت يدها على النسخة المطبوعة من المخطوطة التي أبحثُ عنها. أنا متأكدة أنك كنت تعتقدُ بأنّ حذف السيرة عن الحاسوب كان كافياً لتخليص المنزل منها. لكنك لم تفلح. الآن اثنان ضدّ واحد. أنا لم أعدْ أكترث كثيراً للتخلّص من المخطوطة في هذه اللحظة. أفكر فقط بكيفية الخروج من هنا.

أعترفُ أنها غلطتي بأن أجعلَ المؤلفة الجديدة أكثر ارتياباً. أعرفُ أنّها تجفلُ وتخافُ حين تقع عينها على عيني، وترمقُني فيما أنا أحدّقُ بها عن قصد، لكنّك لا يمكنُ أن تلومَني. هذه المرأةُ تدخلُ حياتك، وتستولي على مهنتي، وتقعُ في غرامِك. كما أنّني أظنّ من خلال ما لاحظْتهُ أنّك تبادُلها المشاعر وتقعُ في حبّها.

لقد سمعتُكَ وأنتَ تضاجعُها في السّرير منذ ساعات فقط. وإذ كنتُ أتألم ألماً شديداً، لكنني أشعرُ أيضاً بغضبٍ عارم. على أية حال، أنت مشغولٌ بها تماماً الآن، ولذا أجدُهُ الوقتَ الأمثلَ لكتابة هذه الرّسالة. لقد قمتُ بقفلِ باب غرفة النّوم الرئيسية من الخارج لكي يتسنّى لي سماعَكَ حين تحاولُ الخروج. هذا سوف يعطيني الوقتَ الكافي لإخفاء هذه الرّسالة، والعودة إلى مكاني قبل أن تصلَ إلى الطابق العلوي.

أمضيتُ وقتاً صعباً للغاية يا جيرمي. لن أكذبَ عليك. كلّ شيء كان صعباً للغاية. وخاصّة بعد أن أيقنتُ أنّك كنتَ تصدّقُ كلماتي أكثر مما تصدّقُ أفعالي خلال فترة زواجنا. وبعد أن اضطررتُ إلى الانحدار إلى هذا المستوى من الخداع لكي أتجنّب اتهامي بأكثر الجرائم بشاعةً يمكن أن تُلصقَ بأم. وبعد أن أدركتُ أنّك واقعٌ في غرام امرأة أخرى فيما تراني أتظاهرُ يوماً وراء يوم بأنني لا أعي شيئاً مما يحدثُ، ولا إلى أين آلتْ إليه حياتنا.

لكنني أستمرّ في مقارعة الوقت لأنني واثقة بأنني سأخرجُ من هنا حالما تصلُ النقود إلى حسابي، وهذا هو السّبب الذي يجعلني أخطُّ لكَ هذه الرّسالة.

ربّما سوف تعثر على الرسالة، وربّما لا.

آملُ أن تقع يدك عليها. أجل آملُ ذلك.

إذ رغم أنّكَ حاولت قتلي خنقاً، وصدمْتَ سيارتي بجذعِ الشّجرة، لكنني لا أجدُ في نفسي ميلاً لكراهيتك. كنتَ دائماً تحرص بشدّة على حماية أطفالنا، وهذا ديدنُ كلّ أب، حتى لو تطلّب ذلك القضاء على أحد الوالدين إذا أصبح يشكّل خطراً عليهم. أنت مقتنع في قرارة نفسك أنني أشكّلُ خطراً على كرو، ورغم أنّ هذا يكادُ يقتلني لأنّك تصدّقه، لكنه يعطيني أيضاً الحياة لإدراكي أنّك تحبّه.

حين أنجح أنا وكرو بالخروج من هنا، سوف أتصلُ بك يوماً ما، وأدلّك على مكان الرسالة. بعد أن تقرأها، آملُ أن تجدَ مبرراً في داخلك لتصفحَ عنّي وتسامحني. آملُ أن تجد في داخلك فسحةً كافيةً للغفران.

لا ألومكَ على ما فعلْتَه بي. كنتَ زوجاً رائعاً حتى وصلت إلى تلك النقطة التي لم تعد فيها قادراً على أن تكون كذلك. وكنتَ أفضل أبٍ في العالم. أحبكَ. وما زلتُ أحبّك... رغم كلّ شيء.

فيريتي

-25-

أدعُ الرّسالةَ تقعُ على الأرض.

أُمسِكُ معدتي بيدي بعد أن بدأ الألمُ يعتصرها بشدّة.

لم تفعلْها.

لا أريدُ أن أصدّقَ حرفاً واحداً مما قرأته للتوّ. أريدُ أن أصدّقَ أنّ فيريتي قاسية وشريرة وتستحقّ ما فعلناه بها، لكنني لم أعدْ متأكّدة أنها كذلك.

آه، يا إلهي، ماذا لو كان ما قالتهُ صحيحاً؟ هذه المرأة فقدتِ ابنتيها، وبعدئذٍ حاول زوجُها أن يقتلَها، وبعدئذٍ... قتلناها بالفعل.

أسندُ ظهري إلى الحائط، وأحدّقُ بالرّسالة كأنّها السلاحَ الذي يملكُ القدرةَ على تحطيم الحياة التي بنيتُها مؤخّراً مع جيرمي.

أفكارٌ كثيرةٌ تجولُ في خلدي الآن، فأضغطُ على صدغيّ لأنّ رأسي يكادُ ينفجر.

جيرمي كان يعلمُ للتوّ بوجود المخطوطة.

هل حقاً كان قد قرأها قبل أن أعطيه إياها؟ هل كذَبَ عليّ؟

كلّا. لم ينكرْ يوماً أنّها ليست موجودة. في الحقيقة أتذكّرُ الآن كلماته بالضبط وأنا أستعيدُ تلك اللحظة، «أينَ وجدْتِها؟».

هذا كثيرٌ جدّاً عليّ. لا أستطيعُ استيعابَ كلّ ما قالته، وكلّ ما حدثَ ويحدثُ. أطيلُ التحديقَ بالرّسالة وأنسى أين أنا، وأنسى أنّ جيرمي وكرو ينتظراني في الأسفل، وأنه قد يعودُ في أية لحظة ليبحث عنّي.

أزحفُ إلى الأمام وأجمعُ صفحات الرسالة. أعيدُ السكّينَ والصّورة إلى مكانِهما في أرضية الحجرة، ثم أغطّي الحفرةَ بقطعة خشبية. آخذُ الرّسالةَ إلى

الحمّام وأقفلُ الباب ورائي. أركعُ أمام المرحاض وأبدأ بتمزيق الصفحات إلى نثراتٍ صغيرةٍ، ثم أرميها في الجرن وأضغطُ على مقبضِ السيفون. النثراتُ الصغيرة التي تحملُ اسمَ جيرمي أقومُ بالتهامِها لأنني لا أريدُ لأحدٍ أن يقرأ حرفاً واحداً من هذه الرّسالة.

لن يسامح جيرمي نفسه أبداً. أبداً. لو وجدَ أنّ المخطوطة لم تكن حقيقيةً، وأنّ فيريتي لم تلحق الأذى بابنته هاربر، لن يكون بمقدوره تجرّع تلك **الحقيقة** المرّة: حقيقة أنه قتلَ زوجته البريئة، أو حقيقة **أنّنا** قتَلنا زوجتَه البريئة.

لو كانت هذه هي **الحقيقة**، مع ذلك.

- «لوين؟».

أرمي بقية القصاصات في مياه المرحاض، ثم أضغطُ على مقبض السيفون عدّةَ مرّات، فيما جيرمي يطرقُ الباب.

- «هل أنتِ على ما يُرام؟» أفتحُ صنبورَ الماء وأحاولُ أن أهدّئ من نبرة صوتي. «نعم». أغسلُ يديّ، وأشربُ رشفةَ ماء كي أبلّلَ حلقي الجافّ. أنظرُ في المرآة وأرى الرّعبَ في عينيّ. أغمضهما، في محاولة لإخفائه، أو طمس كلّ أثرٍ له، وكلّ شيء مرعبٍ شهدته في حياتي خلال عمري البالغ اثنين وثلاثين عاماً.

اللّيلة التي وقفتُ فيها على حافّة السياج.

النّهار الذي رأيتُ فيه الرّجلَ الذي دهستْهُ عجلاتُ الشاحنة.

المخطوطة.

اللّيلة التي رأيتُ فيها فيريتي تقفُ فوق أعلى الدرج.

اللّيلة التي ماتت فيها في نومِها.

أكبتُ كلّ هذا. أبلعهُ مثلما ابتلعتُ آخرَ قصاصةٍ من رسالة فيريتي.

أطلقُ زفيراً طويلاً، ثم أفتحُ البابَ، وأبتسمُ في وجه جيرمي. يرفعُ يدَه ويمرّرها بحنوّ على صدغي. «هل أنتِ على ما يرام؟».

أبلعُ خوفي، وحزني، وشعوري بالذّنب. أحجبها جميعاً بإيماءةٍ مقنعة من رأسي. «نعم أنا بخير».

يبتسم جيرمي. «حسناً»، يقولُ، ويشبكُ أصابعَه بأصابعي. «دعينا نخرجُ من هنا ولا نعود ثانيةً أبداً».

يظلّ ممسكاً بيدي طوال تجوالنا في المنزل، ولا يفلتُها حتى نصلَ إلى سيارة الجيب، حيث يفتحُ لي البابَ لكي أصعدَ. حين انطلقتْ بنا السيارةُ فوق الطّريق الفرعية شاهدتُ المنزلَ عبر المرآة الخلفية للسيارة وقد بدأ يصغرُ شيئاً فشيئاً في البعيد حتّى اختفى.

يمدُّ جيرمي يدَه صوب مقعدي ويلمسُ بطني، «عشرة أسابيع أخرى».

ثمة غبطةٌ في عينيه. ثمة نشوةٌ أعرفُ أنّني أنا التي زرعتُها هناك، بعد كلّ ما مرّ به من محن. لقد جلبتُ نوراً إلى ظلامه، وسوف أبقي ذاك النّور المشعّ كي لا يضيعَ ثانيةً في متاهات ماضيه.

سوف لن يعرف أبداً ما أعرفُه. سوف أبذلُ قصارى جهدي للحيلولة دون ذلك. سوف آخذُ هذا السرّ معي إلى قبري كي لا يحملُه جيرمي معه.

لم أعدْ أعرفُ ماذا أصدّقُ أو لا أصدّقُ، فلماذا أزجّ بجيرمي في مصائب جديدة؟ قد تكون فيريتي كتبتْ تلك الرسالة لكي تموّهَ على خطّتها في الهروب. وقد تكون مجرّد ألعوبة من ألاعيبها في استغلال الوضع وتوريط من حولها.

وإذا كان جيرمي هو السبب وراء ارتطام سيّارتها، فأنا لا أستطيعُ أن ألومَه. كان يعتقدُ جازماً أنّ فيريتي قامت بقتل ابنته هاربر بطريقةٍ وحشيةٍ. بل لا أستطيعُ أن ألومَه حين استكملَ فعلتَه، وقتَلَها فعلاً حين اكتشفَ أنّها كانت تخدعه بإصابتها البالغة طوال كلّ تلك الفترة. إنّ أيّ أبٍ في مكانه كان سيفعلُ الشيءَ نفسَه. كلانا كان مقتنعاً في قرارة نفسه بأنّها كانت تشكّل خطراً على الطفل كرو. وعلينا كلينا.

وبغضّ النظر عن الزّاوية التي أنظرُ فيها إلى الموضوع، من الواضح أنّ فيريتي كانت بارعةً في استغلال الحقيقة. والسؤالُ الوحيدُ القائمُ الآن هو أيّةُ حقيقةٍ تلكَ التي كانت تحاولُ استغلالَهَا؟

النهاية



كولين هوفر: كاتبة أمريكية مولودة في تكساس عام 1979. صدرت لها أكثر من اثنتي عشرة رواية، معظمها تصدَّرَ قائمة الكتب الأكثر مبيعاً على صفحات جريدة (نيويورك تايمز). صدرتْ روايتها الأولى (موصود) عام 2012، وحقّقت نجاحاً باهراً لدى القرّاء والنقاد على حدّ سواء.



عابد إسماعيل: شاعر ومترجم من سوريا. صدرتْ له ستّ مجموعات شعرية، وعدد من الدراسات النقدية، إضافة إلى عشرات الترجمات عن الإنكليزية. يحمل شهادة دكتوراه في الأدب الأمريكي المعاصر من جامعة نيويورك (NYU).

صدر للمترجم (عابد إسماعيل)

في الشعر:

- طواف الآفل، دار الكنوز الأدبية، 1998، بيروت
- باتجاه متاهٍ آخر، دار الكنوز الأدبية، 1999، بيروت
- لن أكلّمَ العاصفة، دار الكنوز الأدبية، 2000، بيروت
- ساعةُ رمل، دار الينابيع + دار الكنوز، 2003، دمشق، بيروت
- لمعُ سراب، دار التكوين، 2006، دمشق
- أشباحُ منتصفِ النّهار، دار التكوين، 2018، دمشق

في الترجمة:

- قلق التأثر، هارولد بلوم، ط1، بيروت، 1998، طبعة جديدة، دار التكوين، 2019.
- نظرية لانقدية، كريستوفر نوريس، دار الكنوز الأدبية، بيروت، 1999.
- سبع ليال، خورخي بورخس، دار الينابيع، دمشق، 1999.
- خريطة للقراءة الضالة، هارولد بلوم، ط1، بيروت، 2000، طبعة جديدة، دار التكوين، دمشق، 2019.
- بورخس (مذكرات)، ويليس بارنستون، دار المدى، دمشق، 2002.
- الحادي عشر من أيلول، نعوم تشومسكي، دار الكنوز الأدبية، بيروت، 2002.

- نصف حياة، ف. س. نايبول، دار المدى، دمشق، 2002.
- ادفنوني واقفاً، إيزابيل فونسيكا، دار البلد، دمشق، 2003.
- ساعة حياة، ويليس بارنستون، دار المدى، دمشق، 2003.
- فنّ الكتابة، توني بارنستون وتشو بينغ، دار المدى، دمشق، 2003، 2015، 2016. (الطبعة الثالثة).
- باقة برية، هاري مارتنسون، دار المدى، دمشق، 2005.
- الذين يحبّون الشوك، جونيشيرو تانيزاكي، دار المدى، دمشق، 2005.
- أغنية نفسي، وولت ويتمان، دار التكوين، دمشق، 2006، طبعة جديدة، دار التكوين، 2019.
- سيرة الغجر، إيزابيل فونسيكا، دار التكوين، دمشق، 2006، طبعة جديدة، دار التكوين، 2019.
- أنيارا، (قصيدة ملحمية)، هاري مارتنسون، دار المدى، دمشق، 2006.
- اسمي سلمى، فادية فقير، دار السّاقي، بيروت، 2009. (صدرت الطبعة الثالثة).
- الجنس والمدينة، كانديس بوشنيل، دار الساقي، بيروت، 2010. (صدرت الطبعة الثالثة).
- السمكة والخاتم، جوزيف جاكوبس، دار كلمة، أبو ظبي، 2010.
- الحمقى الثلاثة، جوزيف جاكوبس، دار كلمة، أبو ظبي، 2010.
- الأميرة ميراندا والأمير هيرو، إ. ج. غلينسكي، دار كلمة، أبو ظبي، 2010.
- اليابان في القرن الثامن عشر، لويس بيريز، دار كلمة، أبو ظبي، 2012.
- تشادو: طريقةُ الشّاي، ساساكي سانمي، دار الكتب الوطنية، هيئة أبو ظبي للثقافة والسياحة، عام 2015.
- إيروتيكا الشعر الصيني، تشاو بينغ/ توني بارنستون، دار التكوين، دمشق، 2019.

- شاعرة في الأندلس، شعر، ناتالي حنظل، دار التكوين، دمشق، 2019.
- ذاك الشيء حول عنقك، قصص، تشيماماندا نجوزي أديتشي، دار المدى، بغداد، 2020.
- سيلفيا بلاث، الأعمال الشعرية الكاملة، دار التكوين، دمشق، 2020.

في النقد:

- ولاس ستيفنس: تخيل صوفي أسمى (باللغة الإنكليزية)، أطروحة دكتوراه من جامعة نيويورك، 1995.
- فُكّ أزرار الغيتار، مختارات شعرية (باللّغة الإنكليزية)، منشورات بانيبال، لندن، 2006.
- أدونيس: عرّاف القصيدة العربية، منشورات دمشق عاصمة للثقافة العربية، 2008.
- جماليات المتاهة (قراءات نقدية في الشعر العربي المعاصر)، دار التكوين، دمشق، 2019.
- سليم بركات، ساحر المخيلة، دار التكوين، دمشق، 2019.

***

أسمعُ صوتَ تهشّم جمجمتهِ قبل أن يصلَني رذاذُ الدّم.
أشهقُ ثمّ أخطو خطوةً سريعةً إلى الوراء باتجاه رصيفِ المشاةِ. قدمي تغوصُ، وكعبُ حذائي لا يكملُ السيرَ معي ما يجعلني أمسكُ بوتدِ شارةٍ ممنوع الوقوف خوفاً من فقدان التوازن.
كان الرّجلُ يقفُ أمامي منذ ثوانٍ فقط. وكنّا بين حشدٍ من النّاس ننتظرُ شارةَ العبورِ كي تومضَ، حين فجأةً اجتازَ الرّجلُ الشّارعَ قبل الأوانِ، ما تسبّبَ باصطدامِ شاحنةٍ مسرعةٍ بجسدِه. اندفعتُ إلى الأمامِ أحاولُ إيقافَه، لم أستطعْ الامساكَ بشيءٍ، ورأيتُه يهوي أرضاً. أغمضتُ عينيّ قبل أن يصبحَ رأسَه تحت العجلةِ، لكنّني سمعتُ شيئاً يطقطقُ كصوتِ فلّينةِ الشامبانيا.
اللّومُ، كلّ اللّوم، يقعُ على هذا الرجل، إذْ كان ينظرُ لامبالياً إلى هاتفه الخليوي، ربّما لأنّه كان قد عَبرَ الشّارعَ ذاتَه مراتٍ عديدةً من قبل، من دون وقوعِ أيّ حادثٍ له. لعلّه الموتُ بفعلِ الرّوتين.



النّاسُ يشهقون مثلي ولكن لا أحدَ يصرخُ أو يصيح. سائقُ الشاحنةِ المعتديةِ يقفزُ من خلف مقودهِ ويجثو، على الفور، أمام الرّجل المسجّى. أبتعدُ قليلاً عن المشهدِ فيما عددٌ من الأشخاص يتدافعون نحو الأمام يريدون المساعدة. لم أكن بحاجةٍ لأن أنظر إلى الرّجلِ الممدّد تحت العجلة لأعرفَ أنه لم ينجُ من الحادث.
كان يكفي أن أنظرَ إلى قميصي النّاصع البياض -بقعُ الدّم تلطّخه الآنَ- لأعرفَ أنّ نقّالةَ النعشِ تنفعُهُ الآنَ أكثر من سيارةِ الإسعافِ.
أدورُ حول نفسي محاولةً الابتعادَ عن الحادث -علّني أجدُ مكاناً أتنفّسُ فيه الصعداءَ- لكنّ إشارةَ المرور، الآنَ، تقولُ «اعبرْ»، وجمهرةُ النّاس تنتبهُ إلى الضّوءِ الأخضرِ ما جعلَ السباحةَ عكسَ التيار والعودة إلى الخلف أمراً مستحيلاً في خضمّ هذا النهرِ المتدفّقِ من سكّان مانهاتن. البعضُ منهم لا يرفعُ بصرَهُ عن جهازِهِ الخليوي، في أثناء العبورِ قرب موقع الحادث. أتوقّفُ عن السّيرِ نحو الأمام، وأنتظرُ كي يخفَّ الحشدُ. ألقي نظرةً إلى الخلف باتجاه الشاحنة، وأتجنّبُ مشاهدةَ الرّجل المسجّى هناك. سائقُ الشّاحنةِ يقفُ الآنَ خلف مؤخّرة سيارته، ويرمقُ هاتفاً خليوياً بين يديه.


9 789933 635039